نصوص ووثائق تاريخية..

المشرق الإسلامي

في إستراتيجية الدعاية السوفيتية

١٩١٧ - ١٩٣٨

الأستاذ الدكتور

جمال محمود حجر

أستاذ التاريخ الحديث المعاصر

عميد كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

٢٠٠٦

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير - الأزاريطة ت: ٤٨٧٠١٦٣

٢٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي ت ٥٩٧٣٤٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إلـى والـديّ تقديـراً ووفـــاء

مقدمـــــة

بدأتْ رحلتى مع هذا الكتاب منذ بدأتُ أتردد على درار السجلات البريطانية (P. R .O.) فى عام ١٩٧٧. وخلال خمس سنوات قضيتها بين أروقة الدار فى زيارات متعاقبة، تعرفت على كثير من محفوظاتها، وتبلورت فى رأسى تلك الفكرة الكبرى التى تهدف إلى دراسة علاقات شبه الجزيرة العربية بالعالم الخارجى. وهى فكرة ما كان لها أن تتحقق بالطبع دفعة واحدة. ولذا كان تقسيمها على مراحل وتجزئتها إلى وحدات أمرا تفرضه الضرورات الموضوعية والمنهجية والزمنية.

ومن حسن الطالع أننى كنت قد أنجزت الوحدة الأولى من هذه «الفكرة الكبرى» فى مرحلة الماجستير، حين درست علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بمنطقة الخليج العربى فى الفترة مابين الحربين العالميتين. ثم أنجزت الوحدة الثانية منها فى مرحلة الدكتوراه حول دور بريطانيا، باعتبارها دولة منتدبة فى الشرق الأوسط، فى تكوين المملكة العربية السعودية، وهو دور تبلور أساسا فى تشكيل حدودها الشمالية مع مناطق الانتداب البريطانى فى العراق وشرق الأردن.

وبمرور الوقت فى دار السجلات البريطانية، وجدت أن بالامكان دراسة علاقات بعض القوى الكبرى الأخرى - مثل الإتحاد السوفيتى - بشبه الجزيرة العربية باعتبارها منطلقاً لشعوب العالم الإسلامى فى المشرق والمغرب، وراودتنى فكرة هذا الكتاب لتغطية موضوع المشرق الإسلامى. فرحت أجمع مادته المبعثرة بين ثنايا مجلدات عديدة تضم عشرات الملفات الوثائقية. وهى مهمة شاقة، تدلك على حجم مشقتها قراءة القائمة البيليوجرافية لهذا الكتاب، الذى يتبين منها الفجوة الواسعة بين رقم أول مجلد أفدت منه (F. O. 371 / 11431) ورقم آخر مجلد استخدمته (F.O. 371/ 21908) فى الموضوع الذى بين أيدينا، وهذه الفجوة تعنى تبعثر الوثائق بين المجلدات المختلفة بطريقة مزعجة

وفى مصر صنفت مادة الكتاب ووضعت خطته، واستنسرت المراجع حوله وفى الدوحة وعلى مدى ثلاث سنوات وضعت صياغته التى بين أيدينا، وخرج الكتاب ليضيف وحدة جديدة إلى وحدات «الفكرة الكبرى». أى علاقات القوى الكبرى بالعالمين العربى والإسلامى. ووجدت أننى قد درت فى أبحاثى حول شبه الجزيرة العربية عكس عقارب الساعة بادئا بالخليج والولايات المتحدة، فشمال شبه الجزيرة العربية وبريطانيا، ثم الحجاز والاتحاد السوفيتى.

ولعل هذه الدراسة تتجاوز المفهوم المكانى للحجاز كإقليم جغرافى، إليه كمفهوم دينى يستقطب أفئدة المسلمين وقلوبهم، مما يجعله واقعاً فى بؤرة اهتمام العالم الإسلامى، وبالتالى يجعل المسلمين معنيين بكافة شئونه.

وفترة مابين الحربين العالميتين كانت ومازالت تشدنى بقوة، فهى فترة قلقة حافلة بتغيرات كثيرة، وهذا مما يزيد فى خصوصيتها وغنى أحداثها، سواء أكان ذلك على المستوى الإقليمى فى منطقة الشرق الأوسط، أم على المستوى العالمى. وإذا كانت التغيرات الإقليمية تجذب اهتمام القوى الكبرى إلى المنطقة، فإن التغيرات العالمية تؤدى إلى صراع القوى الكبرى حولها.

ومن بين التغيرات الإقليمية: إنقلاب موازين القوى فى شبه الجزيرة العربية لصالح عبد العزيز آل سعود، على حساب القوى المحلية الأخرى، وهو تطور جذب إليه أنظار الدول الكبرى، فسعى إليه البريطانيون والسوفيت، وحاول كل منهما الاستئثار بالنفوذ فى بلاده دون الآخر. ويسجل هذا الكتاب إحدى حلقات هذا التنافس، الذى جرى فى فترة مابين الحربين العالميتين حول شبه الجزيرة العربية، ثم امتد ليشمل المشرق الإسلامى.

ومن بين التغيرات العالمية: قيام أول دولة شيوعية فى العالم ممثلة فى الاتحاد السوفيتى، الذى جعل من بين أهدافه تدمير الرأسمالية العالمية، التى كانت تتزعمها بريطانيا، مما دفعها إلى التصدى للخطر السوفيتى الناشىء أيديولوجيا

وسياسيا، خاصة وأن العالم الإسلامي كان ميدانا لصراع الدولتين. ولم يسلم الحجاز وهو عقر ديار الإسلام، وباقي أجزاء شبه الجزيرة العربية من هذا الصراع الأيديولوجي والسياسي، كما هو وارد في هذه الدراسة.

وإذا ربطنا بين المتغيرين السابقين (الاقليمي والعالمي) من خلال متغير ثالث يتصل بتفرد بريطانيا بالنفوذ في شبه الجزيرة العربية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، لوجدنا أن الاتحاد السوفيتي حاول إنهاء تلك الحالة (حالة التفرد البريطاني) لينطلق إلى المشرق الإسلامي، الذي كان معظمه واقعاً في قبضة النفوذ البريطاني، ولوجدنا أن الملك عبد العزيز آل سعود حاول استثمار هذا الموقف التنافسي لصالح بلاده، ومع أنه كان على علاقة حتمية مع بريطانيا، فإنه لم يتردد في إقامة علاقة اختيارية مع الاتحاد السوفيتي، وبالطبع غذى ذلك من روح التنافس بين القوتين الكبيرتين، ونسج خيوطاً جديدة في رقعة النفوذ البريطاني في الشرق.

وقد نتج عن التفاعل بين هذه المحاور الثلاثة علاقات غير منسجمة في معظم الأحيان، فالعلاقات البريطانية - السوفيتية كانت بطبيعتها علاقات تصادم أيديولوجي بين الرأسمالية والشيوعية، وكذا الحال إذا نظرنا إلى العلاقات السعودية - السوفيتية، فالإسلام والشيوعية لايستقيمان معاً، أما العلاقات البريطانية - السعودية، فقد كانت أحسن حالا، ولكنها لم تكن منسجمة ولامستقرة، وكانت تفتقر إلى عناصر الثبات بسبب عوامل التغير المستمرة في شبه الجزيرة العربية وفي العالم الإسلامي على اتساعه في هذه المرحلة.

هذه الدراسة، إذن، ليست دراسة إقليمية ضيقة، وإنما هي دراسة شاملة في رحلة طويلة بين موسكو ولندن وجدة، وفي اتجاهات مختلفة عبر تركيا وإيران وأفغانستان والهند وأندونيسيا ومصر وإريتريا واليمن وفلسطين. وهي كذلك رحلة مع السياسة والدبلوماسية والاقتصاد والفكر. وفي معالجة هذه

الرحلة قسمتها زمنيا إلى عدة مراحل أو محطات، تتميز كل مرحلة عن غيرها بميزات واضحة أفردت لكل منها فصلاً مستقلاً.

وقد آثرت أن يكون الفصل الأول تمهيدا تاريخيا، يعرض فى اختصار شديد، لايؤثر على وضوحه، لتطور العلاقات البريطانية – الروسية حول المشرق الإسلامى الذى كان معظمه يقع فى قبضة بريطانيا، مما أدى إلى أن تعتبر بريطانيا نفسها أكبر دولة إسلامية فى العالم، وهو تمهيد رأيته ضروريا لفهم التغيرات التى أخذت مكانها فى الفترة التالية:

أما الفصل الثانى فيتناول الفترة مابين عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٧. وتتمثل أهميتها فيما يلى:

١ – أن بريطانيا بصفتيها الأوربية والإسلامية وبعض الدول الأوربية الأخرى اعترفت بقيام دولة الاتحاد السوفيتى.

٢ – وأن الاتحاد السوفيتى بدأ يقيم لأول مرة اتصالات دبلوماسية مع العالم الخارجى، ومنها تبادل التمثيل الدبلوماسى مع عبد العزيز آل سعود فى الحجاز، باعتباره حاكما مسئولاً عن أقدس مقدسات المسلمين.

٣ –وأن بريطانيا كانت تسعى بدورها لتقوية علاقاتها القائمة فعلا مع عبد العزيز آل سعود حتى تحتفظ بتفوقها السياسى فى معظم أنحاء العالم الإسلامى، وتبقى النفوذ السوفيتى خارج البلاد الإسلامية.

٤ – وأن عبد العزيز آل سعود أخذ، منذ حكم فى الحجاز، يطل على العالم الخارجى لأول مرة من خلال قنوات دبلوماسية ورثها عن الأشراف فى جدة.

أحدثت هذه البدايات تغييرات عميقة عند تفاعلها مع بعضها، بسبب التناقضات القائمة فعلا بين أطرافها الثلاثة (بريطانيا، الإتحاد السوفيتى، عبد

العزيز آل سعود) خاصة وأن هذه الفترة كانت بالنسبة للسوفيت فترة استكشاف لإمكانية استخدام الحجاز منطلقا للدعاية السوفيتية فى العالم الإسلامى كله، وبخاصة المشرق الإسلامى، الذى كانت أراضيه تتصل إتصالا مباشرا بأراضى الاتحاد السوفيتى، بحكم الجوار الجغرافى. وهى أراض كانت تقع فى معظمها تحت سيطرة النفوذ البريطانى فى صوره المختلفة، بينما كان سكنها يرتبطون ارتباطاً روحياً بمقدساتهم فى الحجاز.

والفصل الثالث يتناول فترة عام واحد تقريبا، بعضها النصف الثانى لعام ١٩٢٧ وبعضها النصف الأول لعام ١٩٢٨، وفيها مارس السوفيت أساليب جديدة تختلف عن تلك التى استخدموها من قبل وورد ذكرها فى الفصل الأول، ولذا سميت هذا الفصل: مرحلة الممارسة.

ويبدو أن قدرة السوفيت على تطوير أساليبهم فتحت الباب لإدارة حوار بين جدة والقاهرة ولندن حول طبيعة النشاط السوفيتى، كما هيأت الفرصة لإقامة حوار بين البريطانيين أنفسهم حول مايجب أن يفعلوه فى مواجهة السوفيت، الذين نجحوا فى إيجاد موطىء قدم لهم فى اليمن، ولذا أطلقت على الفصل الرابع إسم: مرحلة الحوار، وهو يغطى الفترة مابين عامى ١٩٢٨ و ١٩٣١.

وحين يئس السوفيت من عدم استجابة عبد العزيز آل سعود للتعاون معهم، دون البريطانيين، ونتيجة لمتغيرات دولية كثيرة فى أوربا، شغلت السوفيت عن شئون شبه الجزيرة العربية، بدأوا فى الانحسار التدريجى دون إعلان، إلى أن ماتت العلاقات بينهم وبين السعوديين فى عام ١٩٣٨. وذلك هو موضوع الفصل الخامس، الذى يغطى الفترة مابين عامى ١٩٣٢ و ١٩٣٨. وبذلك كانت نهاية هذه الدراسة طبيعية كما كانت بدايتها.

ولم أكن وحدى فى هذه الرحلة مع الكتاب، فقد تفضل أستاذان كريمان، هما الأستاذ الدكتور عثمان سيد أحمد اسماعيل (مدير مركز

الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر)، والأستاذ الدكتور شعبان عبد العزيز خليفة (أستاذ المكتبات والمعلومات بجامعتى القاهرة وقطر)، بقراءة مسوداته، وأبديا ملاحظات لقيت منى كل العناية والتقدير، فلهما منى الثناء الجميل، وجزاهم الله عن العلم وأهله خيرما يجزى به العاملين المخلصين.

ولاأدعى أننى قد استوفيت البحث أواستقصيته، وربما أكون قد سهوت أو أخطأت، والرأى السديد الهادف يمكن أن يصلح كثيرا من زلاتى، «إن أريد إلا الاصلاح مااستطعت، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب».

الإسكندرية فى يناير ١٩٩٦

جمال محمود حجر

الفصــــل الأول
المشرق الإسلامي في العلاقات البريطانية – السوفيتية
١٩١٧ – ١٩٢٧

١ – تمهيد.

٢ – الاستراتيجية السوفيتية في الشرق.

٣ – العلاقات البريطانية – السوفيتية من ١٩١٧ إلى ١٩٢٧.

١ - تمهيـــد:

فى هذه الدراسة التمهيدية، قد يكون من العسير على المرء أن يحدد بدقة بداية مناسبة، لدراسة المشرق الإسلامى فى العلاقات البريطانية - الروسية، ذلك أن العلاقات بين الدولتين كانت فى سماتها العامة علاقات تنافس وتصادم شبه دائم، وهذه السمات العامة تركت لدى الباحث إنطباعاً قوياً بأن التقاء الدولتين، أو إن شئت إلتقاء الامبراطوريتين، حول سياسة واحدة فى الشرق بصفة عامة كان أمرا غير وارد[١].

صحيح أن هناك نقاط التقاء بين الدولتين حول تركيا وفارس، باعتبارهما من البلاد الإسلامية، إلا أن مثل هذه الإلتقاءات كانت مرحلية أو تكتيكية، ولم يكتب لأى منها صفة الدوام، وليس هناك من تفسير أقوى من أن المصالح البريطانية كانت تصطدم فى أهدافها البعيدة المدى مع المصالح الروسية العليا فى الشرق، فبينما سعى البريطانيون بحماس - خلال القرن التاسع عشر - إلى تكوين خط عرض متصل الحلقات من مناطق النفوذ الممتدة من أوربا إلى الشرق الأقصى، مارا بوسط آسيا، فى محاولة لعزل روسيا شمالاً لتعيش فى أصقاعها الباردة، كان الروس يعملون جاهدين للضغط على جيرانهم المسلمين فى المناطق الجنوبية من آسيا للوصول إلى المياه الدافئة، وبكلمات أخرى فإن الروس كانوا يعملون على الحيلولة دون نجاح بريطانيا فى تكوين خط العرض الإستراتيجى بإحكام، وذلك بإقامة خط أو خطوط نفوذ طولية، تمتد من الشمال إلى الجنوب متقاطعة مع الخط البريطانى، ومتغلغلة فى مناطق النفوذ البريطانى فى جنوبى آسيا والخليج العربى والبحر المتوسط.

هذا التصادم الإستراتيجى بين الامبراطوريتين (البريطانية والروسية) كان يجرى فى معظمة على أراض إسلامية، ومن هنا شكل العنصر الإسلامى - بذاته وبأرضه - محورا رئيسيا، دارت حوله السياسة والاستراتيجية لكل من

بريطانيا وروسيا. ولكن البريطانيين تفوقوا على الروس فى البداية لسبق وصولهم إلى الهند، التى يوجد بها أكبر تجمع إسلامى فى مكان واحد بالشرق. ومنذئذ فإن حكومة الهند - لاحكومة لندن - هى المسئولة عن حماية مصالح الامبراطورية البريطانية فى الشرق من خطر نجاح محاولات روسيا للتسلل إلى أفغانستان وفارس ومنطقة الخليج العربى، أما فيا يتعلق بسعيها للوصول إلى البحر المتوسط، عن طريق مضيقى البوسفور والدردنيل، فإن حكومة لندن كانت معنية بالدرجة الأولى بمواجهة المد الروسى فى الأراضى والمياه العثمانية، ويعد ذلك أحد مظاهر «المسألة الشرقية» الذى لم يكن يشغل بال حكومة الهند بنفس القدر.

واتسمت العلاقات الروسية - العثمانية بالعداء لنفس الأسباب التى حددت طبيعة العلاقات الروسية - البريطانية، فممتلكات الدولة العثمانية كانت فى قطاع كبير منها - تشكل جانبا من خط العرض البريطانى الاستراتيجى المحاصر لروسيا. ونجح الروس فى عام ١٨٣٣ فى كسر هذا الخط حين عقدوا تحالفا مع الدولة العثمانية، فى ظل ظروف غير ملائمة فرضتها هجمات قوات محمد على المصرية على تركيا، وعرفت هذه المعاهدة السرية باسم «معاهدة هنكيارسكله سى» التى كانت نصراً حقيقيا للروس، لأنها كانت تخدم أهدافهم البعيدة المدى فى الوصول إلى البحر المتوسط. كما كانت هزيمة للبريطانيين، الذين كانو يسعون دائما للاستئثار بالنفوذ فى الدولة العثمانية. وقد كلف هذا النجاح الروسى بريطانيا جهدا دبلوماسيا وعكسريا ضخا. فقد ظل وزير الخارجية البريطانية، بامستون، يسعى لإفساد هذه المعاهدة وإلغائها، بكل الوسائل، حتى تمكين من ذلك فى عام ١٨٤١. لقد كان نجاح الروس فى عقد هذه المعاهدة هو البداية الحقيقية لرسم سياسة روسية محددة الملامح والأهداف تجاه كل من بريطانيا والدولة العثمانية.

وما أن انتصف القرن التاسع عشر حتى كانت روسيا وجها لوجه مع

بريطانيا وحلفائها فيما يعرف باسم «حرب القرم» (١٨٥٣ - ١٨٥٦). ولم تكن هذه الحرب بسبب الدولة العثمانية، بقدر ماكانت بسبب التصادم بين جوهر السياسة الروسية وأهدافها والسياسة البريطانية وأهدافها فى الشرق بصفة عامة. فبينما كانت روسيا ترى ضرورة الخلاص من كيان الامبراطورية العثمانية «المريض»، كانت بريطانيا ترى أن إقامة نظام جديد من بقايا الامبراطورية العثمانية، يمكنها من حفظ توازن القوى فى المنطقة من ناحية، وإبعاد أخطار الدول الكبرى الطامعة فيها من ناحية أخرى. ولماكان ذلك أمراً صعبا، اتبعت بريطانيا سياسة المحافظة على الوضع الراهن فى الشرق الأدنى بكل أبعاده، باعتباره أسلم الوسائل لتيسير تطبيق سياستها.

وعلى مستوى آخر، كان الروس حريصين على تأكيد مسئولياتهم تجاه حماية المسيحيين الأرثوذكس من بين الرعايا العثمانيين، وكانوا يتنافسون مع فرنسا وانجلترا حول أى من الكنيستين (الشرقية أم الغربية) يكون لها التفوق والسيادة فى فلسطين. وفى هذا السبيل أرسل القيصر الروسى بعثة دبلوماسية للسلطان العثمانى لتوضيح نوايا روسيا تجاه الدولة العثمانية، مؤكدا على أنه لايسعى إلى ضم أى جزء من أراضيها، وإنما يسعى إلى الحصول على «فرمان» يعيد التفوق الروسى فى القدس إلى سابق عهده قبل عام ١٨٥٢، لأن روسيا لن تسكت على التفوق الفرنسى القائم هناك، وأنها تقترح عقد معاهدة سرية على غرار معاهدة «هنكيار سكله سى».

وفيما يتعلق بإنجلترا، أكد القيصر الروسى للسفير البريطانى فى سان بطرسبرج على أهمية استانبول للمصالح الروسية، وأن أى محاولة لتقسيم أملاك الدولة العثمانية لابد وأن ينص فيها على أن تكون استانبول لروسيا. وبهذه الصورة فإن مصالح روسيا فى الدولة العثمانية تنحصر فى أمرين: السيادة العقائدية فى فلسطين، والسيادة السياسية فى استانبول. فى هذه الظروف التى كانت روسيا تتحاور خلالها مع العثمانيين والانجليز حول مصالحها. كانت

تستعد عسكريا لتنفيذ خطتها فى الدولة العثمانية، وتطالب بإغلاق الدردنيل أمام السفن الحربية البريطانية والفرنسية. وهكذا كان الطريق إلى حرب القرم مفتوحا على مصراعيه فى صيف عام ١٨٥٣.

كان من الواضح أن أى محاولة للتفاهم بين الروس والعثمانيين، لا يجب أن تتم بعيدا عن مجموعة من الأسس، يعنينا منها أمران: الأول إعادة النظر فى اتفاقية المضايق (١٨٤١) لصالح توازن القوى فى أوربا، والثانى تخلى الروس عن المطالبة بحماية المسيحيين الأرثوذكس فى الدولة العثمانية، على أن يعد السلطان بالعمل على تحسين أوضاع رعاياه. وفى الواقع، لم يكن يشغل بريطانيا أمر أكثر من إعادة النظر فى اتفاقية المضايق (١٨٤١). ولعل ذلك هو السبب الحقيقى الذى زج ببريطانيا إلى حرب القرم.

ولاشك فى أن بريطانيا قد وفقت إلى تحقيق الهدف الأصلى من حرب القرم بمقتضى التسوية التى أسفر عنها مؤتمر باريس عام ١٨٥٦، فقد أعلنت هذه التسوية حيدة البحر الأسود، كما أغلقت المضيقين (البوسفور والدردنيل) فى وجه جميع السفن الحربية الأجنبية، وبالتالى شلت الاتفاقية الوجود الروسى العسكرى فيه، كما وفرت على انجلترا جهد متابعة احتمال قيام روسيا بعمل عدائى ضد المصالح البريطانية فى شرق البحر المتوسط.

نظر بعض الانجليز إلى هذه الحرب على أنها حرب فرضتها ضرورة تأمين الطريق إلى الهند، الذى تعرض للتهديد بسبب إثارة المسألة الشرقية. ونظر إليها البعض الآخر على أنها مقدمات لحملة «السلام مع الشرف» التى تبناها دزريلى - فيما بعد - عام ١٨٧٨. على كل حال، أفادت الحرب إلى حد ما سلامة الطريق إلى الهند. ولعلها أسفرت عن تحقيق التوازن الدولى كما أرادته انجلترا، واستبدلت الدبلوماسية بالمعاهدات، وسعت إلى تقنين العلاقات الدولية.

ولعل وزير الخارجية البريطانى (بامستون) الذى أجهض محاولة روسيا فى

الوصول إلى المضايق، فى عام ١٨٤١، هو نفسه الذى مارس الدبلوماسية البريطانية بطريقة سرية فى حرب القرم، بحيث يمكن القول أنه سخر كلا من النمسا وفرنسا لخدمة المصالح البريطانية. وهو الذى قال فى تعليقه على المذكرة النمساوية – الفرنسية فى ١٤ نوفمبر ١٨٥٥ إنها «من أجلنا ولكن بدوننا»[٢] . أما محتوى المذكرة فقد تضمن جوهر القضية التى تعنى انجلترا بالدرجة الأولى، وخصوصا مايتعلق بعزل روسيا خلف الدردنيل مع تحييد البحر الأسود. لقد كان الرأى العام البريطانى يساند سياسة بامستون تجاه روسيا دون أن يعرف بتفاصيل دبلوماسيتها. ومع أن شرط تحييد البحر الأسود لم يكن مرغوبا فيه من أى طرف من الأطراف (الروس، الفرنسيين، النمساويين) إلا أن بامستون فرضه إرضاء للرأى العام البريطانى.

وإمعانا فى إذلال روسيا وقع بامستون بعد أسبوعين فقط من معاهدة باريس (٣٠ مارس ١٨٥٦) معاهدة ثلاثية فى ١٥ أبريل ١٨٥٦، مع كل من فرنسا والنمسا، لضمان أمن وسلامة واستقلال تركيا، وكانت هذه المعاهدة – فى الواقع – موجهة ضد روسيا. فقد اشتم بامستون رائحة اتصالات فرنسية – روسية من وراء ظهر بريطانيا، ولم يشأ أن يفصح عن علمه بما جرى. وفى إطار من الدبلوماسية السرية أراد بامستون أن يلزم فرنسا بالعمل ضد روسيا طبقا لما سبق الاتفاق حوله فى حالة مهاجمة روسيا لتركيا، فنجح فى أن يضمن المعاهدة نصا سريا، ليساعد به فرنسا على أن تظل فى جانب الحلفاء عمليا، وفى جانب روسيا ظاهريا. هكذا خدع بامستون روسيا، ومكن فرنسا من أن تخدعها هى الأخرى، صحيح أن شروط الضمان الثلاثى كانت هشة، وتحللت منها فرنسا بعد ستة شهور، ولكن يبقى أن بريطانيا لاتكاد ترى فرصة لمحاصرة روسيا إلا واهتبلتها.

لم يكن الأسلوب البريطانى فى تقليم أظافر نفوذ وطموحات روسيا فى الشرق الإسلامى مقبولا لدى الفرنسيين، فقد أدركوا أن التحالف الأنجلو –

فرنسى، الذى نشأ حديثا وتجسد فى حرب القرم، قد خدم الانجليز بالدرجة الأولى، وأن الجيش الفرنسى كان أداة طيعة لخدمة المصالح البريطانية ،ولم يكن بالإمكان تصحيح ذلك إلا بخداع النفس، وفى إطار من الدبلوماسية السرية.

يشكل ماسبق عرضه جهود بريطانيا فى التصدى لمحاولات روسيا «للخروج من الحصار» عبر أراضى ومياه الدولة العثمانية. أما فى آسيا الوسطى فقد كانت روسيا تضغط على منطقتين بعينهما: الأولى فارس سعيا للوصول إلى مياه الخليج العربى. والثانية أفغانستان سعيا للوصول إلى مياه المحيط الهندى. وكانت بريطانيا تدرك ذلك جيدا. فنراها تسعى أثناء حرب القرم إلى تشجيع أمراء آسيا الوسطى من المسلمين على الثورة ضد التسلط الروسى، وهو أسلوب سعى الطرفان إلى استخدامه ضد بعضهما فى مناسبات عديدة، وفى نفس الوقت تدعم بريطانيا نفوذها فى كل من فارس وأفغانستان[٣].

كانت المناطق الجنوبية فى آسيا الوسطى ومنطقة «الشرق الأوسط» هى المناطق الحيوية الداخلة فى إطار خطة التوسع الروسى فى آسيا، ولعل المرحلة التمهيدية لتنفيذ هذه الخطة قد بدأت فى أيام بطرس الأكبر وانتهت قبيل نشوب حرب القرم مباشرة. وخلالها استولى الروس على القرم (عام ١٧٨٣) وعلى قرغيزيا (أواخر القرن ١٨). وفى أعقاب تلك الحرب، وفى ظل سياسة الحصار التى فرضها الحلفاء الأوربيون على روسيا، لم يكن لها متنفس إلا فى المناطق الآسيوية وهى مناطق فى معظمها إسلامية الطابع.

ففى عام ١٨٦٥ احتلت القوات الروسية طشقند،

وفى عام ١٨٦٨ احتلت بخارى وسمرقند وانتهت امبراطورية بوغر،

وفى عام ١٨٧٣ احتلت خيناء

وفى عام ١٨٨١ احتلت تركستان وعشق أباد ومرو،

وفي عام ١٨٨٥ سيطرت على مساحة تمتد مابين بحر قزوين وجبال تيان شان، ومن جبال أورال وحتى حدود القفقاس (القوقاز).

وفي عام ١٨٩٨ استولت على البامير(٤).

بهذا التمدد السياسي والجغرافي (الجيوبوليتيكي) ضمت روسيا عددا لابأس به من أراضي المسلمين إلى كيان الدولة، واقتربت بشكل مباشر من المناطق الإسلامية الواقعة تحت النفوذ البريطاني، وهنا أصبح الصدام بين الإمبراطوريتين حتمياً.

ورأت حكومة الهند ضرورة العمل على توسيع حدود الهند الشمالية مع بداية الربع الأخير للقرن التاسع عشر، كما طلبت إلى حكومة لندن أن تضغط على روسيا في منطقة بحر البلطيق كي تشغلها عن التوسع في آسيا، ولكن التطورات الأوروبية أدت إلى سرعة التقاء الدولتين في عام ١٨٨٥ فوقعتا معاهدة ثبتت الحدود بين آسيا الوسطى وأفغانستان، وظلت انجلترا في مأمن من الخطر الروسي حتى نهاية القرن التاسع عشر.

وفي مطلع القرن العشرين، أدى تطور العلاقات الدولية، وظهور ألمانيا، ونجاحها في غرس جذور نفوذها في الدولة العثمانية، وفي إيران، فضلاً عن نجاحها في بناء قوة بحرية قادرة على تحدى البحرية البريطانية، أدى كل ذلك إلى تقارب روسي - بريطاني تكتيكي في عام ١٩٠٧، حين إعترفت بريطانيا بالنفوذ الروسي في شمالي فارس، بينما اعترفت روسيا بالنفوذ البريطاني في جنوبيها وفي الخليج. ومع أن هذه الخطوة تعتبر نجاحا ظاهريا للسياسة الروسية، إلا أنها في الواقع تعتبر نجاحا لبريطانيا، التي وضعت حدا لطموحات روسيا في الاتجاه جنوبا نحو المياه الدافئة.

لقد كانت بريطانيا ترقب عن كثب مشاريع السكك الحديدية الروسية، إنطلاقا من خطوط عبر سيبريا وصولا إلى أفغانستان، ومشاريع السكك الحديدية

الألمانية، إنطلاقا من فيينا إلى سالونيك، ومن فيينا إلى بغداد، والتي كانت تهدف جميعا إلى ضرب المصالح البريطانية في الشرق. وفي سبيل التصدي لألمانيا نشطت الدبلوماسية البريطانية لاستقطاب عدويها التقليديين (روسيا وفرنسا)، فكان الوفاق الودي مع فرنسا في عام ١٩٠٤، كما كان الوفاق مع روسيا في عام ١٩٠٧، خطوتين على هذا السبيل[٥].

ويسجل جورج لويد في محاضرة ألقاها بالمعهد البريطاني للشئون الدولية في عام ١٩٢٥[٦]، أن القضايا التي شغلت بال الساسة البريطانيين مع الروس قائمة في منطقة الشرق الأوسط، والخليج العربي، والبحر الأحمر، وشرق البحر المتوسط، وإيران، والهند وهي مناطق تتطلع إليها روسيا بشغف. ووجه النصح لبريطانيا أن تضع سياسة واضحة المعالم تجاه استمرار وجودها في تلك المناطق، حتى تتمكن من مواجهة المنافسة الأجنبية. وصرف جورج لويد بعض الوقت لبيان أهمية الهند على الأخص، ووصفها بأنها محور سياسة بريطانيا الخارجية في الشرق، في مواجهة منافسة الدول الأخرى. ويعتقد جورج لويد في أنه «لايوجد مكان في الامبراطورية يمكن وضعه على قدم المساواة مع الهند في أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية في ذلك الوقت ...».

وبذلك نجحت بريطانيا في دخول الحرب العالمية الأولى وإلى جانبها كل من فرنسا وروسيا[٧]. وحين انتهت الحرب كان قد تأكد أن بريطانيا خسرت روسيا إلى الأبد. فلم تعد روسيا، فلم تعد روسيا، كما كانت روسيا القيصرية، ذات الأطماع التوسعية، ولكنها صارت إلى جانب ذلك روسيا الثورة البلشفية، بما في ذلك من تصادم أيديولوجي حتمي[٨]، ليس مع بريطانيا وحدها، ولكن مع العالم الرأسمالي كله، لأن الروس الجدد كانوا يرون أن «تحقيق أفكارنا تحقيقا كاملا لايتم إلا بقلب النظام الرأسمالي بأكمله»[٩] ويعكس هذا التصريح صورة مستقبل العلاقات الروسية - البريطانية على مرآة الشرق.

٢ - الاستراتيجية السوفيتية فى الشرق:

شغل الروس بشئونهم الداخلية والحرب الأهلية بعد نشوب الثورة البلشفية، وبدا الشرق فى هذه المرحلة المبكرة عرضة للنسيان، ولكن بعد نجاح الثورة انقسم الشيوعيون فى روسيا على أنفسهم حول الوجهة التى ستنتقل إليها عدوى الثورة فرأى البعض أن فى الإمكان العمل على تكوين أوربا السوفيتية، ورأى البعض الآخر أن مستقبل الحركة الاشتراكية هو فى آسيا، ولكن يضعف من هذا الاتجاه وجود أعداد كبيرة من المسلمين فيها، مما يجعلها عبئا على الشيوعية، ذلك أن لينين لم يقدم لمؤيديه أفضل مما قدم الإسلام لمعتنقيه(١٠).

ومع ذلك، فقد كان لينين أكثر زعماء البلاشفة اهتماما بشئون آسيا، وكان يرى أن قضية الاستعمار والتحرر يمكن أن تخدم روسيا الجديدة، فى حال وقوفها إلى جانب الشعوب المغلوبة على أمرها، وكان يعتقد فى أن مصير العالم سيتقرر من آسيا، باعتبار أن أغلبية الجنس البشرى يتركز فى الهند والصين وروسيا. وعلى ذلك فإن يقظة آسيا يجب أن تعطى أولوية عند نشر الفكر الشيوعى خارج روسيا. ولعل لينين يختلف فى ترتيب الأولويات مع كل من ماركس وانجلز، اللذين كانا يريا إمكانية تخليص المستعمرات الآسيوية من الاستعمار الأوربى بعد انتصار الثورة الشيوعية في أوربا أولا(١١).

وتكمن مشكلة الزعامات الروسية الجديدة فى عدم القدرة على ممارسة سياسة شرقية واضحة، نتيجة لإفتقارها إلى تنظيمات قيادية فى الشرق، هذا مع أن الشعوب الإسلامية فى روسيا تعاونت منذ بداية الثورة مع العناصر البلشفية لتدمير رموز الدولة القيصرية والقوى المؤيدة لها فى الداخل. وبالتالى كان من الضرورى الاعتماد على العناصر المتطرفة من بين الشرقيين أنفسهم، وخاصة من دعاة فكرة الوحدة الإسلامية، أو الوحدة التركمانية(١٢).

وساعد على سرعة التقاء روسيا الجديدة بالشرق، أن الشرقيين كانوا

ينظرون إليها على أنها شبه أوربية وشبه شرقية، وأن الفواصل الجغرافية بينها وبين الشرق ليست مانعة. وأن بموسكو كلية للدراسات الشرقية، وكذا في لينتجراد والمدن الكبرى مراكز شرقية مماثلة. كما أن الجيش الأحمر أنشأ دائرة شرقية لتخريج ضباط مهيئين للعمل في بلاد الشرق. ثم أسس الحزب الشيوعي في عام ١٩٢١ «الجمعية العامة لاتحاد المستشرقين» التي صدرت عنها مجلة «الشرق الجديد». وأكد اتحاد المستشرقين على الصلة بين نضال الطبقة العاملة في الغرب وكفاح الشعوب المضطهده في الشرق. واختص مجموعة من المستشرقين بأحوال البلاد الإسلامية، وتوصل هؤلاء إلى أهمية التركيز على الجانب القومي دون الجانب الشيوعي في هذه المرحلة المبكرة[١٣].

وكانت سياسة الثورة الروسية البلشفية في آسيا بادىء الأمر مبنية على أساس استنفار القوميات المختلفة، مما جعلها تلقى قبولا لدى الشعوب الآسيوية المستعمرة وشبه المستعمرة. وكان رفع البلاشفة لشعار المساواة والسيادة لجميع شعوب روسيا، وحقها في تطوير الأقليات القومية، من بين العوامل المشجعة للشعوب الآسيوية كي تضع ثقتها في الثورة التي تحمل لها أملا جديدا في الحرية. وهكذا كان للثورة البلشفية مردودات ايجابية على الشعوب الآسيوية، ومردودات سلبية على الاستعمار الأوربي (البريطاني والهولندي والفرنسي).

صحيح أن الشيوعيين كانوا يدركون أن تبني الاتجاهات القومية يتناقض وجوهر الفكرة الشيوعية. ولكن ذلك مردود عليه بأن مناصرة الاتجاهات القومية في آسيا كانت موقفا تكتيكيا يهدف إلى تجميع شعوبها حول هدف محدد وهو ضرب الاستعمار الغربي هناك، فإذا نجحوا في ذلك يمكنهم بوسائل أخرى ضرب الحركات القومية في مرحلة تالية. ومن هذا المنطلق أقيمت الاتصالات بزعماء الهند لضرب بريطانيا، وبزعماء اندونيسيا لضرب هولندا. وروعي في هذه الاتصالات الفصل الواضح بين الحركة الشيوعية والبرجوازية الوطنية في تلك البلاد. واتخذوا نفس الاحتياطات تجاه الحركة الإسلامية حين

قرورا التعاون معها فى حدود العمل على مواجهة الاستعمار. أما مسألة «وحدة الشرق» التى تبنتها الحركة الإسلامية فبقدرماكان فيها من إيجابيات مرحلية، كان فيها كذلك سلبيات خطيرة على الشيوعية فى المدى البعيد(١٤).

وبناء على الأسس السابقة، أعلنت القيادة الروسية الجديدة فى ٣ ديسمبر ١٩١٩، أن جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية بموقعها بين أوربا وآسيا، تعتبر نفسها سندا لآسيا الواقعة تحت سيطرة الاستعمار الأوربى، وأنها ستتبنى هذا الموقف حتى تتحرر شعوبها. وتطبيقا لذلك أقدمت روسيا على تقديم المعونات لكل من أفغانستان وتركيا ومنغوليا(١٥).

هكذا كانت إطلالة الثورة الروسية على العالم الخارجى فى آسيا، بعد أن شغلتها شئونها الداخلية لتثبيت أقدام النظام الجديد(١٦). ولكن سبقت ذلك محاولة لإثبات حسن النوايا، حين أعلن الزعماء الروس فى مستهل الثورة إلغاء جميع المعاهدات السرية التى عقدتها روسيا القيصرية مع الدول الكبرى، بهدف تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية فى أوربا وآسيا فيما بينهم. وكان الروس الجدد يهدفون من وراء ذلك إلى فضح سياسة روسيا القيصرية، والتنديد بالسياستين البريطانية والفرنسية. ومع نهاية عام ١٩١٧ وجه الزعماء الروس بيانا إلى الطبقة العاملة فى روسيا والشرق، ومن بينهم عدد كبير من المسلمين فى آسيا الصغرى وإيران وأفغانستان والهند وشبه الجزيرة العربية، يدعونهم إلى أن يهبوا فى وجه الظلم والاستعمار وألا يخشوا روسيا الجديدة، ووعدوهم بتقديم العون لهم(١٧).

وأكد الروس للمسلمين خاصة، فى داخل روسيا وخارجها، على أن «عقيدتكم وتقاليدكم ومؤسساتكم الثقافية، تعتبر منذ الآن حرة وذات حصانة. ابنوا حياتكم القومية بحرية ودون عقبات، ولكم الحق فى ذلك»(١٨).

استشعر المسلمون الروس أن بامكانهم أن يتنسموا هواء جديدا للحرية فى

روسيا الجديدة فقد كانوا من قبل «يجتازون أزمة عنيفة»، وكانت الحياة عسيرة أمام الجميع، ولذلك لم يترددوا فى مناصرة الثورة، واعتبروا أن الكفاح من أجل حريتهم كفاح مقدس. وعبر بعضهم عن ذلك بقوله «لقد وجدت الثورة أحر استجابة فى قلوبنا، وأقيمت شعائر خاصة فى الجوامع ... وابتهل الجميع إلى الله أن ينصر قضية الشعب ... وتشكلت المجالس السوفيتية للمسلمين»(١٩).

ولعل الزعماء الروس وقفوا هذا الموقف من المسلمين، بادىء ذى بدء، لأن المسلمين كان لهم دور حيوى فى حركات التمرد ضد النظام القيصرى، وخاصة قبيل الثورة، حين عقدوا - على سبيل المثال - موتمرا فى طشقند حضره ممثلون عن الفئات المسلمة فى وسط آسيا، وقرروا قيام جمهورية إسلامية مستقلة فى طقشند برئاسة شيخ الإسلام، وحين قامت الثورة الروسية واصل المسلمون د.رهم الإيجابى بتأييدها، ومباركة القادة الجدد مرحليا.(٢٠)

وجرياً على هذه السياسة، شارك عدد من زعماء المسلمين فى مؤتمر تحرير الشرق فى باكو عام ١٩٢٠ وألقوا خطبا حماسية. ومع ذلك لم تكن صورة الشرق فى عيون الزعماء الروس واضحة. وأدرك الروس أن التغييرات الجذرية التى تعتزم الثورة إحداثها فى آسيا غير محتملة الوقوع قبل مرور عدة أجيال، بسبب العداء الجوهرى بين الإسلام والشيوعية. وحين أدرك زعماء المسلمين هذه الحقيقة، كان ذلك بداية النهاية لتعاونهم بحماس مع الثورة، لأن الإسلام فضلاً عن كونه دينا سماويا، فإنه أسلوب كامل للحياة. ولعل أخطر نتيجة أسفر عنها مؤتمر باكو هى أنه مزق أيديولوجية الوحدة الإسلامية(٢١)، ذلك أنه سعى إلى ربط المسلمين الروس بالطبقة العاملة فى العالم، وهى صيغة جديدة للوحدة، ألغت الصيغة الإسلامية - نظريا - بين معتنقى هذا الاتجاه الجديد.

وكانت محاولات الروس الاتصال بالعالم الإسلامى، وتشجيعه على

الوقوف ضد الاستعمار الغربي تهدف - بالدرجة الأولى - إلى كسب ... وتأييده، لدعم الثورة معنويا في الداخل وفي الخارج. وبعبارة أخرى، لم يكن الهدف هو معاونة تلك الشعوب على نيل استقلالها، في هذه المرحلة المبكرة من الثورة، بقدر ما كان الهدف هو خلخلة الضغط البريطاني على روسيا الجديدة من ناحية الجنوب.

ومن هذا المنطلق سعى الروس إلى استقطاب الحكومات الإسلامية المجاورة فعقدوا معاهدات ود وصداقة مع كل من إيران وتركيا وأفغانستان في عام ١٩٢١. وكان هناك إتجاه قوى مفاده أن تركيا هي الحليف الوحيد لروسيا الثورة في آسيا. وبالطبع كان لهذا الانطباع شواهده ودلالاته، ولكن الحقيقة مالبثت أن تكشفت حين انقلب مصطفى كمال على العناصر الشيوعية في تركيا. ووقف الزعماء الروس على خطأ نظرتهم إلى تركيا الكمالية، ومع ذلك رأوا أن من الحصافة السياسية ألا يخسروا مصطفى كمال، كما خسروا العناصر الشيوعية التركية[٢٢].

وكانت كل من إيران وأفغانستان في المجال المباشر لاهتمام العناصر الروسية الجديدة، وذلك من ناحيتين، الأولى أنهما يشكلان واجهة إلى جنوب آسيا ومخارج إلى المياه الدافئة، كما كانت تركيا، والثانية أن فيهما معترك حتمى مع بريطانيا في المستقبل. ولذلك لم يتجاهل القادة الروس حركة التمرد التي قامت في إقليم غيلان شمالي إيران، اعتقادا منهم أنها موجهة ضد بريطانيا[٢٣].

ولكن طموحات الروس السياسية لم تتحقق في أي من تركيا أو إيران أو أفغانستان، بسبب الحاجز الإسلامي، وبسبب الحاجز القومي الذي ظهر وتبلور قبل الثورة الروسية. ومهما يكن من أمر، فقد كان هدف الروس المباشر هو إقامة مجموعة من الدول الحاجزة بينهم وبين الحضور البريطاني في آسيا، في محاولة للتصدي للهيمنة البريطانية، ورفع الحصار المفروض على روسيا من جانب

الدول الغربية بزعامة بريطانيا. ولم يكن هدف روسيا فى هذه المرحلة هو نشر الفكر الشيوعى بأى حال(٢٤). وما يقال عن تركيا وإيران وأفغانستان يمكن أن يقال -- فى شكل أو فى آخر - عن الهند، التى كانت الأفكار القومية قد ظهرت فيها وتبلورت مبكرا. ولذلك لم تعط اهتماما كبيرا لماجاءت به النظرية الشيوعية.

ولكن هناك مناطق آسيوية إسلامية لم تتبلور أفكارها القومية قبل الثورة الروسية. ولذلك كان للشيوعيين فيها أثر كبير على توجيه القوى الوطنية العاملة من أجل التحرير والاستقلال مثل أندونيسيا والهند الصينية. فقد ظهرت الأحزاب الشيوعية فى تلك المناطق فى الفترة مابين ١٩٢٠ و١٩٢٣، وصار لها نفوذ كبير فى عام ١٩٢٦ (٢٥) ومنذئذ والأفكار البلشفية تفعل فعلها ضد الهولنديين والبريطانيين خاصة. وسوف نرى آثار ذلك عند الحديث عن النشاط السوفيتى فى الحجاز.

وخلاصة القول أن الثورة البلشفية وجدت ردود فعل متفاوتة بين الشعوب الآسيوية. فالبلاد التى تعمق فيها تأثير الاستعمار كانت بيئة مناسبة لتلقى الأفكار البلشفية، أما البلاد التى كان بناؤها الاجتماعى متماسكا نسبيا، مثل فارس وأفغانستان فلم تكن أصداء الفكر البلشفى فيها قوية. وليس من المقبول القول أن شبه الجزيرة العربية، فى هذه المرحلة المبكرة من الثورة البلشفية، كانت داخلة فى استراتيجية نشر الفكر البلشفى، لأسباب كثيرة نذكر منها الآن أن بناءها الاجتماعى كان متماسكا، وفيما عدا عدن، لم يكن الاستعمار الغربى قد تغلغل فيها بعمق، وأن اتجاهاتها القومية والإسلامية تضمن لها حماية خاصة من تلك الأفكار البلشفية.

وإذا كانت المناطق العربية - الإسلامية محصنة بالإسلام ضد المد الشيوعى، فقد أدرك السوفيت هذه الحقيقة مبكرا، حين رأوا ضرورة التعامل

والتعاون مع المسلمين الروس، لأن اضطهادهم كان من شأنه أن يخلق جوا غير مناسب للسوفيت في العالم الإسلامي، في وقت كان السوفيت يسعون فيه إلى كسب الأصدقاء في المناطق الإسلامية المجاورة لبلادهم بشكل مباشر (تركيا، إيران، أفغانستان) خاصة وأن هذه المناطق تعتبر امتدادا جغرافيا لعمق كبير من البلاد العربية - الإسلامية واجهته (سوريا - العراق - شبه الجزيرة العربية) ولهذا نظر السوفيت إلى هذه المناطق العربية نظرة خاصة، وحددوا مصالحهم فيها بأنها: حرمان الغرب من أي حضور فعال فيها، أو مايمكن تسميته «مصلحة حرمان».(٢٦)

ولايجب الخلط في هذه المرحلة بين الموقفين السياسي والأيديولوجي للفكر الشيوعي من الفكر الإسلامي، فالاجتهاد السوفيتي في الإسلام اجتهاد سلبي تماما، والعلاقة بين الشيوعية والإسلام أكثر تعقيدا من العلاقة بين الشيوعية والأديان الأخرى، لأن الإسلام طريقة حياة، وتصفيته إنما تعني إلغاء نظام اجتماعي بكل مافيه من عادات وأعراف وسنن، وهو أمر مستحيل. ولهذا كله كانت علاقة السوفيت بالإسلام علاقة حذرة في المراحل المبكرة من الثورة الروسية. ولذلك فمع أن فكرة الوحدة الإسلامية لم تكن مقبولة لدى القادة السوفيت، إلا أنهم اضطروا إلى مؤازرتها مرحليا. أما الوحدة الطورانية فقد كان لها تأثير سلبي مباشر على السوفيت، لأن تحقيقها يجر إلى انفصال مناطق بعينها عن الاتحاد السوفيتي(٢٧).

أما موقف السوفيت من حركة القومية العربية أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها. فيمكن القول أنها لم تلق اهتماما كبيرا لدى السوفيت. فقد نظر إليها بعضهم على أنها ذات اتجاهات إيجابية، ونظر إليها البعض الآخر على أنها تفتقر إلى برنامج اجتماعي واضح. وأن زعماءها منقسمون على أنفسهم، بعضهم تناصره بريطانيا، والبعض الآخر تناصره فرنسا، وهي في النهاية مناورة قومية تكتيكية تسعى لتحقيق مصالح العرب العليا، وبعدها ينفض كل إلى سبيله. هذا

بينما أتى السوفيت على الموقف فى مصر، التى لم تكن طرفا فى حركة القومية العربية وقتئذ، ولأن بيئتها أكثر ملاءمة للفكر الشيوعى، ولأن الشيوعيين فى مصر يعملون بحماس ضد الحضور البريطانى فيها(٢٨). لكل ماسبق عقد السوفيت آمالا كبيرة على مصر، وبدا الأمر وكأنه تعاون بين الحركة الشيوعية والحركة الوطنية.

ولم يكن الحجاز تحت حكم الملك عبد العزيز آل سعود طرفا فى حركة القومية العربية، ولاطرفا فى حركة الخلافة الإسلامية، ولذلك رأى فيه السوفيت فرصة مناسبة لتطلعاتهم فى المنطقة العربية - الإسلامية، وخاصة بعد ما انتكست آمالهم مع رضا خان فى إيران فى عام ١٩٢٥، كما انتكست آمالهم مع مصطفى كمال فى تركيا من قبل.

وبعد أن عرضنا لنماذج من الاستراتيجية السوفيتية فى الشرق، نرى كيف تعاملت بريطانيا معها؟.

٣- العلاقات البريطانية - السوفيتية ١٩١٧ - ١٩٢٧:

نشأت جمهورية روسيا الاتحادية السوفيتية فى أعقاب الثورة البلشفية إبان الحرب العالمية الأولى، بينما كانت الدول الأوربية مشغولة عنها بالحرب. وهيأت تلك الظروف فرصة مناسبة لظهور أول دولة اشتراكية فى العالم. واختفت بذلك روسيا القيصرية التى كانت حليفا مرحليا لبريطانيا وفرنسا فى هذه الحرب ضد ألمانيا وحلفائها. وبعد أن فرغ الحلفاء من الحرب فى أوربا وجهوا ضرباتهم نحو الثورة البلشفية فى روسيا الجديدة، مستعينين على ذلك بقدامى الضباط فى الجيش القيصرى الروسى من بين أعداء الثورة، الذين فروا إلى مناطق الحدود وشكلوا وحدات الحرس الأبيض. وقد لعب وزير الحرب البريطانى، تشرشل، دوراً نشيطا فى هذا المجال، ونجح فى إمداد عناصر المعارضة الروسية بمائة وخمسين ألف جندى بريطانى وفرنسى وأمريكى وياباني وإيطالى

وفي ربيع عام ١٩١٨ بدأت العمليات العسكرية ضد روسيا الثورة. فضغطت القوات البريطانية والفرنسية على الجبهة الشمالية، بينما ضغطت القوات البريطانية والأمريكية واليابانية على الجبهة الشرقية، وكانت القوات الألمانية ماتزال تحتل كييف، والقوات الرومانية تحتل بيسارابيا، والقوات التركية ماكثة في باطوم وباكو، والقوات الفرنسية واليونانية والبريطانية نشيطة في البحر الأسود، وباختصار كان يحيط بروسيا الثورة حوالى مليون جندى من مختلف الدول الأوربية المعادية لفكر الثورة البلشفية[٢٩]. وقال لينين مفسرا هذا الموقف الأوربى: إن هذه الدول تسعى إلى «خنق البلشفية العالمية، وخنق حليفتها الرئيسية جمهورية روسيا السوفيتية. ولهذا فهم يعتزمون بناء سور صينى (جديد) لحماية أنفسهم من البلشفية ... بوضعها في الحجر الصحى، ولكن هذا أمر محال ...»[٣٠].

لاشك في أن بريطانيا قد حسمت موقفها من روسيا الجديدة بتزعمها عملية الحصار الأوربى لها، ولكن بنفس القدر من الحسم أعلن الزعماء السوفيت إستحالة فعالية هذا الحصار، لأن «عدوى البلشفية ستمزق جميع الأسوار وتصيب عمال جميع البلدان»[٣١]. وسيؤدى فشل «الامبريالية العالمية»، التى وصفها لينين بأنها «عدو قوى تغلب على العالم بأسره»، إلى نهاية حتمية للامبريالية الأنجلو - فرنسية، كما انتهت الامبريالية النمساوية - الألمانية، لأن ذلك واقع تاريخى[٣٢].

الواقع أن تصريحات لينين كانت تعكس أفكارا ثورية بغير إمكانيات لتنفيذ تلك الأفكار، فلم تكن روسيا بعد عامين اثنين من الثورة والحرب الأهلية قادرة على أن تتحدى الامبريالية العالمية. لقد كانت روسيا في حاجة إلى وقت وجهد ومال ووحدة داخلية ومؤازرة خارجية. ولم تكن هذه الحقيقة غائبة عن لينين، الذى رأى أن من الحصافة تأجيل الصراع مع الامبريالية البريطانية، حين أعلن: إن «جمهورية روسيا السوفيتية ترغب في العيش بسلام مع جميع الشعوب وفي

توجيه جميع قواها نحو البناء الداخلى ...». ولكنه يتدارك أن دول الوفاق لم تشأ أن تترك روسيا وشؤونها الداخلية، وآثرت أن تفرض عليها «حصار التجويع»[٣٣].

ومن التناقضات الظاهرية أن بريطانيا، التى تزعمت سياسة الحصار ضد روسيا فى عام ١٩١٩، هى نفسها التى اقترحت على الحلفاء إنهاء تلك السياسة فى مطلع العام التالى. فقد دعا رئيس الوزراء البريطانى إلى البدء فى التفاوض مع الحكومة السوفيتية فى روسيا. والتغيير الذى حدث فى السياسة البريطانية ليس جوهرياً، بأى حال، فأسباب الصراع مازالت قائمة، ولكن البريطانيين كانوا مدفوعين إلى ذلك بتأثير مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية، فقد أصبحت العلاقات الروسية - البريطانية موضوعا رئيسيا من موضوعات الانتخابات العامة فى بريطانيا لدورتين على الأقل. وكذلك تبين مع الوقت أن مساهمة روسيا فى تسويات مابعد الحرب صار أمرا حيويا، كما اتضح أنه لامعنى للحديث عن السلام العالمى ونزع السلاح بغير أن تكون روسيا طرفا فى هذا الحديث. ومحاولة بريطانيا النهوض بألمانيا اقتصاديا وإصلاح ماخربته الحرب فيها لايمكن أن يتحقق بالسرعة المطلوبة، لإعادة التوازن إلى أوروبا، بغير تنشيط التجارة مع السوفيت[٣٤].

وبالرغم من السلبيات فى الجانب السياسى من الصورة إلا أن الجانب الاقتصادى بدا أكثر إشراقا. ذلك أنه فى العام التالى (١٩٢١) عقدت لندن معاهدة تجارية مع موسكو، وكانت بريطانيا بذلك أول دولة غربية تقدم على مثل هذه الخطوة. وأدرك السوفيت أنهم انتصروا على الدول الرأسمالية، وخاصة بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا، وأن انتصارهم جاء نتيجة لصلات روسيا بشعوب هذه الدول، بحيث صارت هذه الشعوب عناصر ضغط على حكوماتها، وأدى ذلك إلى وقف الصدام المباشر بين تلك الحكومات والحكومة السوفيتية على أرض المعركة[٣٥].

وصف لينين نجاح السياسة الروسية في تلك المرحلة بأنه «خارق للعادة»، وذلك لأن الحلفاء «لم يعترفوا بنا بعد»[٣٦]. فقد بنيت الاستراتيجية الروسية في هذه المرحلة على ضرورة قيام علاقات ودية مع كل من انجلترا وفرنسا، لأن قدرات روسيا لاتسمح لها بالتصادم العسكرى أو السياسى مع هاتين الدولتين الكبيرتين. وكان السوفيت متأكدين من كسب الجولة في المرحلة المقبلة، وخاصة إذا بنوا سياستهم الخارجية على «التعايش السلمى مع جميع الشعوب»، لأن العالم الغربى فى نظرهم قد تفسخ بعد الحرب العالمية الأولى، ولابد لروسيا أن تستفيد من هذا التفسخ، ويقول لينين «لقد فرقتهم مصالحهم الخاصة، وزادتنا مصالحنا الخاصة تماسكا»[٣٧].

وإذا صحت مقولة لينين السابقة عن أوربا، فإن بريطانيا كانت معنية بها أكثر من غيرها من الدول الأوربية، لأنه إذا كانت بريطانيا تعتبر مركز الرأسمالية العالمية، فإن روسيا كانت بنفس القدر مركز الاشتراكية العالمية. ولهذا تحملت بريطانيا مسئولية مواجهة روسيا أكثر مما تحملت أى دولة أخرى غربية فى هذه المرحلة على الأقل. ومع ذلك فالأمر بالنسبة لبريطانيا كان مايزال جد خطير، لأن الموقف البريطانى فى آسيا كان أضعف منه فى أوربا، ذلك أن روسيا الثورة أعلنت نفسها حاميا لحقوق الأمم الآسيوية فى تقرير مصائرها[٣٨]. وهكذا تهيأت فرص الصراع البريطانى السوفيتى فى آسيا، وبدأت الدولتان أو - إن شئت - الأيديولوجيتان تصطدمان لتشكلا بذلك وجها جديدا لصورة الصراع البريطانى - الروسى.

لقد كان الروس يهيئون أنفسهم لمرحلة جديدة من الدفاع عن النفس وتطبيق استراتجيتهم فى آسيا. وفى ٢٦ ديسمبر ١٩٢٢ اتخذ المؤتمر العاشر لسوفيتات عموم روسيا قرارا جاء فيه: «لقد حان الوقت لتوحيد جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفيتية، وجمهورية أوكرانيا، وجمهورية ماوراء القفقاس، وجمهورية بيلوروسيا فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية. وبعد أربعة أيام

اجتمع مؤتمر السوفيتات الأول لعموم الاتحاد السوفيتى، واتخذ قرارا بتأسيس دولة واحدة متعددة القوميات تحمل اسم «اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية». وبعد عامين (١٩٢٤) تم اقرار الدستور السوفيتى الأول(٣٩).

وهكذا يعتبر عام ١٩٢٤ مهماً فى تاريخ الاتحاد السوفيتى، وخاصة فى تاريخ سياسته الخارجية، ذلك أن بريطانيا تزعمت العالم الغربى فى محاولات الاقتراب من الدولة الاشتراكية الأولى في العالم فاعترفت بها، وأومأت إلى باقى الدول الأوربية الأخرى كى تسلك مسلكها. ولم يكن الاعتراف البريطانى بالسوفيت إعترافا تلقائيا بنظام الحكم الجديد فى روسيا، وإنما كان اعترافا بالشرعية الدستورية الجديدة القائمة فى الاتحاد السوفيتى.

ولاشك فى أن هذه الخطوة من جانب بريطانيا كانت البداية فى تطوير العلاقات السوفيتية بالعالم الخارجى. وتحقق بذلك للدبلوماسية السوفيتية ماكانت تسعى إليه فى هذه المرحلة من تأسيس علاقات ودية مع العالم الرأسمالى، تقوم على أساس من المساواة والمصالح المتبادلة. وكان السوفيت يرون أن مثل تلك العلاقات لايمكن أن تقف على قدمين ثابتتين بغير تحقيق انجازات اقتصادية من ورائها، دون أن يكون لذلك تأثير على البناء الاجتماعى أو الاقتصادى للسوفيت(٤٠).

لقد كانت الأسباب الإقتصادية وراء مبادرة بريطانيا بالاعتراف بالحكومة السوفيتية. ومن جهة أخرى كانت ضغوط الجماعات العمالية فى داخل بريطانيا على حكومة العمال برئاسة رمزى مكدونالد، الذى كان يشغل فى الوقت نفسه منصب وزير الخارجية، من بين العوامل الرئيسية الدافعة لإنهاء الموقف البريطانى المتنكر للسوفيت، وأكثر من ذلك أن مسألة الاعتراف بالاتحاد السوفيتى دخلت فى البرامج الانتخابية لحزبى العمال والأحرار البريطانيين. وتزعم حزب المحافظين فكرة إقامة العلاقات بين البلدين، ورأى أن بريطانيا

سوف تستفيد إقتصاديا من وراء ذلك. وهكذا شهد يناير ١٩٢٤ بداية الاتصالات البريطانية السوفيتية حول الموضوع، وأعلن مكدونالد أن الاعتراف بالحكومة السوفيتية سيتم دون شروط. وفى أول فبراير كان ذلك أمرا واقعا(٤١).

وشهدت الفترة التالية نشاطا مكثفا لتعميق العلاقات الاقتصادية البريطانية – السوفيتية. ولم يفلح مؤتمر لندن لتطوير العلاقات التجارية البريطانية – الروسية فى مهمته. ومع أكتوبر من العام نفسه (١٩٢٤) حل البرلمان البريطانى، ودعت حكومة العمال إلى انتخابات عامة، وفشلت فى الوصول إلى الحكم، بينما أمسك المحافظون به.

وفى ٢٤ نوفمبر أعلن رئيس الوزراء الجديد (ستانلى بلدوين) أنه لا يمكن أن يتبنى مسألة التصديق على الاتفاقيات المبدئية التى سبق أن وقعتها حكومة العمال مع السوفيت. وانضم الأمريكيون إلى حكومة المحافظين فى تبنى هذا الاتجاه السلبى، واتسمت العلاقات بين البلدين بالتوتر. وتزعم أوستن تشمبرلين، وزير الخارجية، سياسة بريطانية جديدة، مبنية على أساس تدمير هيبة الاتحاد السوفيتى ومركزه الإقتصادى، باعتبار أنه البلد الذى صار مصدرا لإزعاج العالم الرأسمالى.

وسعت بريطانيا إلى قيادة العالم الغربى من جديد ضد الاتحاد السوفيتى، ولكن مصالح الدول الغربية كانت متفاوتة. فدعت بريطانيا إلى مؤتمر لوكارنو فى أكتوبر ١٩٢٥، وحضرته بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا، لإقناع ألمانيا بالوقوف ضد الاتحاد السوفيتى، مقابل إدخالها عضوا فى عصبة الأمم. وتجلى أثر ذلك فى تشكيل تحالف الراين الذى وقعته فى لوكارنو كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وإيطاليا. وبذلك نجح الأمريكيون والبريطانيون فى تكوين جبهة سياسية وأخرى إقتصادية فى مواجهة الاتحاد السوفيتى(٤٢).

لقد كانت العلاقات البريطانية – السوفيتية تهتز بسرعة خلال عامى

١٩٢٥ و ١٩٢٦، بسبب تأليب السوفيت للحركات العمالية فى بريطانيا، وهو أمر احتجت عليه حكومة المحافظين بشدة. وأخذت الدولتان فى إصدار الإعلانات الرسمية، واتهم السوفيت بريطانيا بأنها لم تسر فى طريق السلام بينما اتهم البريطانيون السوفيت بعدم الالتزام بتعهداتهم فى المعاهدات التجارية بين البلدين (٤٣).

وفى ٢٠ أكتوبر ١٩٢٦ صرح تشمبرلين بأن هدف «الدولية الثالثة» الأصيل هو إعلان الثورة فى العالم على اتساعه، والدعاية ضد بريطانيا، وأكد على أن جميع نشاطاتها تحمل هذا الطابع، لأن بريطانيا هى العقبة الأولى أمام نشر الشيوعية الدولية، ونبه إلى أن «عملاء السوفيت نشطون ضدنا، وأساليبهم متنوعة، ففى الشرق حيث النشاط الأعظم للسوفيت، ليست كلمة «الشيوعية» هى الكلمة البراقة، ولكنها كلمة «القومية» وأكد تشمبرلين على عدم جدوى قطع العلاقات الدبلوماسية مع السوفيت «لأننا لن نجنى من وراء ذلك أية ميزة عملية، فالدعاية لن تتوقف بقطع العلاقات، كما أن إلغاء المعاهدة التجارية سيؤدى إلى أن تذهب التجارة إلى ايدى غيرنا، وليس من المرغوب فيه أن تعامل روسيا كما يعامل المجذوم، الذى لايجب أن نقيم معه اتصالا، لأنه من خلال الاتصال يمكننا أن نتابع تطويره وتحضيره» (٤٤).

واستبعد تشمبرلين تطوير العلاقات البريطانية - السوفيتية لأن «الحكومة السوفيتية تنظر إلى الحكومة البريطانية نظرة شك وريبة، وإلى جانب ذلك هناك «الرغبة التقليدية فى التوسع تجاه الهند، وهو أسلوب قديم، سابق على الثورة، مما يجعلها عدواً موروثا فى آسيا يهدد مصالحنا واتصالاتنا بالشرق. وهذا الاتجاه موجه الآن نحو الصين وأفغانستان وفارس، حيث أنها جميعا من أهداف السوفيت لتأسيس نظام من الجمهوريات التابعة» (٤٥).

لقد كانت بريطانيا تخشى نتائج التحالف السوفيتى - الصينى، الذى إذا

ماقدر له أن يتطور فإنه سيقدم للبلدين اتصالا آسيويا وعمقا فى وسط القارة، وهو ماتسعى إليه روسيا بالفعل منذ عام ١٩٢٥. والحق أن سياسة روسيا فى آسيا أصبحت أكثر تحديا لبريطانيا منذ وصل المحافظون إلى الحكم، وذلك فى محاولة من جانبها لضرب النفوذ البريطانى فى الهند، التى كانت فى نظر بريطانيا أكثر أهمية من أى مكان آخر فى آسيا فى ذلك الوقت بالذات، لأنها منطلق بريطانيا الوحيد لمهاجمة التحالف الروسى - اليابانى الذى عقد فى نفس العام (١٩٢٥) والذى يهدد مصالح بريطانيا الاقتصادية فى الشرق. ويخلص جورج لويد إلى أن يد روسيا وراء كل التطورات المعادية لبريطانيا فى اليابان والصين ووسط آسيا. وأن نشاط روسيا السوفيتية يؤثر العمل فى هذه المناطق الآسيوية على غيرها من المناطق الأخرى فى العالم، لأنها المنطلق المناسب لمهاجمة الغرب[٤٦].

لقد كان كل شىء يسير عكس اتجاه توطيد العلاقات البريطانية - الروسية الناشئة. ومع صيف عام ١٩٢٧، أى بعد عشر سنوات من الثورة البلشفية، لم يكن الطرفان على استعداد لأن يتفاهما، بسبب التناقض الشديد بين الأيديولوجيتين، وبسبب التنافر الشديد فى السياسات. وفى ٢٦ مايو ١٩٢٧ وافق البرلمان البريطانى على قرار الحكومة بقطع العلاقات مع السوفيت. وأبلغ السفير الروسى فى لندن بذلك فى اليوم التالى[٤٧].

وهكذا راح البريطانيون يستقطبون الدول الأوربية وخاصة ألمانيا، التى استفادت كثيرا فى المجال الاقتصادى من تدهور العلاقات البريطانية - السوفيتية، ويحولون بينها وبين الارتماء فى أحضان الروس، فتصبح حلقة وصل بين روسيا والغرب، بدلاً من أن تكون واجهة تصدها نحو الشرق، وتحول بينها وبين تكوين جبهة آسيوية ضد بريطانيا. بينما راح السوفيت يستثمرون كل الفرص، صغيرها وكبيرها، لضرب النفوذ البريطانى فى الشرق، بالضرب على أوتار الثورة، والتحرير، والقومية، والعالمية، فى مخاطبة الشعوب المقهورة والمظلومة وهنا

برزت أهمية الحجاز، كملتقى إسلامى سنوى عام، فى مخاطبة السوفيت للعالم الإسلامى، وبالتالى كمنطلق جديد لتعزيز أركان الاستراتيجية السوفيتية فى الشرق الإسلامى بخاصة. ومهما يكن من أمر فإن النشاط الدعائى السوفيتى فى الحجاز لم يكن إلا محاولة على جانب واحد من اللوحة التى سعى السوفيت إلى رسمها للمشرق الإسلامى الجديد.

حواشي الفصل الأول:

١- حول دراسة تفصيلية للعلاقات البريطانية - الروسية بشأن المناطق الإسلامية المجاورة لروسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، انظر: محمد حسن العيلة، *أواسط آسيا الإسلامية بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني* (الدوحة ، دار الثقافة ، ١٩٧٦).

2- Temperly, H. "British Secret Diplomacy from Canning to Grey", *The Cambridge Historical Journal*, No.5 , VI , 1938, pp. 1- 32.

٣- نوري عبد البخيت، «الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي في القرن التاسع عشر وبداية العشرين»، في: *الخليج العربي* (مركز دراسات الخليج، جامعة البصرة) ص ٥٥ ومابعدها.

٤- *المرجع السابق*، ص ١٥٧؛

سعيد بكر، *الأقليات المسلمة في آسيا واستراليا*، دعوة الحق (نوفمبر ١٩٨٣) ص ٢٦٧ - ٢٦٩.

٥- راجع تفاصيل التعاون الاستراتيجي بين روسيا وبريطانيا قبيل وأثناء الحرب العالمية أولى في:

-Darwin, J., *Britain, Egypt and the Middle East, Imperial Policy in the aftermath of War 1919 - 1922*, (London 1981) pp. 143 - 151.

6- Llyod, G., "British Foreign policy in Asia and its Relation to India: *Journal of British Institute of International Affairs*, IV (1925) pp. 109 - 117. .

7- Darwin, *op. cit.*, p. 145.

8- Wise, E.F., "Russo - British Relations", *The Contemporary Review* (May 1929) p. 570.

٩- لينين، *تقرير عن السلام*، ص ١١.

١٠- ولتر لاكور، *الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط*، ص ١٧ - ٢٢.

١١- *المرجع السابق*، ص ١٩ - ٢٥؛

بونداريفسكي، *سياستان إزاء العالم العربي* (موسكو ١٩٧٥) ص ٢٦٨.

١٢- باتيكار، *آسيا والسيطرة الغربية*، ص ٢٦٣.

١٣- ولتر لاكور، مرجع سابق، ص ٢٦ - ٣٥.

١٤- بطرس غالي، «الأبعاد الايديولوجية الأفرو - آسيوية»، مجلة *السياسة الدولية* (أبريل ١٩٦٨)؛ ملف الطليعة، «الاتحاد السوفيتي والعالم الثالث»، مجلة *الطليعة* (ديسمبر ١٩٧٢)؛ باتيكار، *آسيا والسيطرة الغربية*، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

١٥- ملف الطليعة، «خطوات تأسيس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية» مجلة *الطليعة* (ديسمبر ١٩٧٢).

١٦- وحيد رأفت، «الاستراتيجية السوفيتية في الشرق الأوسط» مجلة *السياسة الدولية* (يوليو ١٩٧٤).

١٧- ولتر لاكور، مرجع سابق، ص ٣٧ - ٣٨؛

وحيد رأفت، مرجع سابق؛

بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٢٧٠.

١٨- ملف الطليعة، «الاتحاد السوفيتي حليف أساسي لحركة التحرر العربية»، مجلة *الطليعة* (ديسمبر ١٩٧٢).

١٩- عبد الله نوار، *٧ أيام مع المسلمين في الاتحاد السوفيتي*، ص ١٦ - ١٨؛

باتيكار، مرجع سابق، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

٢٠- سعيد عبد المجيد بكر، *الأقليات المسلمة فى آسيا واستراليا*، دعوة الحق، (نوفمبر ١٩٨٣) ص ٢٧١.

٢١- ولتر لاكور، *مرجع سابق*، ص ٣٩ - ٤٠.

٢٢- *المرجع السابق*، ص ٤١ - ٤٦؛

بونداريفسكى، *مرجع سابق*، ص ٢٧٤.

٢٣- ولتر لاكور، *مرجع سابق*، ص ٤٦ - ٤٩؛

وقارن مصطفى النجار، *دراسات فى تاريخ الخليج العربى المعاصر*، ص ٨١.

٢٤- بونداريفسكى، *مرجع سابق*، ص ٢٧٤.

٢٥- بانيكار، *مرجع سابق*، ص ٢٦٣ ، ٢٦٤.

٢٦- ضحى عثمان، «العلاقات العربية السوفيتيه بين المبادىء والمصالح، ١٩٤٥ - ١٩٧٣»، مجلة *السياسة الدولية*، العدد ٨١ (يوليو ١٩٨٥).

٢٨- *المرجع السابق*، ص ٥٧ - ٦١؛

عاصم الدسوقى، «من أرشيف الحركة اليسارية فى مصر ١٩١٩ - ١٩٢٥»، *مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية*، المجلدان ٢٨ و ٢٩ (١٩٨١ و ١٩٨٢) ص ٤٣٩ - ٤٧٦.

٢٩- ملف الطليعة، «دروس من تجربة الحرب الأهلية وحروب التدخل فى الاتحاد السوفيتى»، مجلة الطليعة (ديسمبر ١٩٧٢).

٣٠- لينين، *تقرير عن السلام*، ص ٧٧ ، ٧٨.

٣١- *المرجع السابق*، ص ٧٨.

٣٣- *المرجع السابق*، ص ٨٢.

٣٣- *المرجع السابق*، ص ٨٨.

34- Wise, *op. cit.*, p. 570.

٣٥- لينين، مرجع سابق، ص ٩٧ - ١٠٥ ، ١٢٨.

٣٦- *المرجع السابق*، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

٣٧- *المرجع السابق*، ص ٢٠٤ ، ٣٣٤ - ٣٤٠.

38- Wise, *loc. cit.*.

٣٩- ملف الطليعة، «خطوات تأسيس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية»، مجلة *الطليعة*، (ديسمبر ١٩٧٢).

40 -Ponomaryov and others (ed.), *History of Soviet Foreign Ploicy 1917 - 1945*, pp. 201 - 2.

41- *Ibid.*, pp. 202 - 5.

42- Statement made by Sir A. Chamberlain to the Impereal Conference on Oct. 20, 1926, W 10019/1/50, *Documents on British Foreign Policy* (D.B.F.P.), 1919-1939, Series IA., Vol. 2, pp. 945-947 (Appendix);

Ponomaryov, *op.cit.*, pp. 251 - 3.

44- Statement By Sir A . Chamberlain, 20 Oct , 1929 (D.B.F.P)*loc. cit.*

45- *Ibid.*

46- Lloyd, G., : "British Foreign Policy in Asia", *op.cit.*, 113,4.

47- Ponomaryov, *op.cit.*, p. 261.

الفصـــل الثانـــي

الحجاز في استراتيجية الدعاية السوفيتية

(مرحلة الاستكشاف)

١٩٢٤ – ١٩٢٧

١- اهتمام السوفيت بالحجاز.

٢- الملك عبد العزيز بين السوفيت والبريطانيين.

٣- مكة في الاستراتيجية السوفيتية.

٤- نشاط الوفد الروسي في مؤتمر مكة ١٩٢٦.

٥- نشاط الوكالة السوفيتية بجدة.

٦- موقف بريطانيا.

٧- تقويم.

١ - اهتمام السوفيت بالحجاز:

أقيمت أول علاقة رسمية بين الحكومة السوفيتية وحكومة الحجاز فى عام ١٩٢٤، وذلك عندما أنشئت أو قناة اتصال دبلوماسى وقنصلى بين الحكومتين. وكان كريم حكيموف أول وكيل سياسى وقنصل عام لموسكو فى جدة، العاصمة الدبلوماسية للحجاز. وبالمقابل بعث الشريف حسين بن على أمير الحجاز بالأمير حبيب لطف الله ليمثله فى موسكو.

ولاشك فى أن قيام تلك العلاقات بين موسكو ومكة فى ذلك الوقت المبكر لقيام دولة الاتحاد السوفيتى، وفى ظلال الظروف الدولية المعقدة التى أشرنا إليها فى الفصل السابق، إنما كان كسبا سياسيا واضحا للحكومة السوفيتية، فالدول الغربية الكبرى كانت لاتزال حريصة على محاصرة الثورة الشيوعية البلشفية داخل الاتحاد السوفيتى، خشية أن تمتد إلى المستعمرات الأوربية ومناطق النفوذ الغربى فى آسيا. ولا يجب أن يقلل اعتراف بريطانيا ومجموعة من الدول الأوربية فى عام ١٩٢٤ بشرعية الحكومة السوفيتية من تلك المخاوف[1]. فالاعتراف كان معنيا بالحكومة السوفيتية كنظام، أما المخاوف فكانت معنية بالفكر الشيوعى كأيديولوجية. وبينما كانت الحكومة السوفيتية لاتزال ضعيفة، ومشغولة بالعديد من القضايا الداخلية والخارجية، كان الفكر الشيوعى أقوى من أن تحكم السيطرة عليه، أو أن يحاصر جغرافيا، لاستحالة ذلك أصلا، فالفكر لايمكن أن يخضع للحصار، على غير ماهو مألوف فى الأشياء المادية.

ومهما يكن من أمر، فقد كان عام ١٩٢٤ بداية الانفراج فى العلاقات السوفيتية بالعالم الخارجى، كما كان بداية الإعداد المنظم من جانب الحكومة السوفيتية لضرب النفوذ والمصالح البريطانية فى الشرق بصفة خاصة والمصالح

الغربية بصفة عامة. ومما يلفت الانتباه فى هذا المجال أن إطلالة الاتحاد السوفيتى على الحجاز من خلال سفارة مقيمة له فى جدة فى عام ١٩٢٤، قد جاءت فى وقت كانت العلاقات البريطانية مع الشريف حسين ملك الحجاز، ومع العرب بصفة عامة، قد تصدعت، ووصلت إلى طريق مسدود، انعدمت فيه الثقة. وبذلك تهيأت للاتحاد السوفيتى فرص مناسبة للتسلل إلى المنطقة العربية، وتشجيع العرب على التصدى للغرب،وصار ذلك هدفا مشتركا التقى الطرفان حوله.

ولم يضيّع الاتحاد السوفيتى فرصة لتوطيد أركان سياسته الجديدة، وغرس جذور نفوذه فى شبه الجزيرة العربية. وقدمت الحرب بين السعوديين والأشراف حول الحجاز فى عام ١٩٢٥ فرصة طيبة، لعب فيها الوكيل السوفيتى بجدة (كريم حكيموف) دور الوساطة لتحقيق السلام بين الزعيمين العربيين المتنافسين(٢).

وبصرف النظر عن نتائج دور حكيموف الدبلوماسى، وقد كان بالطبع بغير نتائج إيجابية، إلا أنه بالتأكيد قد تم بتوصية من موسكو، أو بتكليف منها. ومع أنه لايتوافر لدينا الدليل الوثائقى لإثبات ذلك، إلا أن تطور الأحداث وشواهدها يؤكدان على صحة ماتوصلنا إليه. فمن ناحية كان حكيموف عميداً للدبلوماسيين الأجانب فى جدة بسبب أقدميته، ومن ناحية أخرى كان حكيموف مسلما، مما ساعده على التنقل بحرية فى الحجاز بين جدة ومكة والمدينة ليلعب دور الوسيط. ولايتمتع بحرية التنقل هذه إلا الشخص المسلم. ولكى نقدر أهمية هذا الجانب علينا أن ندرك طبيعة وسائل الاتصال وإمكانياتها فى ذلك الوقت، وقد كانت بالطبع وسائل بدائية، تفرض نوعاً من الاحتكاك المباشر الذى يستغرق وقتا ليس بالقصير. وبذلك يكون قد تهيأ لحكيموف مالم يتهيأ لغيره من الدبلوماسيين الأوربيين. ومن ناحية ثالثة كانت موسكو تنظر إلى

عبد العزيز آل سعود، الذي كانت الحرب في الحجاز تسير في صالحه، على أنه «زعيم ثوري لحركة تحرير وطنية معادية للإنجليز». وامتدحت صحيفة نوفي فوستك Novy Vostok سياسة الاخوان التجديين في عام ١٩٢٥، واعتبرتها برنامجا إجتماعيا وسياسيا بالغ الأهمية، كما اعتبرت نشاطهم الديني والعسكري ضربة قاصمة للسياسة البريطانية[٣].

كانت شواهد الأمور جميعها تشير إلى اختفاء الدور الايجابي والمؤثر للشريف حسين في الجزيرة العربية، وإلى ظهور نجم عبد العزيز آل سعود ليلعب دوراً أكثر تأثيرا. وراحت موسكو تبني الآمال على التعاون مع عبد العزيز لضرب النفوذ البريطاني في الشرق. هذا بالرغم من وجود فجوة أيديولوجية واسعة بين أفكار الثورة البلشفية وأفكار الاخوان السلفية الإسلامية، وهي فجوة لا تسمح بأي لقاء بينهما. ومع أن الطرفين التقيا نظريا حول ضرورة تحدي النفوذ البريطاني وطرده من المنطقة، إلا أن عبد العزيز آل سعود، الذي كانت موسكو تنظر إليه على أنه «زعيم ثورة الإخوان» لم يكن يشارك موسكو ولا الاخوان إمكانية تحدي بريطانيا بالعنف.

ومهما يكن من أمر صحة الاعتقاد السوفيتي بأهمية دور عبد العزيز المناوىء لبريطانيا، فقد سارت موسكو خطوة هامة على طريق توكيد العلاقات معه، فما أن قبض عبد العزيز آل سعود على زمام الأمور في الحجاز مع مطلع عام ١٩٢٦، حتى سارع حكيموف بتبليغ تهاني الحكومة السوفيتية له، باعترافها به ملكاً على الأراضي المقدسة الاسلامية، وبرغبتها في أن تدوم العلاقات الودية بين موسكو ومكة.

إن أول مايخرج به المحلل المدقق للإيقاع السريع والايجابي للسياسة السوفيتية تجاه الموقف في الحجاز، هو أن الاتحاد السوفيتي كان حريصا على

تدعيم علاقاته بمن يحكم فى مكة، أيا كانت اتجاهاته أو ميوله. أو بعبارة أخرى، فإن مكة كانت الهدف، بصرف النظر عمن يحكم فيها. وقد يكون فى ذلك تفسير لمبادرة الاتحاد السوفيتى - باعتباره أول دولة كبرى، إن صح أن نسميه كذلك فى عام ١٩٢٦ - بالاعتراف بعبد العزيز آل سعود ملكا على الحجاز.

النتيجة الأخرى التى يخرج بها المحلل للأحداث التاريخية فى العشرينيات، فيما يتعلق بالعلاقات السوفيتية - الأوربية، هى أن الاتحاد السوفيتى كان - فى مواقفه الايجابية فى التعامل مع القوى الخارجية غير المعادية له - يسعى للخروج من الحصار المفروض عليه فى أسرع وقت ممكن، لأن فى ذلك نجاحا لثورته. وقد اختار الاتحاد السوفيتى طريق مناصرة حركات التحرر فى آسيا ضد الاستعمار الغربى. وهو بذلك إنما يخطو خطوتين فى وقت واحد: الخطوة الأولى أنه يصدر الثورة، والثانية أنه يزيح النفوذ الغربى عن المناطق المجاورة لأراضيه. وكلتا الخطوتين كانت من بين المطالب الملحة والأهداف بعيدة المدى فى السياسة الخارجية السوفيتية.

وانطلاقا من النتجتين السابقتين، يمكن أن نفسر الأسباب والدوافع وراء تقدم الحكومة السوفيتية كل الحكومات الأوربية، بل وغير الأوربية، فى الاعتراف بعبد العزيز آل سعود ملكا على الحجاز. وهى خطورة أدركت الحكومة السوفيتية، التى كانت تعلم جيدا حجم الحضور البريطانى فى منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة، مدى خطورتها على مستقبل العلاقات السوفيتية - البريطانية، ولذلك رأت أن يكون اعترافها بعبد العزيز آل سعود سرا، وقد كانت هذه السياسة تهدف فى الواقع إلى ضمان موقف الأصدقاء الجدد، قبل إعلان تحدى بريطانيا فى المنطقة، ذلك أنه لم يكن من الحصافة السياسية فى شىء أن يفصح السوفيت عن طموحاتهم فى جزيرة العرب، التى رأوا أنها تصلح منطلقاً

مناسباً إلى العالم الإسلامي. وتطبيقا لهذا النهج السياسي، طلب حكيموف من الملك عبد العزيز أن يحفظ اعتراف الاتحاد السوفيتي به سرا حتى تعلن بريطانيا إعترافها به أولا.

وكان في هذا المسلك السوفيتي – فضلا عن الإيجابيات – مايثير شكوك الملك عبد العزيز حول نوايا السوفيت. وتظهر تلك الشكوك بوضوح في النغمة التي شكر بها الملك الوكيل السوفيتي على مبادرته السياسية باعتراف بلاده به ملكا على الحجاز. فقد رحب عبد العزيز بإقامة علاقات طيبة مع الاتحاد السوفيتي، ولكنه كان حريصا على أن تقوم مثل تلك العلاقات على أسس من الاحترام المتبادل، والتقدير «للأوضاع الخاصة للأراضي الاسلامية المقدسة»، وعدم التدخل في شئونها،واحترام التقاليد المتعارف عليها في العلاقات الدولية في تنظيم التعامل بين الحكومات المستقلة.[٥]

ومع أن التأكيد على احترام «الأوضاع الخاصة للمقدسات الاسلامية» كان شرطا أساسيا وضعه الملك عبد العزيز – في تأسيس علاقاته بالعالم غير الإسلامي[٦]، إلا أن عبد العزيز، بكياسته الدبلوماسية المعهودة، لم يهمل النص صراحة على احترام القوانين الدولية، التي تعترف بالقوانين الخاصة بكل دولة، ولاتتعارض معها، وبالتالي فإن عبد العزيز حين وضع شروطا لإقامة علاقات مع الدول الغير إسلامية، إنما أقر مسبقا باحترامه لقوانين تلك الدول ونظمها الخاصة بها في إطار القانون الدولي العام.

على كل حال، فإن اعتراف الاتحاد السوفيتي بعبد العزيز آل سعود ملكا على الحجاز لم يبق سرا. ذلك أن عبد العزيز لم يتردد في أن يخطر به جوردن Jordan الوكيل السياسي البريطاني في جدة، الذي سارع بدوره فأبرق لحكومته في لندن في ٢٤ فبراير ١٩٢٦، لا ليبلغ هذا الموقف السوفيتي الجديد

فحسب، وإنما ليؤكد على مخاوف عبد العزيز من السوفيت ومن دوافعهم من وراء ذلك(٧).

إن الطريقة التى قدم بها الاتحاد السوفيتى اعترافه بالملك عبد العزيز فى الحجاز، وحرصه على لفها بإطار من السرية، كما أن الطريقة التى كشف بها عبد العزيز عن سرية الاعتراف السوفيتى به قبل أن تعترف به بريطانيا، والطريقة التى صاغ بها جوردن الخبر إلى حكومته فى لندن جميعها تؤكد على أن الأطراف الثلاثة كانوا يعمدون إلى صياغة أساليبهم فى الحوار على هذا النحو عمدا.

فالسوفيت أرادوا إعلان إعترافهم فى إطار من السرية، إعتقادا منهم أن ذلك سيكون أسرع وسيلة لإبلاغ بريطانيا بهذه الخطوة، وبالتالى وضع إسفين فى العلاقات البريطانية - السعودية، وهو أحد الأهداف الرئيسية للسوفيت فى الحجاز.

أما الملك عبد العزيز فقد سارع بإبلاغ البريطانيين ليستحثهم انفسهم سى الاعتراف به، وكان ذلك هدفا رئيسيا من بين أهدافه التى يسعى من خلالها لتثبيت مركزه الدولى.

وأما جوردن فقد أعطى الأولوية لمخاوف الملك عبد العزيز من السوفيت وهى المخاوف التى قدمها عبد العزيز عن قصد بهدف الوصول إلى تحقيق مصالحه الخاصة. وهكذا دخل عبد العزيز طرفا فى لعبة السياسة الدولية بين قوتين كبيرتين لأول مرة.

لقد كانت بريطانيا تعلم مبكرا بخطى النشاط السوفيتى فى الحجاز، كما كانت تعلم بالخط الاستراتيجى العام للسوفيت للتغلغل فى العالم الإسلامى، ولذلك لم يكن نبأ تقدم السوفيت عليها فى الاعتراف بعبد العزيز مفاجأة

كبرى لها. خاصة وأنها الدولة الوحيدة المتمتعة بالنفوذ فى جل أركان شبه الجزيرة العربية وماحولها. لذلك فلا عجب أن نرى أن أول صيحة تحذير ضد الخطر الشيوعى على المصالح البريطانية فى منطقة الشرق الأوسط تخرج من مصر، التى كانت بيئتها الثقافية والإقتصادية والسياسية أكثر أستعدادا لتقبل الأفكار الشيوعية.

ففى ٢٠ فبراير عام ١٩٢٦، وقبل أربعة أيام من برقية جوردن بجدة إلى حكومته فى لندن، كتب لورد لويد Lord Lloyd (المندوب السامى البريطانى فى القاهرة) إلى تشمبرلين (وزير الخارجية البريطانية). يستفسر منه صراحة عن أنسب الظروف التى ستكون فيها لندن مستعدة لافساد العلاقات السعودية — السوفيتية الناشئة(٨).

لم يكن لورد لويد — فى الواقع — يخشى النتائج السلبية لنشوء العلاقات السعودية — السوفيتيه، لأنه كان يعلم حجم النشاط السوفيتى فى آسيا، وكان يرى أن الوزن الحقيقى للاتحاد السوفيتى كدولة ناشئة وقوة مؤثرة فى هذه المرحلة كان وزنا متواضعا. ولكن لورد لويد وقع تحت تأثير مخاوف المسئولين البريطانيين العاملين معه فى القاهرة. وقد تركزت تلك المخاوف حول احتمال ظهور تفوق سوفيتى فى الأراضى الإسلامية المقدسة، فإن نجح السوفيت فى ذلك، وهو أمر رأوه باهتا، فإن السوفيت يكونون بذلك قد وضعوا أول مسمار فى نعش الامبراطورية البريطانية فى الشرق. لأن ذلك سوف يحقق هدفين رئيسيين للاتحاد السوفيتى:

الهدف الأول ويتمثل فى نجاح السوفيت فى الإفلات من الحصار الذى تضربه بريطانيا وحليفاتها الغربيات حول الاتحاد السوفيتى، وذلك عن طريق مخاطبة العناصر الإسلامية فى المناطق المجاورة له فى آسيا، لا عن طريق عبور

الحدود مباشرة إليها، لأن ذلك كان أمرا مستحيلا، لوقوع أراضى هذه العناصر الإسلامية تحت الاستعمار أو النفوذ البريطانى، وإنما عن طريق مخاطبة هذه العناصر فى موسم الحج فى الحجاز.

أما الهدف الثانى الذى كان السوفيت يسعون لتحقيقه فهو إعلان تحديهم للتفرد البريطانى بالنفوذ فى جزيرة العرب كلها، ذلك أنها كانت تتميز بموقع مؤثر فى عدة محاور تهم بريطانيا بشكل واضح. المحور الأول هو محور العالم الإسلامى، والثانى هو محور الانطلاق إلى أفريقيا، والثالث هو محور الاتصالات بين أجزاء الامبراطورية البريطانية، باعتبار أن الجزيرة العربية تتحكم فى شريانين مائيين رئيسيين للاتصال بين الشرق والغرب، كما أنها تطل على شريان ثالث وهو طريق المحيط الهندى بين جنوب أفريقيا والشرق الأقصى. فإن نجح السوفيت فى أن يكون لهم حضور قوى فى أى من هذه المحاور أو فيها جميعا، فإنهم بذلك يكونون قد نجحوا فى هدم حوائط العزلة التى حاول البريطانيون إبقاءهم داخلها.

لم تكن بريطانيا مستعدة للتنازل عن تفردها بالنفوذ فى الجزيرة العربية، وكان ذلك مبدأ رئيسيا فى السياسة الخارجية البريطانية، تأكد خلال الحرب العالمية الأولى. ولهذا بعثت وزارة الخارجية البريطانية إلى ممثلها فى جدة تأمره، فى ١١ مارس عام ١٩٢٦، أن يعمل على افتعال أزمة فى العلاقات السعودية – السوفيتية الناشئة. وهكذا بدأت تتشكل خيوط أول مواجهة سياسية بين بريطانيا والاتحاد السوفيتى فى جزيرة العرب. فقد منحت وزارة الخارجية البريطانية الوكيل السياسى فى جدة كل الصلاحيات الضرورية اللازمة لتنفيذ هذا المخطط، وإزالة «العار» الذى لحق بالبريطانيين نتيجة لنجاح السوفيت فى المبادرة بالاعتراف بعبد العزيز آل سعود ملكا على الحجاز، وتأسيس علاقات طيبة معه. ومما لاشك فيه أن هذا المخطط البريطانى كان سريا (٩)

لم تتهيأ لجوردون فرصة تنفيذ خطة وزارة الخارجية البريطانية، فلم يكن فى وسعه أن يتحرك بحرية فى الحجاز كما كان حكيموف يفعل. ومثل تلك الخطة كانت تقتضى إجراء اتصالات مباشرة مع الملك عبد العزيز. ولكى يتم لجوردن مايريد، فإن عليه أن يسقط حساب الوقت وأهميته، وينتظر حتى يكون الملك عبد العزيز فى جدة أو قريبا منها، لأن زيارة جوردن لمكة أو المدينة كانت مستحيلة على كل حال. ولم تكن قنوات الاتصال[١٠] من التطور وقتئذ بحيث يمكن إيجاد وسيلة بديلة مناسبة لتحقيق هذه المهمة السرية.[١١]

لقد استشعر جوردن الدونية بسبب كونه مسيحيا لا يسمح له بزيارة المدينتين المقدستين (مكة والمدينة) بينما يحق لزميله حكيموف أن يفعل ذلك فى يسر، وأدرك أن زميله يتمتع بميزة لايتمتع هو ولاغير المسلمين بها، ومع أن ذلك كان أمراً مألوفاً، إلا أنه أثار سيئة لدى البريطانيين، ولم يكن فى وسعهم تغيير الوضع القائم، ولكن سرعان ما أدرك جوردن أن مايتمتع به حكيموف ليس امتيازا خاصا للوكيل السوفيتى، وإنما هو حق له باعتباره مسلما.

وقد عاب كثير من زعماء الحركات الوطنية فى البلاد الإسلامية على الحكومة البريطانية فشلها فى اختيار ممثلها فى الأراضى المقدسة الإسلامية من بين المسلمين ذوى الكفاية، والموجودين فى كل مكان من امبراطوريتها الواسعة. بينما امتدحوا فى السوفيت حرصهم عى أن يكون نائبهم مسلما.

والواقع أن الملك عبد العزيز لم يكن يحرص على اشتراط أن يكون ممثلو الدول الأجنبية من بين العناصر الإسلامية، ولم تكن مسائل التمثيل الدبلوماسى وتطويره تشغل باله وقتئذ، لأنه كان حريصا بالدرجة الأولى على تدعيم ركائز حكمه بالداخل لتحقيق الأمن فى ربوع ممتلكاته الواسعة. وعلى المستوى الخارجى كان هدف الملك عبد العزيز الحصول على تأييد القوى

الكبرى لتحقق له الأمن الخارجي، وتساعده على كسب أرضية قوية فى الأوساط الخارجية.

لم يتمكن جوردن من تنفيذ خطته فى إفساد العلاقات السعودية - السوفيتية لسبب الذى ذكرناه. ولكن البريطانيين كانوا حريصين على أن يعلنوا من حين إلى آخر أنهم متفردون بالنفوذ فى شبه الجزيرة العربية، وأنهم متفوقون فى كل أرجائها. أما السوفيت فكانوا يسعون فى صمت نحو تثبيت أقدامهم فى أى ركن من أركان الجزيرة العربية، وكانوا على يقين من أن أى كسب للسوفيت مهما كان ضئيلا فإنه بحساب الارباح والخسائر، إنما يؤخذ من رصيد بريطانيا فى الجزيرة العربية.

٢- الملك عبد العزيز بين السوفيت والبريطانيين.

ومن بين المحاولات السوفيتية الجديرة بالدراسة والتى تبرز اهتمام السوفيت بالحجاز بوضوح، أن جوردن كتب إلى تشمبرلين، فى لندن فى ٢٩ ديسمبر عام ١٩٢٥، عن حوار دار بينه وبين عبد العزيز آل سعود فى ١٧ ديسمبر من نفس العام، ويتعلق هذا الحوار بالنشاط السوفيتى فى الجزيرة العربية، ولم يكن عبد العزيز قد صار بعد ملكا على الحجاز. وطبقا لرواية جوردن، قال له عبد العزيز: إن السوفيت يمدون الثوار الدروز فى لبنان بالأموال عن طريق عناصر لايشتبه فى أنهم شيوعيون، وتلك العناصر كانت سعيدة لمشاركتها فى مناوءة النفوذ الفرنسى. وأضاف عبد العزيز إن مركز هذه العناصر الشيوعية موجود بدمشق، وإنهم يتخذون من القنصلية الإيرانية هناك مقرا، وإنه هونفسه يثق فى مصدر هذه المعلومات[٢٢] ولعل ذلك يفيد فى فهم عمق الصلة بين الدروز وإيران اليوم.

ربما ساور البريطانيين الشك حول رواية عبد العزيز عن النشاط الشيوعى فى

سوريا، ولكنهم - على كل حال - لم يشغلوا أنفسهم بالتحقق من صحتها، لأنها لم تكن تعنيهم بنفس القدر الذى كانت تعنى به الفرنسيين.

ولكن يبقى أن نعرف ماالذى كان فى رأس عبد العزيز حين عرض هذه القصة على جوردن تطوعا؟. ترى هل كان يسعى إلى تحذير البريطانيين من احتمال امتداد النشاط السوفيتى إلى الجزيرة العربية؟.

فى هذه الحالة - إن صح التقدير - سيكون عبد العزيز بالضرورة أحد عناصر مقاومة هذا النشاط، لأنه سيكون متضررا من احتمالات المستقبل، إذا قدر للسوفيت أن ينجحوا فى توسيع دائرة نشاطهم، خاصة وأن أراضيه قد صارت تمتد لتشمل معظم شبه الجزيرة العربية، وأن ملاحقته للنشاط السوفيتى قد تكون مستحيلة بغير عون من بريطانيا.

ومن جهة أخرى فقد يكون عبد العزيز غير متضرر من السوفيت، ولكنه يعلم حقيقة علاقاتهم ببريطانيا، وأنه أراد استثمار موقف دولى لخدمة أغراضه الخاصة، وأن بريطانيا قد تلجأ إليه طلبا للمساعدة فى التصدى للسوفيت، وعندئذ فإنه يستطيع أن يملى شروطه وأن يؤمن صداقة بريطانيا له، وتهيئتها لمواصلة دعمه سياسيا واقتصاديا باستمرار التأكيد على الخطر السوفيتى المحتمل على جزيرة العرب.

إن صح التفسيران السابقان، أو أحدهما على الأقل، لحقيقة موقف عبد العزيز، فإن ذلك يعنى أن عبد العزيز آل سعود كان على دراية واسعة بمجريات السياسة العالمية، فضلا عن وعى كامل بتطور الأوضاع المختلفة فى منطقة الشرق الأوسط، وأنه كان دائما حريصا على أن يحسب حسابات المستقبل فى وقت مبكر، وبذلك يستحق أن يطلق عليه لقب «داهية الجزيرة العربية».

و' كان عبد العزيز غير معنى بالقصة السابقة، فإنه كان طرفا فى القصة

التالية، ذلك أنه فى نفس اللقاء السابق مع جوردن قال، والرواية لجوردن، إن الوكيل السوفيتى جاء إبان حرب الحجاز وتحاور معه حول عدد من القضايا. وأثناء الحوار لم يتردد الوكيل السوفيتى فى أن يسأل عبد العزيز عن أغلى أمانيه، وجاء السؤال مفاجأة غير متوقعة لعبد العزيز، الذى لم يستطع أن يقدم لحكيموف إجابة فورية، ولكنه قال فى النهاية: «ربما يكون المال». فأجابه حكيموف على الفور بأنه مستعد لأن يقدم له مايطلب من المال، ولكنه عاد وسأل عبد العزيز عما إذا كان يريد شيئا آخر، فأجابه عبد العزيز «السلاح والذخيرة»، وكان هذا المطلب الأخير مطلبا ملحا، فرضته ظروف حرب ز. وإدراكا من حكيموف لاحتياجات الملك عبد العزيز التى عرضها على استيحاء، أضاف حكيموف مقاطعا مضيفه قائلا «والطائرات والمدافع أيضا إذا كنت تريد». عندئذ ازدادت دهشة عبد العزيز، وصاح قائلا لضيفه «هذا صحيح، ولكن ماذا تريد أنت منى؟». فأجاب حكيموف: هناك بالطبع بعض المطالب، ولكن أهمها الآن: «أن تختلف مع الانجليز».(١٣)

لقد صار مؤكدا الآن بعد عرض هذه الرواية أن كلا من الروس والبريطانيين كان يحاول أن يضرب الآخر، مستخدما عبد العزيز أداة لتحقيق هذا الغرض. فجوردن مكلف بمهمة سرية غايتها إفساد العلاقات السعودية – السوفيتية، وحكيموف يحاور عبد العزيز كى يختلف مع الانجليز.

وقبل أن نواصل الحديث حول الأساليب المضادة التى يستخدمها كل من السوفيت والانجليز تجاه الآخر، يجدر أن ننقد رواية عبد العزيز الأخيرة نقدا تاريخيا فى محاولة لإدراك مدى صحتها، وبيان الهدف من ترديدها على مسامع جوردن من جهة، وأهمية عنصر التوقيت فى ذكرها من جهة أخرى، بصرف النظر فى هذه الحالة عما إذا كانت صحيحة أو مختلقة، أو أن بها شيئا من الصحة.

إن أول ماتراه فى رواية عبد العزيز أنها تدعو إلى إفساد العلاقات البريطانية - السعودية لصالح السوفيت، تماما كما دعا البريطانيون من قبل لخلق أزمة فى العلاقات السوفيتية - السعودية، وهذا يعنى ببساطة أن عبد العزيز آل سعود وبلاده قد صارا هدفا للسياستين السوفيتية والبريطانية. فهو قد أثبت بما لايدع مجالا للشك - أنه شخصية قوية ومؤثرة، وأنه أقوى حكام الجزيرة العربية بلا منازع.

وكما هو مألوف فإن السياسات الأجنبية تبحث دائما عن أشخاص أقوياء، قادرين على تنفيذ التزاماتهم، وبالتالى كانت شخصية عبد العزيز جذابة فعلا الطرفين الأجنبيين. أما بلاده فقد صار لها تأثير دينى يمتد إلى خارج حدودها الجغرافية، ليصل إلى كل مكان فى العالم الإسلامى، خاصة بعد أن ضم إليها الحجاز.

فالبريطانيون يريدونها أن تدور فى فلكهم ليطلوا منها على العالم الإسلامى، الذى يقع قطاع كبير منه فى دائرة النفوذ والاستعمار البريطانى، وذلك سيساعد بريطانيا على رسم سياسة محكمة تجاهه. أما الاتحاد السوفيتى فيريد أن يصل إلى الأماكن الإسلامية المقدسة ليتمكن من خلالها من ضرب النفوذ والمصالح البريطانية فى العالم الإسلامى. الوسيلة إذن واحدة ولكن الهدف مختلف عند الطرفين. وهكذا صارت مكة هدفا مرحليا لكلا الطرفين، يسعى الواحد منهما إليها كى يضرب الطرف الآخر خارج أراضيه.

فإذا افترضنا أن هذه الرواية صحيحة، فإن ذلك يعنى أن عبد العزيز كان يعى جيدا أهمية استمرار علاقاته ببريطانيا وتقويتها، كما أنها تعنى أنه كان يؤثر التعامل مع بريطانيا على التعامل مع الاتحاد السوفيتى، الذى تحجبه عنه اعتبارات كثيرة، أهمها مايتعلق بالفكر والعقيدة، وأن عبد العزيز فى هذه الحالة يكون

حريصا على أن ترد بريطانيا عليه بالمقابل فتزوده بما يحتاج فعلا من مال وسلاح، كما ورد في الرواية.

وبالرغم مما سبق، فإن الأمر لايخلو من احتمال أن عبد العزيز اختلق الرواية كلية، أو أنه على الأقل طورها بحيث تخرج في الشكل الذي أراده لها؛ علها تنبه بريطانيا إلى الأهمية الحقيقية لبلاده، وإلى الدور الذي يمكن أن يضطلع هو به في المنطقة.

وفي كل الأحوال فإن ترديد هذه الرواية على مسامع الوكيل السياسي البريطاني إنما يعكس بجلاء نغمة ذكاء سياسي لدى عبد العزيز، فقد كان الخيار البريطاني أمامه هو أفضل الخيارات المطروحة. ومع إدراكه أن الخيارين البريطاني والسوفييتي لايخلوان من آثار سلبية على بلاده، إلا أن الآثار السلبية للخيار البريطاني قد تكون أخف وطأة لدى الرأي العام الإسلامي من الآثار السلبية للخيار السوفيتي. ومن جهته فضلاً عن ذلك، لم يكن عبد العزيز يثق في السوفيت لأنهم لم يكونوا أهل كتاب.

وإذا كنا نناقش هذه النقطة بناء على أفضليات دينية، فإن الأمر يحتاج إلى مناقشتها من حيث الأفضليات السياسية. ذلك أن الاتحاد السوفيتي كان حريصا على إجراء اتصالات غير مباشرة مع العناصر الإسلامية، باعتبار أن ذلك يعد الركيزة الأولى لإزاحة الوجود البريطاني من آسيا، وبالطبع فإنه يعود بنتائج إيجابية على الحياة السياسية للمسلمين الواقعين تحت الحكم الأجنبي. ولما كان عبد العزيز يؤثر المهادنة على المواجهة في سياسته الخارجية في هذه المرحلة، فقد آثر التعامل مع بريطانيا على التعامل مع السوفيت.

كانت بريطانيا في ذلك الوقت ذات حضور دائم، وإن تعددت صوره في شبه الجزيرة العربية وفي المناطق المجاورة لها، فكانت مسئولة عن الانتداب في

العراق وشرق الأردن وفلسطين، وهذه مناطق ملاصقة لبلاده، وكانت تتمتع بنفوذ خاص في إمارات الساحل العربي من الخليج، وكانت تستعمر عدن وتفرض الحماية على أجزاء منها، كما كانت تفرض الحماية على مصر والسودان وتحتل أراضيهما، وكانت تستعمر الصومال. وهذا الحضور البريطاني الضاغط والمحيط بالجزيرة العربية، جعل عبد العزيز يحسب حسابات خطر قائم بالفعل من حوله، أكثر من حساب خطر محتمل قد يأتي من وراء وسط آسيا.

ولاعجب إذن أن يرى الباحث في قراءة الوثائق البريطانية تأكيدات متتالية بشكل لافت للنظر على حرص عبد العزيز الشديد على تقوية صلاته ببريطانيا، حتى في أحلك الظروف التي خذله فيها البريطانيون. وآخر هذه التأكيدات واضح في التقارير التي رفعها سير جلبرت كلايتون G.Clayton لحكومته عن المفاوضات التي جرت بينه وبين عبد العزيز آل سعود في بحره في أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٢٥، والتي أسفرت عن عقد اتفاقيتي حدا وبحره.(١٤)

ولكن يبدو أن التحذيرات السابقة من وجود نشاط سوفيتي خفي، مع التنبيه إلى أهمية استمرار علاقات قوية مع بريطانيا، لم يكن كافيا لتحريك البريطانيين نحو تبني موقف صارم تجاه نشاط السوفيت في الجزيرة العربية، أو نحو توكيد نفوذهم فيها.

والحقيقة أن البريطانيين كانوا عازفين عن إقحام أنفسهم في التصدي لأخطار محتملة إلا بقدر مايصبح هذا الخطر المحتمل خطرا قائما، وأنه يهدد المصالح البريطانية بالفعل. والدليل على صحة هذا الاتجاه لدى الحكومة البريطانية أن رد بريطانيا على مبادرة عبد العزيز لتوطيد العلاقات بينهما عن طريق إمداده بالمال والسلاح، لم يكن إيجابيا.

كانت بريطانيا تثق في قدرتها على ردع النفوذ السوفيتي ومحاصرته داخل

أراضيه، ولذلك لم تكن متحمسة للتحالف مع الملك عبد العزيز لصد هجمات السوفييت المحتملة، أو وقف دعاياتهم. وهذه السياسة لاتخلو من السلبيات التى كان يمكن أن تسفر عن قبول عبد العزيز لعروض التعاون السوفيتى تحقيقا لمصالحه، مقابل تخليه عن صداقته لبريطانيا.

ولايخلو الأمر من حذق سياسى لدى البريطانيين، وكانوا أهلا له. فلعلهم أدركوا وجود خطر سوفيتى على مصالحهم فى الجزيرة العربية ولكنه لم يكن خطرا ذا بال. وربما تيقنوا من جود خطر شيوعى، ولكنهم كانوا يعلمون أن الشيوعية والإسلام لايلتقيان، وإذا قبل بعض المسلمين شيئا من الفكر الاشتراكى المتطرف، فإن مسلمى الأراضى المقدسة غير مستعدين لذلك. معنى هذا أن الجزيرة العربية فى مجملها تعد منطقة حرام تتمتع بحصانة ذاتية ضد الخطر الشيوعى، وبالتالى فلا معنى لأن يجرى البريطانيون وراء تحذيرات حقيقية ذات نتائج وهمية.

وإذا كان عبد العزيز آل سعود قد أقدم على إقامة علاقات دبلوماسية مع السوفيت، إلا أنه لايستطيع، بحكم مسئوليته عن الأراضى المقدسة أمام العالم الإسلامى، أن يفتح أبوابها فى وجه السوفيت بغير قيود. وهذا يؤكد للبريطانيين أن هذه البلاد المقدسة محصنة تحصينا ذاتيا ضد أى تدخل شيوعى. وبالتالى فإن النتيجة التى قد يكون صناع القرار البريطانيون قد توصلوا إليها هى أن احتمال التغرق السوفيتى فى الحجاز غير وارد. وفى كل الأحوال لاداعى لأن تظهر بريطانيا قلقها على نفوذها ومصالحها فى معظم أجزاء الجزيرة العربية.

وبينما كان عبد العزيز مايزال يعيش فرحة انتصاراته العسكرية والسياسية المتوالية، وفرحة تنصيبه ملكا على الحجاز، حيث صارت بلاده تمتد من الخليج إلى البحر الأحمر، راجعت وزارة الخارجية البريطانية، فى ١٠ أبريل ١٩٢٦،

أصول سياستها تجاهه، وهي السياسة التي وقفت في سبيل تطوير العلاقات البريطانية - السعودية، بل إنها هيأت الظروف لانتكاسة شديدة في تلك العلاقات. فقد نصت مذكرة وزارة الخارجية بهذا الشأن على:

«... أن حكومة جلالة الملك لاتعتزم الدخول في تعاقد مع ابن سعود لتمويله بالسلاح، وأن المعاهدة التي سبق أن وقعت عليها معه في ديسمبر عام ١٩١٥ تنص على امداده بالسلاح في حالات معينة تنطبق على نجد دون الحجاز ... وأن أية معاهدة جديدة للصداقة معه لن تتضمن وعاد بإمداده بالسلاح» .(١٥)

أدى تخاذل بريطانيا عن تعزيز مركز الملك عبد العزيز في الجزيرة العربية إلى تدخل سير جلبرت كلايتون، وهو سياسي خبير بشئون الشرق الأوسط وله اتصالات مباشرة مع عبد العزيز، لتغيير موقف الحكومة البريطانية. فوجه النصح لحكومته في ٢١ ابريل من نفس العام بعدم التخلي عن الملك عبد العزيز أو تركه وحده في مواجهة التيارات الخارجية الضاغطة. ودفعه إلى ذلك وقوفه على حالة عدم الاستقرار العامة في الجزيرة العربية، مما قد يدفع دولا كبرى إلى التدخل في شئونها ومناهضة الوجود البريطاني بها وإضعاف أو حتى إنهاء مركزها المتميز هناك(١٦). ومع أن كلايتون لم يشر صراحة إلى الدول المعنية، إلا أنه كان من المفهوم لدى حكومة لندن أن الدول الكبرى المقصودة هي إيطاليا، التي كانت قد بدأت تغرس جذور نفوذها في اليمن، والاتحاد السوفيتي، الذي كان يحوم حول الجزيرة العربية بحثا عن مواطىء قدم.

ومهما يكن من أمر، فقد شهد عام ١٩٢٦ مراجعة شاملة للعلاقات البريطانية - السعودية في ضوء المتغيرات المحلية والمؤثرات الخارجية، ولكن عبد العزيز كان حريصا على أن يؤكد لبريطانيا على أن تتبنى أحد خيارين: الأول أن

تزوده بالسلاح طبقا لاحتياجاته الفعلية الملحة، والثانى أن تتركه وشأنه ليشتريه من أى مكان شاء. ولكنه فى كل الأحوال لم يكن ليسكت على زعزعة نفوذه فى الجزيرة العربية.

لقد كان عبد العزيز يفتش عن القوة الكبرى التى يمكن أن تدعم موقفه الخارجى، وكان الاتحاد السوفيتى يفتش عن موطىء قدم فى الجزيرة العربية، أما بريطانيا فقد شغلت نفسها بالبحث عن الحقيقة، حقيقة قوة عبد العزيز وقدراته فى الداخل والخارج من ناحية، وحقيقة الخطر السوفيتى على الجزيرة العربية والمشرق الإسلامى من ناحية أخرى.

٣- مكة فى الاستراتيجية السوفيتية:

إن اعتراف السوفيت الضمنى، فى عام ١٩٢٤، بالتفوق البريطانى فى شبه الجزيرة العربية، واعتراف بريطانيا بالحكومة السوفيتية، لم يحل دون مواصلة السوفيت العمل على زعزعة هذا التفوق. بل إن طموحات السوفيت نمت إلى حد العمل على خلع جذور الاستعمار البريطانى فى المناطق الإسلامية من آسيا، إنطلاقا من مكة، فقد انتهز السوفيت فرصة الدعوة لعقد مؤتمر الخلافة بالقاهرة عام ١٩٢٥، وأعلنوا اعتراضهم باسم المسلمين الروس على أن يتم انعقاد مثل هذا المؤتمر فى القاهرة دون مكة؛ فمكة هى قبلة المسلمين جميعا، وهى المدينة المقدسة التى لايوجد بها أى نوع من أنواع النفوذ الأجنبى. بينما تقع القاهرة تحت تأثير النفوذ البريطانى. وبالتالى فإن ذهبت الوفود الإسلامية إليها، فإنها ستفقد - بالضرورة - حريتها فى التعبير عن آرائها تجاه تلك القضية المهمة التى تعنى كل المسلمين.(١٧)

ليس من الضرورى أن يعكس الموقف السوفيتى السابق وجهة نظر المسلمين الروس نحو قضية الخلافة. فالموقف فى تقديرنا موقف سوفيتى مغلف، يحوى

تيارا سياسيا أكثر مما يظهر اهتماما دينيا بالقضية. فالسوفيت كانوا منذ منتصف العشرينيات متأهبين للانقضاض على النفوذ البريطانى فى مختلف صوره فى آسيا. وها هو ذا الخلاف حول مكان انعقاد مؤتمر الخلافة يقدم لهم فرصة ذهبية فى مجال محاربة النفوذ البريطانى دون مواجهة، وذلك بخلق روح التذمر بين شعوب آسيا المغلوبة على أمرها، وخاصة تلك الواقعة تحت الاستعمار والنفوذ البريطانى.

أما إذا كان الأمر غير ذلك، وكان الموقف السوفيتى يعكس بالفعل وجهة نظر المسلمين الروس، وهو احتمال ضعيف للغاية، لأننا لم نقف على دليل يؤيده، فلم يكن الأمر يزعج البريطانيين كثيرا، لأن قضية الخلافة الإسلامية لاتعنى بريطانيا وحدها، وإنما تعنى كل المسلمين، وهؤلاء منقسمون على أنفسهم بشأنها، وهو موقف يعزز المصالح البريطانية، ولا يهيىء فرصة لنجاح النشاط السوفيتى المتربص. وبالتالى فلاداعى أن يقلق البريطانيون من تستر السوفيت وراء كواليس مسألة الخلافة. وإذا كانوا قد استشعروا شيئا من تلك المخاوف، فإن الأمر بالطبع متروك لتطورات الأحداث لتكشف حقيقته، على طريقة دعنا ننتظر ونرى ماسيحدث wait and see وهو أسلوب يستخدمه البريطانيون كثيرا عندما يكونون واثقين من مواقفهم فى تناول القضايا الرئيسية.

ومهما يكن من أمر حقيقة الموقف السوفيتى، فإن الوكيل السياسى البريطانى فى جدة لم يعره اهتماما، وكذلك أهملته حكومته فى لندن. ولانرى سببا لذلك غير ماذكرناه فى تحليلنا السابق للمواقف، فضلا عن ضعف نفوذ السوفيت الفعلى فى الحجاز. وهو نفوذ لايتخطى من الناحية الجغرافية مدينة جدة وميناءها.

أما فكرة اقتراح مكة مكانا لانعقاد مؤتمر الخلافة، سواء أكانت مطروحة

من جانب مسلمي روسيا مباشرة، أو من جانب الحكومة السوفيتية باسم مسلمي روسيا، فهي فكرة ذكية لأن طرحها على هذا النحو يجنبها معارضة أي من الوفود الإسلامية، ومن هنا يأخذ الروس بزمام المبادرة، وتزداد فرص نجاح النشاط السوفيتي في تحقيق أحد هدفين:

الهدف الأول: تجميع المسلمين ضد النفوذ البريطاني في الشرق من خلال حضور سوفيتي متمثل في الوفد الروسي إلى المؤتمر وفي غياب تأثير بريطاني حقيقي أو مباشر في مكة.

والهدف الثاني: تهيئة الفرصة للملك عبد العزيز آل سعود، الذي يمكن أن يقدم له عقد مثل هذا المؤتمر في بلاده فرصة للدعاية لنفسه بين وفود العالم الإسلامي، حتى وإن كان هو شخصيا عازفا عن منصب الخليفة[١٨]. وبالتالي تتوطد العلاقات السعودية – السوفيتية على حساب العلاقات السعودية – البريطانية. وفي هذه الحالة يكون السوفيت قد نجحوا في تحقيق أمرين في وقت واحد: الأمر الأول كسب التأييد الإسلامي، والأمر الثاني ضرب النفوذ البريطاني.

كان رد الفعل البريطاني هادئا تجاه الاستراتيجية السوفيتية، المبنية على اعتبار مكة مركزا للدعاية ضد بريطانيا. فقد رأى جوردن، ووافقته حكومته فيما ذهب إليه[١٩]، أن بقاء الوكالة السياسية السوفيتية في جدة، صار في ظل الظروف الجديدة أكثر أهمية لبريطانيا عن ذي قبل، لأن اختفاءها – إذا نجحت بريطانيا في تحقيقه، أو على الأقل في إحداث شرخ في العلاقات السوفيتية – السعودية، سوف يؤدي إلى قيام مجموعة من العملاء السوفيت، ربما ينطلقون من إيران، أو من غيرها، للعمل سرا ضد المصالح البريطانية، وتكون السيطرة على مثل هذا النشاط في مثل هذه الظروف عملية صعبة ومعقدة، بينما لو

تُركت الوكالة السوفيتية لممارسة نشاطها بصورة علنية وفى صيغة رسمية، يكون أمر التعامل معها هينا، وفى مثل هذه الحالة الأخيرة يمكن تضييق الخناق عليها إلى الحد الذى يشل تأثيرها ونفوذها، دون التخلص منها.

ومما ساعد فى تكوين الرأى السابق، أن جوردن كان يعقد – ولم يكن على صواب فى اعتقاده – أن زميله السوفيتى «لم يكن شخصا ذكيا، بل كان دائم الشرب، سكيرا ومريضا»، وأن سلوكياته العامة كافية للإساءة للمصالح السوفيتية أكثر من تحقيق النفع لها» ويدعم جوردن وجهة نظره فى حكيموف بقوله: أن صحفيا أمريكيا سأل حكيموف بطريقة فجة عما إذا كان يقوم بالدعاية للسوفيت فى الحجاز، فأجاب حكيموف – على حد تعبير جوردن «ولماذا أقوم بعمل الدعاية فى الحجاز، ليس لى مصلحة هنا، إنهم الانجليز الذين يحتاجون إلى ذلك...» .(٢٠)

لاشك فى أن جوردن قد خدع فى حكيموف، ولم يدرك ذكاءه السياسى وإجابته الماكرة، التى سعى بها إلى إبعاد الشبهات عن نفسه، وقد نجح فعلا فى إيقاع جوردن فى شراكه. فقد كان حكيموف يعمل سرا، أكثر مما يعمل علنا، من أجل تحقيق مصالح بلاده السياسية، فهو يتظاهر بفعل أمور ويعمل غيرها، ويخلق نوعا من البلبلة والشك بين زملائه، ويؤكد هذا الاتجاه لدينا، ما أورده جوردن نفسه فى رسالته إلى لندن، فى ابريل من عام ١٩٢٦، حين يقول: لقد أفصح الوكيل السوفيتى إلى زميله الهولندى ذات مرة قائلا: «لماذا أنا هنا إن لم أنشر الأفكار الشيوعية» .(٢١)

ولكن كيف كان حكيموف يمارس نشاطه الدعائى؟ الواقع أننا لم نقف صراحة على مايفيد ذلك بشكل مباشر. ولكن خطة حكيموف وتحركاته

كانت تثير الشبهات دائما بسبب عدم وضوحها. فهو يعلن أنه باق فى مكة إلى مابعد انتهاء موسم الحج - رغم حر الصيف الشديد فيها - لينظم الدعاية الشيوعية بين جموع الحجاج. ولكن جوردن، الذى كان يرقب نشاط حكيموف، لم يستطع أن يقدم لنا دليلا واحدا على ذلك النشاط. ويعود حكيموف ليعلن من جديد أنه مريض، ولايحتمل حر الصيف فى مكة، وأنه راغب فى التغيير. عندئذ ساد الاعتقاد بين زملائه فى جدة أنه ذاهب إلى أسمرة فى إرتريا، لإقامة مركز للدعاية الشيوعية هناك، لينطلق السوفيت منه إلى السودان وأفريقيا. وهكذا جعل حكيموف زملاءه مشغولين بأمره عن قصد فمرة هو مريض ولايقدر على البقاء فى مكة، ومرة هو عفى قادر على الذهاب إلى العمل فى إرتريا، وثالثة هو باق بالحجاز لنشر الدعاية الشيوعية بين الحجاج. وتعد هذه الأخيرة إشارة إلى أن السوفيت قد بدأوا الاستعداد لمنازلة البريطانيين والايطاليين فى آن واحد من خلال التطلع إلى إرتريا.

ومهما يكن من أمر، يبقى أسلوب حكيموف الدعائى غامضاً، ويبقى الأمل معقودا على الاستقراء التاريخى للأحداث لنستنتج منها مالم يستطع المراقبون المعاصرون كشفه. وبالرغم مما سبق فقد كان جوردن لايزال يعتقد فى أن مجرد وجود حكيموف على رأس البعثة الدبلوماسية السوفيتية فى جدة كفيل بتهدئة خواطر البريطانيين، فقد كتب جوردن إلى حكومته يقول «إذا حل شخص آخر محل حكيموف فسيكون من المناسب وقتئذ العمل على تصفية الوكالة السوفيتية» .(٢٢)

ولكن الإقدام على تصفية الوكالة السوفيتية بجدة لم يكن تحت أى ظرف أمرا سهلا بالنسبة لبريطانيا، لأن الاتحاد السوفيتى كان أول دولة تعترف بعبد العزيز آل سعود ملكا على الحجاز، وبالتالى فإن الملك عبد العزيز لم يكن

ليضحى بهم بهذه السهولة، ومن جهة أخرى فهو فى حاجة إلى تأييد كل المسلمين لحكمه بمن فيهم مسلمو روسيا، الذين كان لهم وزن كبير من حيث العدد على الأقل، والذين يمكن أن يكون لهم تأثير ما على حكومتهم، فضلا عن أنه من بين هؤلاء المسلمين الروس يأتى عدد لابأس به من الحجاج نحو ست وثلاثون ألفا كل عام، وهؤلاء جميعا يعتمدون اعتماداً رئيسيا على التسهيلات التى يقدمها لهم حكيموف. ويرى جوردن أن الخطر الحقيقى يكمن فى ذلك العدد الكبير من الحجاج الروس، وأن العمل على إنهاء الوجود السوفييتى الرسمى لن يحل المشكلة،[٢٣] كما أنه لن يؤثر على أعداد هؤلاء الوافدين والذين يمكن أن يشحنوا بالأفكار الشيوعية قبل وصولهم إلى الحجاز. وعند التقائهم بمختلف الوفود الإسلامية، وتبادل أطراف الحديث معهم، تنتقل إليهم هذه الأفكار بقصد أو بغير قصد، وبذلك يكون الحجاج قد قاموا بما لاتستطيع أى جهة رسمية سوفيتية أن تقوم به، ولما كان معظم الحجاج يأتون من بلاد تخضع للنفوذ البريطانى فى شكل أو فى آخر، فإن مجرد كلمات تدعو إلى القومية، ومحاربة الاستعمار، والحرية، والاستقلال إنمايكون لها سحر خاص لدى الشعوب المغلوبة على أمرها.

رأت لندن أن النشاط السوفيتى الرسمى كان باهتا وضعيفا، ولايستحق أن تشغل وزارة الخارجية نفسها به، ولذلك بعث تشيمبرلين إلى جوردن ينصحه بعدم اتخاذ أى موقف معاد للسوفيت فى الحجاز[٢٤]، وفى نظر الحكومة البريطانية فإن الاتحاد السوفيتى كان يزال قوة ضعيفة، ولن يكون فى مقدروه أن يصبح قوة عسكرية تستطيع أن تتحدى بريطانيا فى منطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص، إلا فى حالة واحدة هى قيام حركة ثورية ناجحة موالية للسوفيت فى هذه المنطقة.

وبالرغم من النجاح الجزئي للسياسية السوفيتية في التأثير دعائيا على قرارات بعض الدول انطلاقا من عوامل داخلية تعنى تلك الدول بالدرجة الأولى، إلا أن خطر الاتحاد السوفيتي على بريطانيا كان لايزال أقل تأثيراً عليها من خطر روسيا القيصرية. واستبعد البريطانيون أن يكون السوفيت مصدر خطر على الجزيرة العربية، ولكن خطرهم الحقيقي يمكن أن يقع في قلب آسيا وفي الشرق الأقصى، وهذا صحيح إلى حد كبير. ومع ذلك فسوف يبقى الاتحاد السوفيتي لسنوات طويلة غير قادر على نقل الحرب خارج حدوده. فإن استطاع ذلك فإن جميع المصالح البريطانية في الشرق ستتعرض لخطر حقيقي.(٢٥)

على كل حال، لم يحضر الوفد الروسي المسلم مؤتمر الخلافة بالقاهرة، مؤثرا عليه المؤتمر الإسلامي الأول دعا إليه الملك عبد العزيز بعد موسم الحج مباشرة. ولكن يبدو أن هذا الموقف لم يرق لبعض العناصر، التي رأت أنه يمكن الاستفادة من حضور المؤتمرين. فمؤتمر القاهرة يسبق مؤتمر مكة بقليل ويفصلهما موسم الحج، وانتهى الأمر إلى إرسال وفدين، أحدهما وفد صغير إلى القاهرة، وبعد إنفاذ هذه المهمة يسعى للحاق بالوفد الآخر المتوجه إلى مكة مباشرة. وقد واجه وفد القاهرة مصاعب كبيرة، حين أراد مغادرتها إلى مكة، تمثلت في إجراءات السفر المعقدة التي وضعها المسئولون البريطانيون أمام أعضائه. وفي النهاية، وصلوا إلى الحجاز ساخطين على الإدارة البريطانية في مصر، وظهر ذلك بوضوح من خلال علاقاتهم بالوفد المصري غير الرسمي إلى مؤتمر مكة.(٢٦)

لم يكن الإعداد الروسي لمؤتمر الخلافة بالقاهرة إعدادا جيدا، وبالتالي فلا ينتظر منهم أن يكونوا قد ساهموا مساهمة فعالة فيه. وحدث الشيء نفسه في مكة ؛ فلم يظهر الحجاج الروس نشاطا سياسيا ملحوظا في صيف عـــام ١٩٢٦، لأن معظمهم

«كان شيوعيا بالمصلحة، وليس شيوعيا بالفكر»[٢٧]. وهذا طبيعى، لأن الإسلام والشيوعية لايلتقيان فى شخص واحد، أى أن المسلم يصعب عليه أن يكون شيوعياً بالفكر فى نفس الوقت، وعلى هذا فإن شيوعية مسلمى روسيا كانت «شيوعية سياسية»، وليست «شيوعية عقائدية»، فهم مرتبطون ببلادهم سياسيا، أما فكرهم وعقولهم فمع المسلمين، ولعل هذا الوضع الخاص هو الذى يسر لهم ترتيب الدور السياسى الذى اضطلعوا به فى نشر الشيوعية السياسية، وفى محاربة الاستعمار الغربى فى بلاد المسلمين، وهو هدف يلتقون حوله بسهولة مع حكومتهم فى موسكو.

وهكذا يتضح أن الاستراتيجية السوفيتية تجاه المشرق الإسلامى قد استفادت استفادة جيدة من كافة الامكانيات المتوفرة لديها لاستثمار العناصر الإسلامية - بالرغم من التضارب الأيديولوجى معها - لخدمة الاتجاهات السياسية السوفيتية فى المشرق الإسلامى. وفى هذه المرحلة يمكن القول إن التوجهات السوفيتية فى المشرق الإسلامى كانت سياسية فى المقام الأول.

٤- نشاط الوفد الروسى فى مؤتمر مكة:

وحين دعا الملك عبدالعزيز العالم الإسلامى فى ٢٨ إبريل ١٩٢٦ إلى مؤتمر يعقد فى مكة بعد موسم الحج فى صيف العام نفسه. شملت الدعوات جميع الحكومات الإسلامية والجمعيات والجماعات والأقليات الإسلامية فى دول غير إسلامية[٢٨] وبالطبع تلقت النظارة الدينية المركزية فى روسيا هذه الدعوة. ورحب بها رئيس النظارة ضياء الدين بن فريد الدين. وقرر إرسال وفد روسى إلى المؤتمر المقترح لتهنئة الملك عبد العزيز بضم الحجاز، ومناقشة قضايا الحرمين الشريفين، والعمل على توفير وسائل الأمن والراحة للحجاج الروس[٢٩].

كان الوفد الروسى إلى المؤتمر الإسلامى بمكه وفدا ممثلا لمسلمى روسيا، ولم يكن بأى حال وفدا رسميا ممثلا لحكومة الاتحاد السوفييتى. أما علاقة الوفد بالحكومة السوفيتية فهى علاقة غير معروفة أو غير معلنة، ولم نقف على مادة وثائقية تحددها. وعلى ذلك فلن نعتبر نشاط هذا الوفد نشاطا حكوميا، إلا إذا توافرت القرائن الدالة على ذلك. ويفهم مما كتبه جوردن، الذى كان مسئولا أمام حكومته عن متابعة نشاط الوفد الروسى، أن الوفد كان معنيا منذ وصوله إلى الحجاز بالقضايا الدينية والسياسية المتعلقة بالحجاز فقط، ولم يظهر نشاطا سياسيا أو فكريا متعلقا بالبلشفية أو بالاتحاد السوفيتى.(٣٠)

وكما هو الحال فى مختلف المؤتمرات، كانت الأيام السابقة على موعد انعقاد جلسات المؤتمر الإسلامى الأول فرصة طيبة، أتاحت للوفود الإسلامية التشاور والتحاور بطريقة غير رسمية حول مختلف القضايا التى تهم المسلمين وساعد تأجيل عقد الجلسات الرسمية للمؤتمر إلى يوم ٧ يونية ١٩٢٦ على منح الأعضاء أسبوعا كاملا لإجراء مزيد من المناقشات غير الرسمية، وبلورة أفكارها، وتحديد اتجاهاتها. وفى تقديرنا أن هذه اللقاءات غير الرسمية تفوق فى أهميتها اللقاءات الرسمية داخل القاعات. لأن الجميع كان يفكر بصوت عال خارج القاعات، بعيدا عن أية ضغوط أو قيود قد يفرضها جدول أعمال المؤتمر، أو نظام الحوار فيه، أو تأثير التكتلات داخله.

وكانت السمة العامة، التى اجتمع معظم الوفود حولها أثناء المناقشات غير الرسمية، هى معارضة النفوذ البريطانى فى شبه الجزيرة العربية. وتزعم الوفد الروسى هذه الدعوة وأكد على حرصه على تطهير الحجاز من أى نفوذ أو تأثير أجنبى، وفى هذا السبيل رفع الوفد الروسى شعار «وحدة الشرق»، ولقى الشعار تأييدا من وفود الهند وشرقى آسيا. ومع أن الملك عبد العزيز لم يعارض رفع هذا الشعار، إلا أنه لم يكن مستريحا لرؤية الوفود الإسلامية وهى تهاجم بريطانيا علنا فى بلاده(٣١).

ومع أن شعار «وحدة الشرق» لم يكن شعاراً محدد الملامح، ولايتوافر لدعاته تصور عملي واضح لإمكانية تنفيذه، فضلا عن افتقارهم أصلاً إلى تصور نظرى، إلا أن المتحمسين له كشفوا عن أنه موجه ضد الوجود البريطانى فى الشرق بصفة عامة. ولاشك فى أن إرتفاع هذه الصيحة المعادية لبريطانيا بين وفود معظم البلدان العالم الإسلامى، التى تقع فى دائرة النفوذ الأوربى، يعتبر انتفاضة سياسية ضد الاستعمار الغربى لم تستطع هذه الوفود ذاتها أن تفصح عنها وهى فى بلادها.

وهكذا تهيأت للمسلمين فرصة نادرة للتعبير، فى شكل جماعى، عن آمالهم السياسية فى دفع الاستعمار الغربى عن كاهلهم، ومغزى هذه الصيحة الإسلامية التى قادها الروس، فيما يتعلق بالعلاقات البريطانية - السوفييتية، أنها تعتبر إضافة إلى رصيد النشاط السوفيتى الداعى إلى التحرر من الاستعمار الغربى فى آسيا، وبنفس القدر تعتبر - فى حال نجاحها - خصما من رصيد الحضور البريطانى المتفوق فى الشرق. كما أنها تعتبر تحطيما سوفيتيا لحاجز الحصار، الذى كانت تفرضه بريطانيا والعالم الرأسمالى حول الاتحاد السوفيتى وقتئذ. وتبدو أهمية هذه النقطة الأخيرة إذا عرفنا أن قادة الفكر الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى كانوا يرون فى جنوب شرقى آسيا منطقة من أفضل المناطق ملاءمة لنشر الفكر الشيوعى.

ولاشك فى أن وجود ممثلين عن شعوب آسيا الإسلامية فى مؤتمر مكة كان ينذر بريطانيا بمخاوف كثيرة. فقد حضر هذا المؤتمر الأول من نوعه ٥٩ عضوا (٣٢)أغلبهم يشكلون وفودا غير رسمية، تمثل جمعيات أو جماعات إسلامية. وقليلة تلك الوفود الرسمية التى مثلت حكوماتها.

وبدت بشائر نجاح الوفد الروسى الذى كان يتكون من ستة أعضاء(٣٣)

على رأسهم زياد الدين بن قوام الدين حين أسفرت العمليات التنظيمية للمؤتمر عن اختيار شريف شرف عدنان (حجازى) رئيسا للمؤتمر، وسليمان الندوى (هندى) نائبا للرئيس، وزياد الدين بن قوام الدين (روسى) نائبا آخر للرئيس(٣٤). وكان وصول عضوين أحدهما هندى والآخر روسى إلى مركز نائب الرئيس ذا دلالة سياسية معينة، ذلك أن الاتجاهات السياسية المعارضة لبريطانيا داخل المؤتمر كانت قوية. ومرة أخرى سيكون ذلك فى صالح استراتيجية الاتحاد السوفيتى، جريا على مبدأ إن أى تدهور فى مركز بريطانيا فى الشرق هو مكسب للاتحاد السوفيتى بغير شك.

كان الملك عبد العزيز يدرك مخاوف بريطانيا من ذلك التجمع الإسلامى الضخم، الوافد إلى الحجاز من مختلف أرجاء الامبراطورية البريطانية، ومن تفوق النفوذ السوفيتى فى المؤتمر نتيجة لوصول أحد الأعضاء الروس إلى مركز قيادى فيه. ولذلك بعث الملك بحاكم جدة للقاء الوكيل السياسى البريطانى، فى اليوم التالى لافتتاح المؤتمر، ليطمئنه على أن الملك لن يسمح بالتحول عن أهداف المؤتمر، بالدخول فى مناقشة القضايا التى لاتعنى بالأماكن المقدسة ومنها القضايا السياسية. وكان الملك مدفوعا لاتخاذ هذه الخطوة، بسبب حرصه على توطيد علاقته مع بريطانيا، الدولة الكبرى التى تملك زمام الأمور فى الشرق كله، والتى تحيطه من كل جانب فى الجزيرة العربية وماحولها بنفوذها السياسى، أو وجودها العسكرى، أو تفردها بالتفوق فى شبه الجزيرة العربية، لذلك كله رأى الملك أن من الحصافة السياسية أن يكسبها إلى جانبه، بينما لم يكن للاتحاد السوفيتى مثل تلك الميزات الجيوبوليتيكية التى تجعل الملك يميل إليه.

وعلى ضوء ماسبق، فقد يكون من المناسب أن يتساءل المؤرخ المدقق عن صحة الانتخابات التى وضعت هندياً، وروسياً، وهما من بين العناصر الإسلامية المعارضة للنفوذ البريطانى فى الشرق، فى مركزين قياديين للمؤتمر. فإذ كانت

الانتخابات صحيحة، فإن الخطوة التى اتخذها الملك عبد العزيز بإرسال حاكم جدة إلى الوكيل البريطانى، كانت ذات أهمية خاصة لرأب الصدع المحتمل فى العلاقات البريطانية – السعودية نتيجة لتسليم الملك بتلك النتائج.

وإذا كانت الانتخابات غير صحيحة، وأن الملك عمد إلى الوصول إلى هذه النتيجة فى توزيع القيادات داخل المؤتمر، فإنه من المقبول كذلك أن الملك أراد إفهام بريطانيا بطريقة ذكية أنها لم تعد القوة الكبرى الوحيدة الموجودة على الساحة فى الشرق، وأن هناك قوى كبرى أخرى ناشئة، يمكنه الاعتماد عليها إذا اقتضى الأمر. ولعله أراد كذلك أن يقول لبريطانيا: إن العالم الإسلامى كشف بهذه الانتخابات عن حقيقة مواقفه تجاه بريطانيا، وأن هذه المواقف يمكن أن تكون بمثابة رسالة تحذيرية لها.

ولايخلو الأمر من أن يكون الملك عبد العزيز قد أراد أن يتوجه بنتيجة الانتخابات هذه إلى العالم الإسلامى ذاته، ولسان حاله يقول: إنه لايدور فى فلك بريطانيا كما يعتقد البعض، بدليل أنه سمح لقيادات المؤتمر أن تكون من بين العناصر المناوئة للنفوذ البريطانى، وأنه لو أراد لهذه القيادات أن تكون من بين العناصر الموالية لبريطانيا لفعل. ومن هنا يكون الملك قد أثبت أنه متحايد تماما فيما يتعلق بموقفه من بريطانيا، وبالتالى فقد نجح فى أن يتلقى تأييدا عاما من جموع المسلمين.

ومهما يكن من أمر، فإن الوكيل البريطانى كان يرى أن نتيجة الانتخابات، بالصورة التى تمت بها، إنما كانت نتيجة مقصودة، لأن الوفد الروسى كان متعاطفا مع قضايا الملك عبد العزيز منذ البداية، وأن الملك كان راغبا بدوره فى تكريمه[٣٥].

ومع أن ما ذكره جوردن قد يكون صحيحا، إلا أن جوردن كان يفتقر إلى الدليل الذى يقيم به حجته، ولم نعثر فى الوثائق على مايفيد صحة هذا

الإدعاء. على كل حال، فإن وصول الروس إلى ذلك المركز القيادى فى المؤتمر ليس حدثا غريبا، ولكنه يكتسب أهميته القصوى حين نضع فى الاعتبار مخاوف بريطانيا من أن يجد النشاط الشيوعى أرضية جديدة للانطلاق فى العالم الإسلامى، الذى يقع فى إطار نفوذها.

يبقى أن نعرف ما إذا كان الوفد الروسى قد استثمر المركز المتميز الذى وصل إليه المؤتمر لفرض أفكار معينة مناوئة للنفوذ الأوربى فى آسيا. يقول جوردن فى رسالة إلى تشمبرلين فى ٣ يوليو ١٩٢٦ «إنهم (الروس) نادرا ما أبدوا وجهة نظرهم حول مسألة من المسألة، ولكنهم كانوا يؤيدون وفد الحجاز فيما يذهب إليه»[٣٦]. فإن صح تقدير جوردن، فإن الوفد الروسى يكون قد فشل فى استثمار الدور القيادى الذى رشح له.

ويقودنا هذا إلى الاعتقاد فى أن الوفد الروسى المسلم لم يكن لديه تصور سياسى واضح حول أى من القضايا المطروحة على المؤتمر، وهى بالدرجة الأولى قضايا تهم المسلمين جميعا، وتعنى بشئون الأراضى المقدسة. ولكن الروس أمنوا موقفهم حين لعبوا دورا تابعا لدور الحجاز، وساندوا موقف الوفد الحجازى فى كل ماذهب إليه، وعلى ذلك يكون الدور الروسى قد افتقر إلى العمل القيادى الذى خشية البريطانيون أصلا، وليس لهذا الموقف المتخاذل مايبرره إلا أن يكون أعضاء الوفد الروسى غير مؤهلين لما كلفوا به، أو غير مستعدين له، فى حدود الإطار الرسمى للمؤتمر.

وقد تعجب جوردن لتقاعس الوفد الروسى عن أن يلعب حتى مجرد دور عادى فى المؤتمر، مع أنه كان يمتلك إمكانيات أداء الدور القيادى المؤثر فى جموع الوفود الإسلامية. وزاد من عجب جوردن ودهشته، لأنه لمس تناقضا ملحوظا بين نشاط الروس داخل المؤتمر وخارجه؛ فكان نشاطه خارج المؤتمر أقوى منه داخله، كما كان مقر إقامة الوفد الروسى مفتوحا بصفة مستمرة

لاستقبال أعضاء الوفود الإسلامية الأخرى. وكان من بينهم من يعتبر رئيس الوفد الروسى، زياد الدين بن قوام الدين «داعية خير، ورجلا ماهرا»[٣٧].

وكان الأخوان محمد وشوكت على، ممثلا جمعية الخلافة الهندية، من بين الأعضاء البارزين فى المؤتمر، الذين زاروا الوفد الروسى فى مقره، ويعتبر الأخوان على من أبرز الزعامات الوطنية الهندية التى تصدت للاستعمار البريطانى فى الهند، وكان لهما فى نفس الوقت مواقف مناصرة لعبد العزيز آل سعود ضد الأشراف، ولكنهما انقلبا عليه بعد أن صار ملكا على الحجاز، لأنهما كان يتزعمان الدعوة إلى إقامة جمهورية إسلامية فيه يختار رئيسها من بين المسلمين بالانتخاب الحر. وظهرت معارضتها بوضوح للملك عبد العزيز فى مؤتمر مكة. وبالرغم من هذه المواقف الخاصة، فقد كانت مسألة «وحدة الشرق» التى تبناها الروس ذات سحر خاص لهما.

كذلك كان وفد جاوة كثير الزيارة للوفد الروسى فى مقر إقامته، ويبدو أن التفاهم بينهما كان كاملا حول المسائل السياسية. وينطبق هذا القول على موقف الوفد الأفغانى[٣٨].

وطبقا لما أورده جوردن، فقد استبعد رئيس الوفد الروسى إمكانية انتشار المبادىء الشيوعية فى الحجاز، وكان يرى «أن الأمل ضعيف فى الوقت الراهن لقبول المبادىء الشيوعية فى الحجاز، لأن السكان مبعثرون فى مختلف أنحائه، ومعظمهم جهلاء، ويفتقرون إلى إمكانية تقبل الأفكار السوفيتية التقدمية»[٣٩].

وقد يكون من المدهش حقا أن يتحدث رئيس الوفد الروسى المسلم مع المسلمين عن مبادىء الشيوعية، ويصل الأمر به إلى حد التفكير فى نشر تلك المبادىء فى الحجاز، ثم استبعاد الفكرة لافتقار السكان إلى إمكانية استيعابها. ولكن هذه الدهشة تنتفى إذا علمنا أن المقصود بالمبادىء الشيوعية أو الأفكار السوفيتية التقدمية، هى الأفكار الثورية القومية، التى تتصدى للاستعمار والنفوذ الغربى فى الشرق، وبالتالى فلا يمكن

التسليم بأن رئيس الوفد الروسى قد خلط بين الشيوعية كفكر إلحادى وبينها كفكر ثورى وتقدمى، أو أن يكون قد قلل من الهوة الواسعة بين الإسلام والشيوعية، ولكنه فى كل الأحوال دمج بين أهدافهما السياسية وهى التخلص من الظلم سواء أكان لأسباب داخلية أو خارجية.

ويدرك المتتبع لعلاقة المسلمين الروس بغيرهم من غير المسلمين داخل الاتحاد السوفيتى، أن الجميع كان يعمل للتخلص من الظلم والاستبداد الذى كان يمارسه القياصرة، وأن الثورة الاشتراكية جمعت كل العناصر للعمل معا لإسقاط الاستبداد والظلم. ومن هذه النقطة حدث اللقاء بين المسلمين والروس والثوريين الشيوعيين، ووجد المسلمون أنفسهم خلال السنوات الأولى من قيام الاتحاد السوفيتى متمتعين بشىء غير قليل من الحرية. ولذلك كانوا يتعاونون مع النظام الثورى الجديد، دون أن يعلموا أن هذا الوجه المشرق للنظام الجديد كان يعد العدة لضربهم من الداخل. فحتى عام ١٩٢٣ كانت مهمة قهر الإسلام مستندة كلية إلى عناصر شيوعية من أصول إسلامية، وفى الفترة التالية وحتى عام ١٩٢٨ انضم الروس البلاشفة إلى هذه المهمة[٤٠]. ولكن خطة تنفيذ هذه المهمة توارت قليلا وراء الأهداف السياسية، وبالتالى التقى المسلمون والشيوعيون فى روسيا حول أهداف مشتركة، كانت سياسية بالدرجة الأولى.

فقد كان الشيوعيون المسلمون يطلبون إلى حكومتهم أن تعاملهم فى إطار إسلامى شامل، وألا تفصل نشاطها السياسى من أجل خدمة المسلمين فى داخل الاتحاد السوفيتى عنه فى خارجه، أى أنها يجب أن تعمل على تحرير المسلمين الواقعين تحت الاستعمار الغربى فى آسيا، لأن المسلمين أمة واحدة يجب تخليصها من الظلم والاستبداد. وبهذا الأسلوب يكون المسلمون الروس قد مهدوا الطريق أمام الدور السوفيتى النشط فى بلدان العالم الإسلامى، ومن هذا المنطلق تقوم الحكومة السوفيتية بالمشاركة مع الشيوعية الروسية والمتطرفين من أنصار حركة الجامعة الإسلامية، بنشر الإشتراكية فى العالم الإسلامى الواقع تحت نير الاستعمار الغربى،

وهكذا «سيلعب المسلمون السوفيت دور رأس الحربة (ضد النفوذ البريطاني)، والوسطاء للثورة الروسية لدى الشعوب الإسلامية».(٤١)

ولم يقتصر التعاون بين الشيوعيين ومعتنقي الديانات السماوية على المسلمين، وإنما امتد إلى المسيحيين. وبالطبع كانت روح التسامح هذه خطوة من الخطى المرحلية في نشر الدعاية السوفيتية. ومهما يكن من أمر فقد استمر هذا التسامح حتى عام ١٩٢٨. وكانت الحكومة السوفيتية - إلى حد كبير - «واقعة تحت تأثير الشيوعيين المسلمين Muslim Communists في علاقاتها مع المسلمين داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه». وظهرت نتائج ذلك في الداخل، حين سمح للمسلمين أن يمارسوا شعائرهم في المساجد المفتوحة، وأن يجمعوا الزكاة، كما تهيأت المحاكم الشرعية لممارسة صلاحياتها، وبقيت الأوقاف الإسلامية على ماكانت عليه. أما الدعاية الشيوعية ضد الأديان فكانت ضعيفة خلال تلك الفترة. ولم تظهر إلا محاولة واحدة في عام ١٩٢٥ ضد المسلمين، ولكن لم يتم القبض على أي منهم قبل عام ١٩٢٨. ولعل أهم ماتركته الثورة البلشفية في المناطق الإسلامية هو تكوين شعور قوي مضاد للاستعمار الغربي.(٤٢)

مما سبق، يمكننا أن نفسر التصريحات الغريبة التي أعلنها رئيس الوفد الروسي إلى المؤتمر الإسلامي بمكة بشأن «قبول المبادىء الشيوعية في الحجاز». فقد كان زياد الدين تركستانيا، وأدركت بلاده شيئا من الحرية في عهد الثورة، وهو من هذا المنطلق كان يسعى إلى مد تلك الثورة التحررية إلى بلاد العالم الإسلامي المغلوبة على أمرها. وعلى هذا الأساس يكون طرحه للأفكار الشيوعية بين المسلمين في الحجاز مقبولاً من حيث الشكل، باعتباره طرحا سياسيا وليس طرحا عقائديا.

وبناء على ماسبق، يمكننا أيضا أن نفسر التصريحات التالية لزياد الدين، حين سئل عن رأيه في الهند كمنطلق للمد الشيوعي قال: إن الهند بلد منظم «ونحن نعمل هناك من خلال منظمة في وسط بخارستان». ثم أضاف زياد الدين: ومع أن

هذه المنظمة «استطاعت الوصول إلى الطبقات الفقيرة، إلا أنها مازالت غير قادرة حتى الآن (١٩٢٦) على الوصول إلى بعض الرؤوس الناضجة أو المثقفة».(٤٣)

أما منطقة جنوب شرقى آسيا، حيث توجد الملايو والمستعمرات الهولندية، فإنها تعد فى رأى زياد الدين» أفضل المناطق لانتشار الأفكار الروسية، وأنهم (الروس) بصدد التركيز على هذه المنطقة من العالم». وعلى العكس من جنوب شرقى آسيا، فإن أهل السودان – فى نظر رئيس الوفد الروسى – «غير متفتحين» ومع ذلك فلن يضيع الوفد الروسى أية فرصة «لكسب أعضاء من بينهم».(٤٤)

ولعل أهم وأخطر التصريحات التى أعلنها زياد الدين، فيما يتعلق بنشر الأفكار البلشفية فى المناطق السابقة الذكر هو قوله طبقا لرواية الوكيل البريطانى : «إن فرصتهم (السوفيت) فى نشر الفكر البلشفى فى كل هذه المناطق كانت محدودة فى الماضى، أما الآن (١٩٢٦) فإن حكومة الحجاز تقدم لهم فرصة طيبة لتحقيق هذا الهدف، وأنهم سوف يستثمرونها إلى أقصى حد ممكن».

ولايعنى ذلك البتة أن حكومة الحجاز كانت تتعاون مع الوفد الروسى بأى شكل من الأشكال فى نشر الفكر البلشفى، ولايوجد بين وثائق الأرشيف البريطانى مايفيد أن حكومة الحجاز قد سعت إلى ذلك من قريب أو بعيد. ولعل رئيس الوفد الروسى كان يقصد أن حكومة الحجاز قدمت تسهيلات للحجاج السوفيت أفضل مما كانت تفعل الحكومات السابقة. وأن ذلك يسر اللقاء بين الحجاج الروس وإخوانهم المسلمين القادمين من كل مكان، وهيأ فرصة أفضل للتواصل الفكرى والسياسى بينهم، فقد صار الحجاج الروس «يتمتعون فى الحجاز بفرصة نادرة خلال موسم الحج لعمل اتصالات قوية مع أكبر عدد من الوفود الإسلامية، والأعضاء المستقلين من بين ذوى النفوذ فى العالم الإسلامى».(٤٥)

كان الروس يأملون، عن طريق اللقاءات بين الحجاج فى ذلك الجمع السنوى، فى الوصول إلى عقول تلك المجموعات الضخمة من المسلمين، حيث يستحيل إقامة

مثل تلك اللقاءات معهم في بلادهم، أو في أي مكان آخر. وبعد انتهاء موسم الحج، تعود مجموعات الحجيج إلى بلادها، حاملة لأفكار جديدة عن الثورة البلشفية والدعوة إلى التحرر من الاستعمار. وفي تقديرنا أن المسلمين الروس كانوا يسعون إلى ربط أنفسهم بقضية «الوحدة الإسلامية» على أساس أنها حتمية لحماية الإسلام في روسيا المتطورة. ومن جهة أخرى كان المسلمون الروس يتطلعون إلى الوحدة السياسية، التي كانت أملا طالما تاقوا إليه. ومن جهة ثالثة كانوا يهدفون إلى دمج أهداف الثورة الروسية مع أهداف المسلمين في محاربة الاستعمار.(٤٦)

إن مصدرنا الوحيد عن الدور الخطير الذي كان يلعبه الحجاج الروس في موسم الحج من كل عام، وهو الموسم الذي يمتد إلى أكثر من شهرين، هو تلك التقارير المنتظمة التي كانت تخرج من المفوضية البريطانية في جدة إلى وزارة الخارجية في لندن. ولنا أن نعتبر ماورد في تلك التقارير صحيحا بعد اخضاعه لمنهج النقد التاريخي، وإلى أن يثبت العكس في حال ظهور وثائق أخرى. ويدفعنا إلى هذه الإشارة، ماقد يثار من شكوك حول ماكتبه الوكيل البريطاني في جدة، نظرا لأنه كان ممنوعا من زيارة مكة، وبالتالي لم يكن على اتصال بالوفود الإسلامية اتصالا مباشرا أثناء موسم الحج، عدا تلك الفترة القصيرة التي يقضونها في جدة أحيانا.

ولكن تلك الشكوك تضعف كثيرا إذا علمنا أن جوردن كانت له عيون من بين أعضاء الوفود الإسلامية، تنقل إليه الأخبار أولا بأول. وقد وصف لنا جوردن هذه العيون بأنها «مصادر ثقة». وكان إقبال على شاه، رئيس تحرير إحدى الصحف الهندية، المصدر الرئيسي للمعلومات التي جمعها جوردن عن نشاط الوفد الروسي في المؤتمر وخارجه، كما كان رئيس وفد الملايو، التي اعتبرها الروس من أفضل مناطق شرقي آسيا ملاءمة لانتشار الفكر الشيوعي، أحد تلك المصادر الثقاة.(٤٧)

ومن اللافت للنظر أن جوردن وباقي أعضاء الوكالة السياسية البريطانية في جدة، حين أرادوا أن يتحققوا من نشاط الوفد الروسي، أجروا اتصالات مباشرة مع بعض

الوفود الإسلامية، ولكنهم طبقا لرواية جوردن نفسه «لم يعثروا على شخص واحد استطاع أن يثبت أنه وقع تحت تأثير الوفد البلشفي، وأن هذه الحقيقة تدعو إلى التساؤل عن الأسلوب الذى يفكر به الروس فى استخدام هذه البلاد المقدسة فى المستقبل». وتزداد مخاوف جوردن من تلك السياسة الغامضة للروس حين يسترجع نشاط الوفد الروسى، الذى آثر الحضور إلى مؤتمر مكة على حضور مؤتمر القاهرة، والذى ذهب فور وصوله للقاء مع الملك عبد العزيز، ثم وصول رئيس هذا الوفد إلى مركز نائب رئيس المؤتمر، كل هذا يؤكد – فى نظر جوردن – وجود ترتيب مسبق لإنجاح النشاط الروسى الدعائى بين جموع الوفود الإسلامية فى مكة. ويعتقد جوردن أن المساعدات التى قدمها السوفيت لتركيا دون مقابل، إنما كانت إحدى الوسائل الدعائية التى استخدمها الوفد الروسى جيدا، حين أبدى استعداده «لتقديم مساعدات إنسانية مماثلة لأى دولة إسلامية فى أى مكان دون مقابل».[48]

على كل حال لم يملك البريطانيون أن يفعلوا شيئا للوفد الروسى غير أن يضعوا العراقيل أمام أعضائه فى رحلة العودة، وأن يشددوا الرقابة عليهم، عند مرور بعضهم بفلسطين.[49]

وفى تقييمه للدور الروسى فى المؤتمر الإسلامى بمكة، قال الزعيم الهندى شوكت على: إنه بالرغم من عدم نجاح المؤتمر فى تقديره إلا أن «شيئا عظيما قد تحقق للإسلام من خلال الدعوة لوحدة الشرق، التى حققت وحدة الإسلام بفضل الجهود التى بذلها الوفد الروسى».[50]

وقد لاحظ نورمان مايرز N.Mayers القائم بأعمال الوكيل السياسى البريطانى فى جدة – أثناء انشغال جوردن بالتفاوض مع الملك عبد العزيز حول إعادة صياغة العلاقات البريطانية – السعودية، أن «فكرة وحدة الشرق» أو «وحدة الإسلام» بدأت تلقى اهتمام بعض العناصر الإسلامية، وخاصة من بين الأتراك والمصريين. وتساءل مايرز عما إذا كان هناك تعاون غير معلن بين الروس والأتراك بشأن هذه الفكرة.[51]

ولاشك فى أن العلاقات السوفيتية – التركية كانت طيبة منذ أن وقعت معاهدة صداقة بين البلدين فى عام ١٩٢١. وكانت هذه المعاهدة واحدة من ثلاث معاهدات. أما الاثنتان الأخريان فقد وقعتا مع كل من أفغانستان وإيران. ويلاحظ أن هذه البلاد كانت منطلقات للتدخل الغربى فى الشئون الروسية، ثم صارت حاجزا بين البلاشفة والبريطانيين وبذلك تكون روسيا قد سعت لتحييد مناطق الانطلاق البريطانى نحو أراضيها وتحويلها إلى مصدات ضد المد البريطانى نفسه. وساعد على ذلك سعى السوفيت إلى توطيد علاقاتهم بمناطق تقع إلى الخلف من هذه البلاد مثل سوريا والعراق، مع أنها كانت واقعة تحت الانتدابين الفرنسى والبريطانى، وهو نظام لم تقره الحكومة السوفيتية فى مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣(٥٢).

وفى عامى ١٩٢٣ و ١٩٢٤ جرت اتصالات بين حزب الوفد المصرى ووزير الخارجية السوفيتى، وقامت فى باكو حركة مؤيدة لمصر ضد الاستعمار البريطانى، كان شعارها المعلن «ارفعوا أيديكم عن مصر». وورد فى قرار الادارة الروحية لمسلمى أوزبكستان فى ١٥ ديسمبر ١٩٢٤ ما نصه «لقد حمل الامبرياليون البريطانيون إلى العالم الإسلامى الدماء والعداء والفاقه والجوع. البريطانيون جزارون سفاكون للدماء، خونة وكذابون ... إن السلطة السوفيتية تحمل الحرية إلى الشرق، بينما يحمل إليه إمبرياليو بريطانيا الاستعباد»(٥٣).

والعلاقات بين مسلمى روسيا وكل من تركيا ومصر أقدم من الثورة البلشفيه بكثير. فهى تظهر بوضوح فى تلك الأيام من القرن التاسع عشر، التى كانت خلالها مدارس القاهرة واستانبول قبلة العلماء الروس لتعليم أولادهم، كما كانت صحف القاهرة واستانبول تدخل روسيا منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وكان لها دور فى تنمية الشعور القومى بها، وبالطبع كان لتلك الأفكار تأثير مباشر على الثورة الروسية. ففكرة الوحدة الاسلامية التى رفعها الروس فى عام ١٩٢٦ بين المسلمين فى الحجاز، تعود أصلا إلى أيام السلطان عبد الحميد الثانى، وكان لثورة تركيا الفتاة ما يفوق التأثير الذى أحدثته ثورة ١٩٠٥ فى روسيا(٥٤).

أما علاقة مسلمي روسيا بشبه الجزيرة العربية، فتعود إلى تأثير حركة «الموحدين» المعروفة باسم الحركة «الوهابية» منذ أواخر القرن الثامن عشر. ومنذ منتصف القرن التاسع عشر أصبحت الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي تتميز بطابع أكثر سياسة، وأشد عمقاء تهدف إلى تجديد الفكر والثقافة. وظهر فريق من البرجوازيين قليل العدد نشيط الهمة، قاد هذه الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي فيما بين تركيا وأندونسيا. ومن بين أعضاء هذا الفريق كان هناك سيد أحمد خان ومير علي في الهند، والشيخ محمد عبده في مصر، وعبد الحق حامد ونامق كمال وتوفيق فكرة في تركيا، والحاج أغوس سليم في أندونسيا.(٥٥)

ويتضح من هذه العجالة كيف كانت الحركة الإسلامية الروسية مرتبطة بحركة الجامعة الإسلامية ارتباطا قويا، من خلال الصلات الوثيقة بين المسلمين الروس والمسلمين الأتراك. فإذا علمنا أن عدد المسلمين الروس يبلغ ١٧٪ من عدد السكان في الاتحاد السوفيتي، لوجدنا أنه من الصعب اعتبارهم أقلية غير مؤثرة. كما أن ٧٥٪ من هذه العناصر الإسلامية السوفيتية كانوا من أصل تركي(٥٦).

وتتأكد هذه الصلات الإسلامية القوية التي جسدت شعار «وحدة الشرق» أو «وحدة الإسلام». في تقرير للمخابرات البريطانية، تلقاه الوكيل البريطاني مايرز في عام ١٩٢٦، ويفيد بأن شخصية سياسية عراقية كانت على اتصال مع بعض الشخصيات الإسلامية في مصر. وأصبح مايرز يسمع في كل مكان حديثا عن «جبهة إسلامية صلبة»، وهو يعتقد في أن تركيا وراء هذه الجهود، وأن الملك عبد العزيز يدعم هذه الجبهة. وكان لتبني الوفد الروسي لقضية «الوحدة الإسلامية» آثار إيجابية على السياسة السوفيتية في الشرق، وفي نفس الوقت كان ذلك التوجه سلاحا قويا في يده ضد الوجود الغربي في آسيا.(٥٧)

٥- نشاط الوكالة السوفيتية بجدة:

ذكرنا - فيما سبق - شيئا من الشائعات التي أثيرت حول نشاط حكيموف في الفترة الاسبقة على موسم الحج، خلال صيف ١٩٢٦، والبلبلة التي سببتها تلك

الشائعات فى الأوساط الدبلوماسية بجدة، وخاصة سفره إلى إرتريا لبدء نشاط شيوعى هناك. ترى هل أراد حكيموف أن يترك الميدان خلوا فى الحجاز من أى نشاط سوفيتى رسمى، بعد ما أثبت الوفد الروسى، غير الرسمى، نجاحا فى الدعاية لثورة السوفيتية بين الحجاج؟.

لعل حكيموف أراد الابتعاد عن الحجاز إبعادا للشبهات التى دارت حوله. وفى تقديرنا أن هذه الموضوعات تحتاج إلى دليل فى مادة وثائقية، وهو مالم نضع أيدينا عليه بعد. ولعله من الأمانة التاريخية أن نترك حسم هذه الجوانب إلى أن نقف على مادة وثائقية جديدة.

وتفيد الاشارات المتباعدة الواردة فى تقارير الوكالة البريطانية فى جدة، أن الشائعات انتشرت، خلال شهر أغسطس، بين الدبلوماسيين هناك بما يفيد أن السوفيت سيغلقون وكالتهم السياسية، تاركين الباب مفتوحا أمام النشاط القنصلى فقط[٥٨].

ترى هل كانت هذه الشائعات الأخيرة إضافة جديدة إلى ذلك الرصيد الضخم من الشائعات حول حقيقة النشاط السوفيتى؟. الواقع أنها كانت كذلك. فقد عاد حكيموف إلى الظهور فجأة فى الأوساط الدبلوماسية بجدة، مؤكدا على دوره الدبلوماسى ونشاطه الرسمى.[٥٩]

وبعد ذلك كله يبقى السؤال الذى طرحناه حول نشاط الوكالة السوفيتية أثناء موسم الحج بغير إجابة، لأن كل ماوضعنا أيدينا عليه تبين فيما بعد أنه من الشائعات.

٦- موقف بريطانيا:

وعن رد الفعل البريطانى تجاه التحدى السوفيتى فى الشرق، فقد سارت مقاومة النشاط السوفيتى طبقا لخط استراتيجى واضح فى السياسة البريطانية. وأعلن أوستن تشمبرلين، وزير الخارجية البريطانى، فى ٢٠ أكتوبر ١٩٢٦ أن الدولية الثالثة Third Inernational «التى جعلت من بين أهدافها إحداث ثورة عالمية، كانت منذ نشأتها

تعمل ضد بريطانيا ... لأن بريطانيا هي العائق الأول الذى يقف فى وجه نشاطها، كما أن انتشارها يقتضى أن يكون لها مواقع متقدمة، ولهذا فإن العملاء السوفيت يهاجموننا بحماس». (٦٠)

وأكد تشمبرلين على عدم وجود «خطر» سوفيتى على المصالح البريطانية بصفة عامة. ولكن هناك بالفعل «تهديد» لهذه المصالح فى جنوبى وجنوب شرقى آسيا. وفى إيران. ومع ذلك لم يشر تشمبرلين فى تقييمه للسياسة السوفيتية التى تتحدى السياسة البريطانية – إلى التهديد السوفيتى للمصالح البريطانية فى شبه الجزيرة العربية. ويعنى هذا أن التهديد السوفيتى لم يكن – فى نظر البريطانيين – قد وصل بعد إلى درجة الخطر فى عام ١٩٢٦، وأن البريطانيين كانو يشعرون أنهم مازالو فى مأمن من عمل سوفيتى مؤثر ضدهم.

ويلاحظ المتتبع لرد الفعل البريطانى فى مواجهة النشاط السوفيتى على مستوى شبه الجزيرة العربية. نوبات من التردد الواضح لدى صناع القرار البريطانيين، سواء أكانوا فى جدة أو فى لندن. فالوكالة البريطانية بجدة كانت تحذر مرة من النشاط السوفيتى، وتعود فى أخرى فتقلل من شأنه، ثم تشير فى ثالثة إلى انحسار شبه تام للنشاط الدبلوماسى السوفيتى. وتؤكد بعض تقارير جدة البريطانية على انعدام فرص النجاح أمام النشاط السوفيتى فى تحدى النفوذ البريطانى فى شبه الجزيرة العربية، وهذا صحيح إلى حد كبير. ولكن الوكالة البريطانية فى جدة تعود لتؤكد مواطن الخطر السوفيتى الحقيقى خارج شبه الجزيرة العربية، وخاصة فى إيران ومصر والسودان.

ففى نوفمبر ١٩٢٦ أعلن لورد لويد Lord Loyd المندوب السامى بالقاهرة، عن وجود نشاط سوفيتى فى كل من مصر والسودان، مؤكداً على أن الدعاية التى يسعى السوفيت لنشرها فى المنطقة من خلال عملاء لهم سيكون لها آثار سلبية على المصالح والنفوذ البريطانيين. واقترح لورد لويد ضرورة العمل على إفساد العلاقات السوفيتية – السعودية، وهو اقتراح سبق أن عرضه جوردن على حكومته. وأضاف

لويد أنه من الأفضل إغراء الملك عبد العزيز كى يقطع علاقاته بالسوفيت. واقترح أن تكون زيارة جورج أنطونيوس للحجاز فى ديسمبر من نفس العام، فرصة طيبة لإقناع الملك عبد العزيز بهذا الاتجاه الجديد، الذى يجب أن تتبناه الحكومة البريطانية.(٦١)

لم تجد لندن فى تحذيرات كل من جوردن ولويد مايدعو إلى العمل بنصحهما، خاصة وأنها وضعت فى الاعتبار قضايا تتعلق بالعلاقات البريطانية – السعودية والعلاقات البريطانية – الأوربية، فقد كانت وزارة الخارجية معنية بالنظرة الشاملة إلى الأمور فى السياسة البريطانية الخارجية، بينما كان المسئولون البريطانيون فى جدة والقاهرة معنيين بالإطار الإقليمى للمناطق الواقعة تحت مسئولياتهما، وهذا الاختلاف فى النظرة إلى الأمور طبيعى بين كل من لندن من جهة وجدة من الجهة الأخرى. ولم تنقد وزارة الخارجية وراء ممثليها فى الميدان، وإنما بعثت إلى جدة برسالة، فى ٢٧ نوفمبر ١٩٢٦، تطلب فيها أن يتقصى جوردن الحقائق حول النشاط السوفيتى، وأن يخطر الملك عبد العزيز باقتراح لورد لويد. وبعد جدل طويل حول أسلوب التعامل مع هذا الموقف المعقد، آثرت وزارة الخارجية أن تترك الأمر برمته لمهارة جوردن السياسية، ليرى فيه مايشاء من أساليب العلاج.(٦٢)

انقضى عام ١٩٢٦ والبريطانيون مازالوا مشغولين بالبحث عن حقيقة النشاط السوفيتى فى الحجاز. ويستطيع من يقف على سيل البرقيات المتبادلة بين لندن من جهة وكل من القاهرة وجدة من الجهة الأخرى، أن يقدر حجم حالة القلق العامة التى فرضت نفسها على المسئولين البريطانيين فى الشرق الأوسط ولندن.

وأطل عام ١٩٢٧ بترديد شائعة جديدة، مفادها أن المفوضية الهولندية فى مصر نشرت تقريراً نقلته جريدة الأهرام المصرية فى ٢٨ نوفمبر ١٩٢٦، عن نشاط أفراد شيوعيين من جاوة، بالتعاون مع الوكالة السياسية السوفيتية، بين الحجاج فى مكة. ولكن حكومة الحجاز نفت وجود مثل هذا النشاط أصلاً فى الأراضى المقدسة، وبدورها نشرت تكذيبا لما ورد بالأهرام فى جريدة أم القرى الصادرة فى ٢٥

١٩٢٧. وطلبت حكومة الحجاز من الحكومة الهولندية التحقيق فى الوقائع المنسوبة إلى قنصلها فى مصر.(٦٣) ولكن القنصل الهولندى راح هو الآخر يكذب النبأ وكل مانشر حوله. ونفى نفياً قاطعا أى دور للمفوضية الهولندية فيه.

ومهما يكن من أمر هذه الشائعة الأخيرة، فقد كانت بالدرجة الأولى تحذيرا لبريطانيا. ولكن مايرز يرى أن التحذير موجه إلى الحكومة السوفيتية، لأن الدول الأوروبية صارت أكثر يقظة فى مواجهة النشاط السوفيتى الفعلى عن ذى قبل. أما ترويج الشائعات من جانب موسكو فلن يؤدى فى النهاية إلا إلى انتصارات مزيفة، ولن ينشر المبادىء البلشفية. ولعل أهم نتيجة لظهور هذه الشائعات فيما يتعلق بهذه الدراسة هى: أن الدول الكبرى بدأت تهتم برعاياها المسافرين إلى الحجاز فى موسم الحج، وتحذرهم مما قد ينتظرهم هناك من خطر بلشفى، وتعمل فى نفس الوقت على الحيلولة دون نشوء مثل هذا الخطر.(٦٤)

وتزعمت بريطانيا مثل تلك الخطى. وراح مايرز يتقصى من جديد حقيقة الدور السوفيتى، وكأن الأمور كانت تزداد غموضا. وكان ذلك صحيحا إلى حد كبير، فقد تبين مايرز أن حكيموف كان يستعد لمغادرة الحجاز، ومنذئذ لم يعد الحجاز وحده منطقة متابعة وملاحقة بريطانية للنشاط السوفيتى، وإنما صارت منطقة الشرق الأوسط بأكملها ميداناً للتفتيش عن النشاط السوفيتى.(٦٥) وتأكد هذا الاتجاه منذ زيارة مدير المخابرات البريطانية فى الخرطوم لمدينة جدة فى يناير ١٩٢٧، وأكد على ضرورة مشاركة المخابرات البريطانية فى نشاط الوكالة السياسية البريطانية فى جدة، واتفق مدير المخابرات والوكيل السياسى على عدم التراخى فى ملاحقة النشاط السوفيتى.(٦٦)

لم تكن مراقبة بريطانيا للنشاط السوفيتى فى الحجاز أمرا هينا لسببين: الأول أن مثل هذه المتابعة كانت تتم بصورة موسمية فى أيام الحج من كل عام، وفى مكة على وجه الخصوص، ولم يكن مسموحا لأى مسئول بريطانى غير مسلم بدخول

الأماكن المقدسة. والثاني أن تدبير عناصر إسلامية مناصرة لبريطانيا يمكن أن تندس وسط الحجاج الروس لم يكن أمرا يسيرا. لأن الاتجاه العام بين المسلمين كان معاديا لبريطانيا.

ونلاحظ على كل حال أن تومتوف Tuimetoff، نائب حكيموف، قد آثر أن يقضي أجازة طويلة في أسمرة، في الوقت الذي شدد البريطانيون مراقبتهم على الوكالة السوفيتية في جدة، وبدت الوكالة شبه مغلقة، لأن تومتوف اصطحب سيدتين من العاملين معه في رحلته. وخلال هذه الزيارة لأرتريا وسع تومتوف معرفته بأفريقيا، وبدأت مخاوف مدير المخابرات في السودان تزداد من احتمالات توسيع دائرة النشاط السوفييتي في أفريقيا إنطلاقا من جدة.(٦٧)

وعلى نفس مستوى اهتمام المخابرات البريطانية في السودان، بدأ قلم المخابرات في حكومة الهند البريطانية يراقب نشاط الحجاج المسلمين، القادمين إلى الحجاز والعائدين منه، ووضع ميناء بومباي تحت المراقبة الشديدة، ودارت الشكوك حول المطوفين الذين يتنقلون بين الهند والحجاز معظم العام، ووضعوا كذلك تحت المراقبة الشديدة.(٦٨)

كانت مكة تقدم للسوفيت فرصة لاتتكرر في أي مكان آخر من العالم؛ ففيها يتجمع أكبر عدد من المسلمين من مختلف أنحاء المعمورة، وكانت بذلك - كما يرى السوفيت - منبرا مناسبا للغاية لمخاطبة شعوب العالم المختلفة. وإذا لم يكن في إمكان السوفيت التأثير على كثير من الحجاج، فإن بعضهم على الأقل قد وقع في شراك الدعاية الشيوعية، وخاصة أولئك الذين يقضون في الحجاز فترة أطول من غيرهم. والحق أن نجاح الروس في مكة وحدها يعد من الناحية العملية نجاح لهم في منطقة تمتد من أندونيسيا شرقا إلى المغرب الأقصى غربا، ويساعد على ذلك أن الحجاز يختلف عن كثير من بلاد العالم وقتئذ، لافتقاره إلى وسائل الاتصال السريعة، وإلى صحافة حرة، فضلا عن حساسية المسلمين الوافدين إليه تجاه الغرب،

ورغبتهم فى التخلص من براثنه، كل ذلك هيأ الفرصة لانتشار الدعاية البلشفية بصورة مباشرة، سواء أكان ذلك بصفة دائمة أو حتى فى موسم الحج فقط.

ومع ذلك فإن جميع الممثلين الأوربيين فى جدة متفقون حول مسألة واحدة هى أنهم لم يستطيعوا تقديم دليل واحد على وجود مثل هذه الدعاية البلشفية، وبالطبع لم يستطيعوا مواجهة حكيموف أو أى من أعضاء الوكالة السوفيتية. وفى تقديرهم أنهم على صواب لأن «الحجاز مملكة صغيرة لايخفى فيها سر».(٦٩)

ولو نظرنا إلى هذه المسألة من وجهة النظر السوفيتية، وافترضنا أن استراتيجية السوفيت كانت ترى فى الحجاز جبهة مفيدة لنشر الأفكار البلشفية وتحدى الاستعمار الغربى، فلن يحقق السوفيت بالتأكيد أى نجاح، لأن الملك عبد العزيز كان صديقاً لبريطانيا، مع أنه كان غير راض عن جوانب كثيرة فى سياستها، ولكن كان هذا هو واقع الأمر. كما أن كلا من هولندا وفرنسا وألمانيا تدعمه اقتصاديا. لهذا فالملك يرى أن أموره السياسية والاقتصادية لايمكن أن تسير بدون التعامل مع الغرب. لذلك فهو لايستطيع صراحة الانضمام إلى التيارات السياسية المعادية للغرب والتى يتزعمها الهنود أو المغاربة أو مسلمو جاوة، لأن ذلك سيقوده إلى الاصطدام ببريطانيا وفرنسا وهولندا على التوالى. والسوفيت يدركون ذلك جيدا، ولذلك فهم يسيسون أمورهم بحكمة فلا يصطدمون بعبد العزيز آل سعود، ولا يظهرون نشاطهم بما يسبب له حرجاً فى مواجهة الدول الغربية. ولذلك كله فهم حريصون على أن يكون لهم وجود وتمثيل دبلوماسى، أو قنصلى على الأقل. ولكن ليس من الضرورى أن يكون هذا الوجود متألقا، على العكس فإن الوجود الباهت يبعد الشكوك عنهم، كما هو الحال فى الحجاز.

لذلك كله حرص السوفيت على أن يؤكدوا على المستوى الرسمى أنهم طبيعيون جدا، يأكلون ويشربون ويلهون وينطلقون ككل الناس، تاركين بذلك الدور الحقيقى للنشاط غير الرسمى، وهم يأملون فى أن يكون الحجاج الروس ركيزة

الدعوة إلى البلشفية بين الشعوب المستضعفة، وهذا أمر لايمكن السيطرة عليه من جانب الغرب، خاصة وأن مابين مائة ومائة وثلاثين ألفا من الحجاج يزورون مكة سنويا فى ذلك الوقت، وهو عدد ضخم، وبالتأكيد سيكون بينه عناصر مؤثرة، ومن جهة أخرى فإن محاولة التدخل من جانب حكومة الحجاز فى شئون الحجاج الروس، أو تقييد نشاطهم، أو مراقبتهم، أمر يبدو مستحيلا، وهو بالفعل كذلك، كما أن الحجازيين فى النهاية ليسوا على استعداد للتضحية بمثل هذا العدد من الحجاج سنويا.

٧- تقـــويم:

إن عمر تجربة السوفيت منذ إنشاء وكالتهم السياسية فى الحجاز فى عام ١٩٢٤ ثلاث سنوات فقط. تميزت بأنها كانت فترة استكشاف ودراسة لإقليم الحجاز وللدور الذى يمكن أن يلعبه فى استراتيجية الدعاية السوفيتية فى العالم الإسلامى. وقد وقف السوفيت على حقيقة الدور الخطير الذى يمكن أن يؤديه الحجاز كإطار جغرافى، أو كموقع يحوى مقدسات المسلمين المطالبين بزيارته مرة على الأقل فى حياتهم، واقتنع السوفيت بحقيقة أن مثل هذا الدور لابد وأن يكون دورا غير رسمى، لاتدخل الحكومة السوفيتية ولاحكومة الحجاز طرفين فيه، وأن يوكل الدور بكامله للعناصر الإسلامية الروسية كى تتعامل مع المسلمين الوافدين من مختلف أرجاء العالم.

ولعل من أهم مايميز فترة الحضور السوفيتى فيما بين عامى ١٩٢٤، ١٩٢٧ أن حكيموف لعب خلالها دورا غامضا، لم تتكشف حقيقته وقتئذ. ولكن من المؤكد أنه استطاع أن يخدع جميع الأطراف بمن فيهم زملاءه من الأوربيين، وأن يمد النفوذ السوفيتى إلى اليمن، وأن يعبر به البحر الأحمر إلى أرتريا الإيطالية. وحين اقتربت هذه الفترة من نهايتها بدأ شخص حكيموف ينحسر تدريجيا، ويظهر فى نفس الوقت إسم تومبتوف. وهذا يعنى أن الاستراتيجية السوفييتية كانت مقدمة على برنامج عمل جديد لا يتناسب وإمكانيات حكيموف. أو أنها استنفدت كل أغراضها

من حيكموف، وأنها في حاجة إلى دماء جديدة قادرة على التعامل مع متطلبات المرحلة المقبلة.

ونحن لانتفق مع جوردن فيما ذهب إليه بادىء الأمر من أن حكيموف «شخص سكير غبي لايفهم ماذا يعمل». والحق أن حكيموف كان يعرف جيدا ماذا يعمل، وكان أحد أدواره الأساسية هو إجادة فن التمويه واللامبالاة لتغطية دوره الحقيقي والإيجابي. وقد نجح حكيموف في إخفاء دوره الرسمي إبعادا لكل الشبهات عن نفسه، وعن وكالة بلاده السياسية، وحين كان عليه أن يغادر الحجاز نهائيا، لم يفصح عن ذلك صراحة، وإنما أشاع أنه سيعود قريبا إلى الحجاز في زيارات متقاربة، وأن حكومة الحجاز ستراه كثيرا.[70] إلى هذا الحد نجح حكيموف في إخفاء دوره الحقيقي.

وقبل أن يغادر حكيموف نهائيا أرض الحجاز، كان مرافقوه قد سبقوه إلى إيطاليا، مع أن برنامج السفر الأصلي كان يقضي بأن يغادر الجميع دفعة واحدة[71]. وليس هناك من تفسير لذلك غير أن أساليب الأداء في تطبيق السياسة السوفيتية كانت غامضة. ولعل هذا الغموض والتكتم كان لايزال سمة باقية للسياسة السوفيتية.

أما بريطانيا فقد أدركت أهمية وضرورة إعادة صياغة العلاقات مع الملك عبد العزيز، الذي عظم شأنه في شبه الجزيرة العربية، وصار ملكا على الحجاز ونجد، بعد أن كان ملكا على الحجاز وسلطانا على نجد.[72] وفي هذا التطور الجديد أخذ الاتحاد السوفيتي زمام المبادرة من بريطانيا، حين أعلن اعترافه الفوري بما أقدم عليه الملك عبد العزيز من توحيد الحجاز ونجد في ظل حكومة واحدة، وعندئذ تبعته هولندا وفرنسا وبريطانيا.[73]

وهكذا تزامنت مرحلة تطوير العلاقات البريطانية – السعودية في عام ١٩٢٧ مع مرحلة استعداد السوفيت لتطبيق وسائل وأساليب جديدة في استراتيجية العمل في الحجاز، هذا مجال دراستنا في الفصل التالي.

حواشي الفصل الثاني:

1- Ponomaryov B. and others (Editors), *History of Soviet Foreign Policy 1917 - 1945.*

٢- انظر: *أم القرى*، ٥ يونية ١٩٢٥.

٣- عبد الله الأشعل، «العلاقات الدولية فى إطار مجلس التعاون لدول الخليج العربية»، مجلة *دراسات الخليج والجزيرة العربية*، العدد ٣٧، يناير ١٩٨٤ ص ٦١ - ٨٩.

٤- انظر: *أم القرى*، ٥ مارس ١٩٢٦.

٥- اعترف السوفيت بالملك عبد العزيز فى ١٦ فبراير ١٩٢٦، انظر:

- Jordan (British Agent at jeddah) to Chamberlain, 9 March 1926, E 2069/7/91, F.O. 371/11431;

- Ibn Saud to Soviet Agent, 19 Feb. 1926, printed in : Ibrahim al Rashid, *Documents of the History of Saudi Arabia,* Vol. 3,pp. 214 -15, Salisbury 1976.

٦- انظر: جمال محمود حجر، «إنهاء الملك عبد العزيز للامتيازات الأجنبية فى الحجاز، ١٩٢٦ - ١٩٢٧». *الدارة*، العدد الأول، السنة العاشرة، يونية ١٩٨٤.

7- Jordan to Chamberlain, Telegram No. 23, 24 Feb. 1926, F.O. 371 / 11431.

8- Lord Lloyd (Cairo) to Chamberlain, 20 Feb. 1926, E 1426/91, F.O. 371/11446.

9- Spring Rice (F.O.) to Jordan, 11 March 1926, E 1426/1426/ 91, F.O. 371/11446.

١٠- للمؤلف مجموعة دراسات عن: قنوات الاتصال ونشأة التمثيل الدبلوماسي والقنصلي بين بريطانيا وعبد العزيز آل سعود، ١٩١٤ - ١٩٣١، نشر منها.

أ- «تبادل التمثيل الدبلوماسي البريطاني السعودي ١٩٢٩ - ١٩٣٠»، *حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية*، جامعة قطر، العدد ١٢ (١٩٨٩).

ب- «سير أندرو ريان وأزمة التمثيل الدبلوماسي البريطاني في جدة ١٩٣٠ - ١٩٣١»، *حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية*، جامعة قطر العدد ١٤ (١٩٩١).

11- Jordan to Chamberlain, 10 April 1926, E 2917/426/91, F.O. 371/11446.

12- Jordan to Chamberlain, 29 Dec. 1925, E 364/180/91, F.O. 371/11447.

13- *Ibid.*

14- Report by Sir Gilbert Clayton on his mission to negotitat certain agreements with the Sultan of Nejd, and instructions issued to him in regard to his mission, P.R.O., F.O. 371/11473.

15-Memo.on Foreign Policy of H.M.G. (undated), ***Documents on British Foreign Policy (D.B.F.P.) 1919 - 1939***, Ser. IA. i, 1966, pp. 863 -4.

16- Clayton to Chuckburgh (C.O) 21 April 1926, F.O. 371/11437.

17- Jeddah Report, March 1926, E 2627/376/91, F.O. 371/11442.

18- See *Revue du Monde Musulman*, XIV, 1926; Toynbee, A., ***Survey of International Affairs 1925***, London, 1927.

19- F.O to Jordan, 15 May 1926, E 2917/1426/91, F.O 371/11446

20- Jordan to Chamberlain, 10 april 1926, E 2917/426/91, F.O. 371/11446.

21- *Ibid.*

22- *Ibid.*

23- *Ibid.*

24- F.O. to Jordan, 15 May 1926, E 2917/1426/91, F.O. 371/11446.

25- F.O.Memo.,10 April 1926, ***Documents on British Foreign Policy (D.B.F.P.) 1919 - 1939,*** Series. IA, i, . pp. 827-8:

26- Jeddah Report, July 1926, F.O. 371/11442.

27- Jeddah Report, May 1926, F.O. 371/11442.

٢٩- انظر: أم القرى، ٣أبريل ١٩٢٦.

30- Jeddan to F.O., 9 June 1926, E 3528/20/91, F.O. 371/11433.

31- Report on the Islamic Conference, by Jordan, 23 June 1926, E 4186/20/91, F.O. 371/11433.

٣٢- انظر أسماء أعضاء الوفود الإسلامية إلى المؤتمر الإسلامي الأول بمكة في:

Report on the Islamic Conference, by Jordan, op. cit.

٣٣- يتكون الوفد الروسي من:

١- زياد الدين بن قولم الدين . رئيسا

٢- مصلح الدين بن خليل. عضوا

٣- عبد الواحد بن عبد الرؤوف. عضوا

٤- محيى بن مقصود. عضوا

٥- عبد الرحمن بن اسماعيل. عضوا

٦- طاهر الياس. عضوا

أنظرفي ذلك Report on the Islamic Conference, by Jordan, *op. cit*.

٣٤- حصل سليمان الندوى على ٣٢ صوتا.

وحصل زياد الدين بن قواد الدين على ٢٠ صوتا، وامتنع سبعة أعضاء عن التصويت.

35- Jordan to Chamberlain, 23 June 1926, E 4186/20/91, F.O. 371/11433.

36- "Report on the Activities of the Soviet Delegates to the Moslem Conference held in Mecca, June 1926". Jordan to Chmberlain, 3 July 1926, E 4319/1426/91, F.O. 371/11446.

37- *Ibid.*

38- *Ibid.*

39- *Ibid.*

40- Bennigsen, A., "Islam in the Soviet Union", ***Journal of South Asian and Middle Eastern Sudies,*** VIII, No. 4, Summer 1985.

41- *Ibid.*

42- *Ibid.*

43- Jordan to Chamberlain, 3 July 1926, *op.cit.*

44- *Ibid*

45- *Ibid.*

٤٦- كلكجي وبنيغسن، *المسلمون في الاتحاد السوفيتي*، تعريب إحسان حقي (بيروت ١٩٧٧) ص ٢٤ - ٥٨.

47 - Jordan to Chamberlain, 3 July 1926, *op. cit.*

48-*Ibid.*

49- Jeddah Report, July 1926, F.O. 371/11442.

50- Report on the Activities of Soviet Delegates to the Moslem Conferece held in Mecca, June1926, *op.cit.*

51- Jeddah Report, Sept. 1926, F.O. 371/11442.

٥٢- يوندا ريفكسي، *سياستان ازاء العالم العربي*، ترجمة خيري الضامن (موسكو ١٩٧٥) ص ٢٧٤ - ٢٨٠.

٥٣- *المرجع السابق*.

٥٤- كلكجي وبنيغسن، *المسلمون في الاتحاد السوفيتي*، ص ٦٥.

٥٥- *المرجع السابق*، ص ٦٣

56- Bennigsen, A., "Islam in the Soviet Union", *op.cit.*

57- Jeddah Report, Sept. 1926, F.O. 371/11442.

58- Jeddah Report, Aug. 1926, F.O. 371/11442.

59- Jeddah Report, Nov. 1926, F.O. 371/11442.

60- Statement by Sir A. Chamberlain to the Imperial Confernce, Oct. 20, 1926, *Documents on British Foreign Policy,* Vol. 11, Series IA, pp. 945 - 7.

61- Lord Leyod (Cairo) to F.O., 19 Nov. 1926., E6429/1426/91, F.O. 371/11446;

Jeddah Report, Feb. 1927, F.O. 371/12250.

62- Chamberlain to Jordan, 27 Nov. 1926, F.O. 371/11446.

٦٣- أنظر: أم القرى، ٢٥ فبراير ١٩٢٧.

64- Jeddah Report, Feb. 1927, F.O. 371/12250.

65- Mayers to Chamberlain, 29 March 1927, E 1793/323/91, F.O. 371/12248.

66-*Ibid*.

67-*Ibid*.

68-*Ibid*.

69-*Ibid*.

70- *Ibid*.

71- Mayers to Chamberlain, 29 March 1927, E 1793/323/91, F.O. 371/12248.

٧٢- أم القرى، ٨ أبريل ١٩٢٧.

73- Yusuf Yasin to Hakimoff, 3 April 1927; Hakimoff to Yusuf Yasin, 15 April 1927, Ibrahim al-Rashid, *Doc. on Saudi Arabia*, vol.3, pp. 216-17.

الفصـــل الثالـــث

السعوديون والبريطانيون والدعاية السوفيتية

(مرحلة الممارسة)

١٩٢٧-١٩٢٨

١- الملك عبد العزيز وبريطانيا والنشاط السوفيتى.

٢-الدعاية السوفيتية من خلال مسلمى جنوب شرقى آسيا.

٣- الدعاية السوفيتية من خلال النشاط التجارى.

٤- موقف الملك عبد العزيز.

٥- موقف بريطانيا.

٦- حول المواقف السعودية و البريطانية.



لعل أهم مايميز هذه المرحلة أن العلاقات البريطانية -السعودية فيها قامت على أسس متكافئة، من الناحية النظرية على الأقل، طبقا لبنود معاهدة جدة، فى مايو ١٩٢٧. وبالطبع فإن هذا التكافؤ، أو الندية فى العلاقات بين البلدين لابد وأن له تأثيراً على موقف الملك عبد العزيز آل سعود من النشاط السوفيتى فى الحجاز. ذلك أن محاولات الملك فى المرحلة السابقة لتطوير علاقته ببريطانيا قد أثمرت ثمرة إيجابية كما كان يتمنى. وبالتالى فمن المتوقع ألا يكون للسوفيت عنده مايفضلهم، أو حتى يساويهم بالبريطانيين.

ويحاول هذا الفصل أن يظهر التغييرات الجديدة لدى مختلف الأطراف لتطويع أو تطوير سياستها حسب طبيعة المرحلة الجديدة، بعد الوقوف على الحقائق فى مرحلة الاستكشاف، التى تحدثنا عنها فى الفصل السابق. فالسوفيت أدركوا ضرورة وضع استراتيجية عمل جديدة تعتمد على التخفى فى الممارسة، بأسلوب أفضل مما كانت عليه فى السابق. والبريطانيون شددوا الرقابة لملاحقة مختلف النشاطات السوفيتية فى منطقة البحر الأحمر، بعد أن منحوا الملك عبد العزيز معاهدة صداقة لم توقع مثلها معه دولة أخرى.

أما الملك عبد العزيز فقد ظل يلعب بذكاء ومهارة ورقة السوفيت فى علاقاته مع بريطانيا.

١- الملك عبد العزيز وبريطانيا والنشاط السوفيتى:

شهد شهر مايو ١٩٢٧، الذى وقعت فيه معاهدة جدة البريطانية - السعودية، بداية وصول أفواج الحجاج من مختلف أنحاء العالم الإسلامى، ومن بينهم - بالطبع - كانت وفود الحجاج الروس. وكانت بريطانيا قد أخذت أهبتها واستعدت لمواجهة المشاكل الدعائية المحتملة فى الموسم الجديد للحج.

وتوقع البريطانيون أن يصل عدد الحجاج الروس إلى مابين أربعة آلاف وعشرة آلاف حاج. هذا، مع أن الأعداد التى وصلت منهم بالفعل خلال شهر مايو المذكور لم تزد عن ٣٦٠ حاجا فقط. وتعنى التقديرات البريطانية السابقة للحجاج الروس، أن بريطانيا أخذت تعد نفسها لأسوأ الاحتمالات، وأن شيئا من القلق كان يسيطر على الأوساط البريطانية المعنية بالشرق خوفاً من احتمال زيادة نشاط «عملاء الدعاية السوفيتية» فى موسم الحج بمكة.(١)

وفى محاولة من جانب قناصل كل من بريطانيا وهولندا ومصر، لتفادى الآثار السلبية لمثل هذا النشاط الدعائى السوفيتى، قرر هؤلاء القناصل مقابلة الأمير فيصل بن عبد العزيز، نائب الملك فى الحجاز ليعبروا له عن مخاوفهم من النشاطات المتوقعة للحجاج الروس فى ذلك العام. ولكن الأمير طمأنهم إلى أن حكومة الحجاز مستعدة لمراقبة الموقف عن كثب، وأنها لن تسمح للسوفيت أو لعملائهم بممارسة أى نشاط دعائى بين الحجاج فى الحجاز. ولكن مخاوف القناصل بدأت تتأكد حين نما إلى علمهم أنباء مفادها: أن الروس بدأوا فى ممارسة «أساليب جديدة فى سياستهم الدعائية»، وأنهم أخذوا يطبقونها بالفعل خارج الحجاز، تمثل بعضها فى الاعلان عن تخفيضات كبيرة فى أسعار تذاكر الملاحة بين أوديسا وجدة، تيسيرا على الحجاج الأفغان، وتشجيعا لهم على السفر على سفن سوفيتية.(٢)

وفى تقديرنا، فإن نقل الحجاج الأفغان إلى الحجاز على سفن سوفيتية، إنما يهيئ فرصة طيبة للسوفيت للتأثير على هذه الأفواج، وبهيئهم لتقبل الأفكار الشيوعية قبل الوصول إلى مكة. وبالتالى فإن مثل هذه العناصر يمكن أن تكون أكثر فعالية عند وصولها إلى الأراضى المقدسة حين تساهم فى إذكاء روح

الدعاية، التي قرر السوفيت إسنادها إلى عناصر غير روسية من الناحية الظاهرية. ومن ناحية أخرى فإن قيام السوفيت بنقل مجموعات من الحجاج غير الروس إنما يعنى تهيئة فرصة أوسع، وربما فرصة أفضل لنشر دعاياتهم بعيدا عن أى نوع من الرقابة البريطانية فى المناطق الواقعة تحت نفوذها، أو أى ضغط قد تمارسه على الملك عبد العزيز قد تنعكس آثاره على المسلمين فى الحجاز.

ولايبدو أن الملك عبد العزيز كان يجهل طموحات السوفيت أو مخاوف البريطانيين منها. فنراه يستغل تلك المخاوف بكياسة وفطنة. ويتضح ذلك من تقرير أعده سيرجلبرت كلايتون، المندوب البريطانى فوق العادة، الذى كان قد فرغ من مفاوضات مع الملك عبد العزيز حول معاهدة جدة (١٩٢٧) المذكورة. فى هذا التقرير، كتب كلايتون إلى سير أوستن تشمبرلين، وزير الخارجية البريطانى، شارحاً على لسان الملك عبد العزيز، تصوره لمواقف الدول المتربصة بشبه الجزيرة العربية، والساعية إلى طرد النفوذ البريطانى منها، وربما لإسقاط حكم الملك عبد العزيز نفسه. وكان الملك قد أفضى برؤيته هذه إلى كلايتون فى اجتماع خاص، بعد انتهائهما من صياغة بنود معاهدة جدة المذكورة، التى قال عنها الملك: إنه لايريدها أن تكون مجرد إعلان للصداقة بين البلدين، وإنما لابد وأن تترجم إلى تعاون وثيق بينهما، حتى يتمكنا من التصدى للقوى المتربصة بهما فى الحجاز على وجه الخصوص.(٣)

وطبقا لرواية كلايتون وهى الوحيدة المتاحة فى هذا الموضوع، فقد قسم الملك عبد العزيز الدول التى كانت تتربص ببريطانيا وبه، من خلال شبه الجزيرة العربية إلى أربع مجموعات: تضم المجموعة الأولى روسيا وتركيا، وتضم المجموعة الثانية إيطاليا وفرنسا، وتضم المجموعة الثالثة مصر، أما المجموعة الرابعة فتضم العراق وشرق الأردن.

أما تركيا وروسيا فكانتا فى نظر الملك عبد العزيز - طبقا لرواية كلايتون - تعملان ضده، وضد الحكومة البريطانية، وتسعيان إلى التأثير على حكومات أخريات كى تسير سيرتهما. وأكد الملك على أن لديه دليلا قويا مفاده: أن روسيا تسعى سعيا حثيثا لعقد تحالف مع كل من تركيا وإيران وأفغانستان» للعمل معا ضد السياسة البريطانية فى الشرق. وأضاف الملك أن اتصالا قد جرى معه شخصيا، بطريقة غير مباشرة، لكى ينضم إلى ذلك التحالف المزمع تكوينه.

وبالرغم من أن الملك عبد العزيز أشار إلى الجهود السوفيتية المناوئة له ولبريطانيا، إلا أنه لم يقدم - من خلال كلايتون - دليلا واحدا على أن السوفيت يحملون ضده هو أيضا. وعلى العكس من ذلك، نجد أن القنصل السوفيتى بجـ : قد طلب إليه - على صعيد آخر له علاقة بنفس الموضوع - أن يقبل دعوة الحكومة السوفيتية، لأن يزور الأمير فيصل موسكو زيارة رسمية، وفى الوقت نفسه ذكر أن القنصل السوفيتى وعده بأن يعمل الاتحاد السوفيتى على إقناع كل من إيران وأفغانستان على الاعتراف به.

ومع أن الاتحاد السوفيتى لم يقف - حتى ذلك الوقت - موقفا سلبيا تجاه الملك عبد العزيز، إلا أن الملك كان حريصا على أن يعرض أمام البريطانيين ملامح الصورة التى ترضيهم عن السوفيت، بصرف النظر عن قناعته الداخلية وإدراكه - طبقا لمقتضيات الأحوال - أن علاقته بالسوفيت أكثر نفعا له من علاقاته بغيرهم. لقد تظاهر الملك، وهو يتحدث إلى كلايتون بأن عروض القنصل السوفيتى له لم تكن مقنعة. وذلك فى محاولة من جانبه للتأكيد على ولائه للحكومة البريطانية، التى عقد معها معاهدة صداقة لم يكن مدادها قد جف بعد.

لكل ماسبق ، وفى إطار دبلوماسيته المعهودة، عرض الملك عبد العزيز على كلايتون أنه - نقلاً عن كلايتون نفسه - «لن يقبل الدخول فى مثل هذا التحالف الجديد، لأنه لايثق فى الإيرانيين، ولافى التعامل مع بعض المسلمين تعاملا طيبا» . وفى المقابل، أكد الملك على ثقته المتزايدة فى الحكومة البريطانية، التى يعتقد فى أنها لن تردد فى معاملته معاملة طيبة، طيلة فترة تحملها لمسئولية الانتداب فى كل من العراق وشرق الأردن، وكان هذان البلدان فى رأيه مصدران للشائعات المضادة له، ولذلك فهو لن يتردد فى مطالبة الحكومة البريطانية بأن تقف بحزم، وأن تمارس صلاحياتها ومسئولياتها فى إخماد الأصوات المضادة له والمنطلقة من المناطق الواقعة تحت الانتداب.(٤)

إن إثارة الملك عبد العزيز لقضية ما بهدف الخوض فى قضية أخرى، هى إحدى سمات مهارته الدبلوماسية فى معظم مداولاته مع المسئولين البريطانيين، وهو أسلوب ذكى يهدف إلى إشراك بريطانيا فى تحمل القسط الأكبر من المسئولية تجاه أمور بعينها، تكون دائما فى رأسه ولايفصح عنها لمحدثه مباشرة. كما أن توقيت عرض مخاوفه السابقة من الروس، فور الانتهاء من عقد معاهدة الصداقة بينه وبين الانجليز، يثير التساؤل حول حقيقة أهدافه. ترى هل كان الملك عبد العزيز محباً مخلصا للانجليز دون غيرهم إلى هذا الحد، أم أنه كان حريصا على ضمان المزيد من تأييدهم له، دون الإضرار المباشر بعلاقته بدولة أخرى، وخاصة فى وقت كان يسعى فيه لتقوية مركزه السياسى وموقفه الاقتصادى فى ممتلكاته الواسعة، ويحتاج إلى دعم وتأييد جميع الدول، التى لها علاقة بشبه الجزيرة العربية، سواء أكان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر؟.

الواقع أن خطة الملك عبد العزيز فى تناول ومعالجة التطورات المحيطة به على

المستويين المحلى والدولى كانت ماثلة فى قناعته التامة بأسلوب الدبلوماسية الهادئة، والعمل على إقناع الانجليز بأنهم ليسوا وحدهم فى الميدان. ولعله تعمد إظهار ذلك حين كان يتحدث إلى كلايتون. ولكن كلايتون، لم يكن فى حاجة إلى من يذكره بالقوى الأخرى المنافسة لبريطانيا فى شبه الجزيرة العربية، فهو خبير بشئون الشرق الأوسط، وكان من قبل خبيرا مسئولا عن جهاز المخابرات العسكرية البريطانية فى مصر، وكان يعلم جيدا طموحات الفرنسيين والإيطاليين، وتحينهم الفرص لتنمية مصالحهم وتطويرها على حساب المصالح البريطانية فى الشرق الأوسط بصفة عامة. ومع ذلك - ففى تقديرنا - أن كلايتون لم يكن يعلم بتفاصيل النشاط السوفيتى، قبل أن يسمعها من الملك عبد العزيز، ويتبين ذلك من تحمسه الشديد والمفاجىء فى معالجة هذا الأمر الخطير الذى صوره له الملك ببراعة ودبلوماسية تخدم مصالحه هو.

وفى تقديرنا، أن إفصاح الملك عبد العزيز لمسئول بريطانى عن تلك المواقف السوفيتية، إنما يعنى التأكيد على المفهوم الذى عرضناه من قبل فى هذه الدراسة، وهو أن الخيار البريطانى - إذا كان للملك أن يختار - هو الخيار الأفضل، فقد كان يدرك جيدا أن بريطانيا هى الدولة الوحيدة، التى كانت تملك معظم الأوراق فى إدارة شئون الشرق الأوسط، وأن عليه أن يأمن شرورها، وأن يؤمن صداقتها كلما أمكن، وقد نجح فى هذا نجاحاً مشهودا، والدليل على ذلك نجاحه فى تغيير وضعه الدولى، الذى حكمته معاهدة دارين ١٩١٥، بوضع أفضل قننته معاهدة جدة ١٩٢٧. وهذه السياسة، التى قوت علاقاته ببريطانيا خدمت سياسته العامة، فالمعاهدة لم تفسد علاقته بالسوفيت، على العكس من ذلك تماما، أمنت علاقته بهم، وذلك من منطلق أنه ترك لبريطانيا مهمة التصدى للطموحات السوفيتية فى بلاده، نيابة عنه ودفاعا عن

مصالحها. ترى هل كان الملك يحاول أن يضرب دولة كبرى بأخرى لتحقيق مصالحه هو؟ هذا ماسنتعرض له في مناسبة تالية.

ومهما يكن من أمر، فقد وقع تقرير كلايتون حول مهمته لدى الملك عبد العزيز على آذان صماء في لندن، فالبريطانيون لم يكونوا واثقين من صحة وجود نشاط سوفيتى فعال فى الحجاز. وحتى فى حال وجوده فإنه لن ينجح – فى تقديرهم – فى تحقيق أهدافه، لأسباب كثيرة، تتعلق بحتمية الصدام بين الفكر الشيوعى والفكر الإسلامى، وبالتالى بتأهب المسلمين للتصدى لمثل هذه الأفكار. هذا إذا تناولنا النشاط السوفيتى من وجهة النظر العقائدية.

أما إذا تناولناه من وجهة النظر السياسية، بمعنى التصدى للدعاية السوفيتية المضادة للاستعمار الغربى، فهذه قضية تهم بريطانيا والدول الأوربية فى المقام الأول، وهم يعلمون أن قدرات الاتحاد السوفيتى كانت – حتى ذلك الوقت – عاجزة عن ممارسة نشاط فعال فى هذا المجال. وبالتالى فليس هناك وجاهة للمخاوف التى انتابت كلايتون أو غيره ممن شاركه الرأى. وساعد وصول أعداد قليلة جدا من الحجاج الروس فى موسم عام ١٩٢٧، حيث بلغ عددهم فقط أربعمائة حاج، على التقليل من مخاوف البريطانين من النشاط السوفيتى، وبعد انتهاء الموسم لم يستطع البريطانيون إثبات وجود أى نشاط لهذه المجموعة القليلة العدد.

ولعل فى هبوط أعداد الحجاج الروس بشكل فجائى مايدعو إلى التساؤل حول أسباب هذه الظاهرة الغريبة، التى تبدو وكأنها تعكس سياسة سوفيتيه جديده. فدلالتها – فى الظاهر – تراجع أو انحسار فى المد السوفيتى نحو العالم الإسلامى، وفى الباطن تبدو غير ذلك، فلعل السوفيت قصدوا الإقلال من

أعداد الحجاج الروس - بعد أن خاضوا تجربة سابقة عمرها ثلاث سنوات فى استخدام هؤلاء الحجاج بشكل مباشر فى الدعاية السوفيتية - بهدف إيقاع الانجليز فى وهم جديد مفاده أن السوفيت لم يعودوا متلهفين على الوصول إلى الحجاز، كما كان الأمر من قبل، وأنهم عدلوا عن انتهاج سياستهم التى تعتمد على استخدام الحجاز مرتكزا للانطلاق إلى آسيا وأفريقيا. ويتفق ماتوصلنا إليه مع ماذكره الوكيل البريطانى فى جدة، من أن السوفيت يستخدمون استراتيجية جديدة فى الدعاية، لاتنهى دور مكة وإنما تؤكد عليه، وذلك باستخدام عناصر جديدة وأساليب جديدة، إبعاداً للشبهات، وتفاديا لصدام مباشر مع بريطانيا.(٥)

وفيما يلى نعرض لأساليب السوفيت فى استخدام عناصر إسلامية جديدة من جنوب شرقى آسيا، ومن بين سكان المستعمرات الأوربية، لخدمة الدعاية السوفيتية فى مكة وفى الشرق على حد سواء.

٢- الدعاية السوفيتية من خلال مسلمى جنوب شرقى آسيا.

جاء دعاة الفكر البلشفى إلى موسم الحج، فى صيف عام ١٩٢٧، من حيث لم يتوقع أحد. جاءوا من أقصى الشرق، من جاوة، المستعمرة الهولندية.التى عدها الروس من قبل على أنها «المنطقة التى يتطلع الشيوعيون الروس إليها، باعتبارها بيئة مناسبة لنشر أفكارهم»(٦) . ففى أندونسيا نشطت بعض الجمعيات، بهدف نشر الأفكار الشيوعية بين الحجاج خلال موسم الحج.ولكن حين أدركت السلطات السعودية نشاطهم فى بادىء الأمر، حملتهم على مغادرة الحجاز.

وقد كان لهذا النشاط غير المتوقع اصداء عديدة وردود فعل مختلفة فى الحجاز وفى خارجه. ولكن الحكومة الهولندية كانت معنية بالدرجة الأولى

بتلك التطورات. لذلك أبدى القنصل الهولندى فى جدة اهتماما كبيرا بهذا الأمر. وبين أيدينا تقرير أعده هذا القنصل وبعث به إلى الحاكم العام الهولندى، فى منطقة جنوب شرقى آسيا، فى ٢٧ يونية سنة ١٩٢٧.[٧] وأهم ما ورد فى هذا التقرير السرى هو اكتشاف جمعيتين تكونتا من بين أعضاء بعثة الحج الأندونيسية فى مكة، قبل موسم الحج مباشرة، بهدف توسيع دائرة النشاط الشيوعى فى الشرق الأقصى، بعد عودة الحجاج. وكانت كلتا الجمعيتين تحت رئاسة ماهدار شيوعى من جاوة، وكان قد وصل إلى جدة دون وثيقة سفر.

أولى هاتين الجمعيتين هى «جمعية مشايخ أندونيسيا»، وكان يتولى مسئوليتها الحاج الشيخ عباس عراقى، وقد أعلن عدد من الحجاج تبعيتهم له، وانضمامهم إلى جمعيته! وكان الشيخ عباس عراقى قد وعد جمعيته بأنه سيتظاهر بعدم شغل نفسه، أكثر من اللازم، بالحجاج الذين انضموا إلى جمعيته، إمعانا فى التمويه والتغطية. وكان الشيخ عباس يتلقى مكافأة عن كل فرد يدخل فى عضوية هذه الجمعية، تبلغ قيمتها ٢,٥ جلدر (عملة هولندية قيمتها نصف جنيه إسترليني تقريبا)، وكان على الأعضاء جميعهم أن يصبحوا شيوعيين، وأن مهمتهم، من خلال الجمعية، هى التمهيد للنشاط الشيوعى، الذى سيأتى فى مرحلة تالية. والواقع أن هذه الجمعية كانت بمثابة نوع من المدارس الاختيارية، التى يتم من خلالها انتقاء العناصر المناسبة والراغبة فى الالتحاق، وهؤلاء يشجعون على الانضمام، ويقررون بأن يصبحوا أعضاء فى المنظمة أو الجمعية الثانية التى تسمى «جمعية أندونيسيا الإسلامية».[٨]

وطبقا للبرنامج الموضوع لهاتين الجمعيتين: «جمعية مشايخ أندونيسيا» و «جمعية أندونيسيا الإسلامية»، فإن ثلاثة من أعضاء «جمعية مشايخ أندونيسيا»

يعودون إلى الشرق الأقصى، ليجندوا أعضاء جددا من بين العناصر المقيمة، والتى تتمكن من الذهاب إلى مكة، بهدف الدخول فى عضوية الجمعية، حتى يتم تكوين مركز جديد لنشر الشيوعية وجمع التبرعات لدعم «جمعية أندونيسيا الإسلامية»، وبعد ذلك يمكن تكوين جمعية جديدة كانت فكرتها قد طرحت من قبل وهى جمعية «الحاج» الأندونيسية.

أخذت «جمعية أندونيسيا الإسلامية» طابعا دينيا. وهو أمر يصطدم فى ظاهرة صراحة مع كونها جمعية لنشر الفكر الشيوعى، طبقا لما أورده تقرير القنصلية الهولندية بجدة. ولكن أن التقرير خلط بين معاداة المسلمين للمغرب ممثلا فى الإستعمار الهولندى وبين مصادقتهم الثورة فى الشرق ممثلة فى الثورة البلشفية فى روسيا. فقد كان مستشار هذه الجمعية، جنان الطيب، وهو مواطن أندونيسى، من سوماطرة، تعلم فى الأزهر بالقاهرة، وليس من المتوقع أن يتقبل مثل ذلك الرجل، الذى تعلم تعليما أزهريا، الفكر الشيوعى، ناهيك عن تبنى الدعوة إليه، اللهم إلا إذا كان المقصود هو الشيوعية السياسية، أما رئيس الجمعية فهو المهادار السابق الذكر.

ومن المفهوم أن «جمعية مشايخ أندونيسيا» تمول «جمعية أندونيسيا الإسلامية» بالأموال التى تقدر بحوالى ألفى جنيه استرلينى. وكان من المقرر – طبقا لتقرير القنصلية الهولندية – أن يعمل جنان الطيب مراسلا لهذه الجمعية فى القاهرة فى المستقبل القريب، كذلك كان من المقرر إرسال بعض الأعضاء إلى جهات متفرقة بهدف عمل الاتصالات الضرورية لممارسة نشاط الجمعية، منها إرسال وفد إلى كانتون، وآخر إلى موسكو. وسعت «جمعية مشايخ أندونيسيا» لاقتراض نفقات إرسال هؤلاء الوفود المبعوثين إلى بلدان إسلامية

مختلفة، حيث كان من المقرر صرف ٣٠ جنيها استرلينيا لكل مبعوث.(٩)

وطبقا لتقرير القنصلة الهولندية، فإن «جمعية أندونيسيا الإسلامية» أفصحت عن رأيها في حكم الملك عبد العزيز في الحجاز، في أول إشارة إلى هذا الموضوع، حين قالت: إذا لم يكن الملك حسين قادرا على تأمين طرق الحجاج في الحجاز، فذلك كان مرجعه إلى قصور في الموارد المالية، ولكنه على كل حال ترك المسلمين يناقشون أفكارهم ويعبرون عن آرائهم.

أما الملك عبد العزيز – طبقا لنفس التقرير السابق – فقد جعل الطرق آمنة، وحقق له ذلك ميزة فرض الضرائب على الحجاج الذين يستخدمونها، ولكنه في نفس الوقت سلب هؤلاء المسلمين حرية مناقشة آرائهم الدينية. إذا كان ذلك يعد موقفا سياسيا للجمعية دينية، فإنها حذرت الملك عبد العزيز من أنها سوف تسعى لعمل اتصالات مع الإيرانيين وغيرهم من العناصر المعارضة للوجود البريطاني في الشرق الأقصى. ولقي هذا الاتجاه تعاطفا من بعض العناصر وبخاصة السوريين. ولكن الملك، الذي كان يرفض استخدام الأراضي المقدسة في الأغراض السياسية، أمر السلطات السعودية في الحجاز فقبضت على عدد كبير من أعضاء هاتين الجمعيتين.

٣- الدعاية السوفيتية من خلال النشاط التجاري السوفيتي.

عرضنا لنموذج واحد من الأساليب الجديدة المستخدمة في استراتيجية العمل السوفيتية في الحجاز، تمثل في التخفي باستخدام عناصر غير روسية، من جنوب شرقي آسيا. وفيما يلي نتعرض لنموذج آخر من أساليب نشر الدعاية السوفيتية، وهو أسلوب قائم على أسس اقتصادية، ويعتمد على إغراق أسواق الحجاز بالسلع السوفيتية الرخيصة الثمن، بهدف في طرد السلع الغربية،

وخاصة البريطانية منها، والتي يرد معظمها من الهند. وبعض هذه السلع حيوي كالدقيق والسكر والزيت والبترول، والمواد الغذائية الأخرى، لأن الحجاز لم يكن ينتج غذاءه، ويعتمد بشكل رئيسي على ما يأتيه من الخارج.

بدأ السوفيت في تطبيق تلك السياسة الاقتصادية اعتبارا من منتصف عام ١٩٢٧، بالتعاون مع الأتراك، عن طريق تنظيم رحلات بحرية منتظمة بدأت العمل بين الموانى الروسية وميناء جدة. وقد أمن السوفيت موقف الأتراك لتيسير ملاحة السفن السوفيتية في المياه الإقليمية التركية، وخاصة عبر البوسفور والدردنيل. وقد تبلور هذا التعاون في إنشاء خط ملاحي جديد يعمل بين أوديسا واستانبول من جهة، وموانى شبه الجزيرة العربية من الجهة الأخرى، بما في ذلك ميناء عدن، الواقع بشكل مباشر تحت الاستعمار البريطاني. وكان الهدف الرئيسي المعلن لهذا المشروع هو نقل الحجاج الروس والبضائع السوفيتية إلى موانى البحر الأحمر[1].

أما الأهداف غير المعلنة فتتمثل في مطاردة بريطانيا بمختلف الوسائل السياسية والاقتصادية، حتى يتمكن السوفيت من طردها كلية من الشرق. وهو مشروع طموح، بدئ في تنفيذه في شبه الجزيرة العربية، ربما لتنوع صور الحضور البريطاني فيها فضلاً عن أهميتها الخاصة لكافة المسلمين، مما يسر التجربة السوفيتية في مقاومة الحضور الغربي في الشرق.

ومهما يكن من أمر، فقد كانت تلك السياسة محصلة دراسة أعدتها بعثة اقتصادية سوفيتية رسمية إلى الحجاز، بإشراف إحدى الجماعات الإسلامية. ولكن جريدة «التايمز» اللندنية ترى (في عدد أول سبتمبر ١٩٢٧) أن الاتجاه الاقتصادي في السياسة السوفيتية، هو في الواقع، اتجاه ظاهري، وأنه ليس تعبيرا

عن سياسة حقيقة، قائمة بذاتها فى المجال الاقتصادى. وإنما هو وسيلة إلى غاية محددة ذات طبيعة سياسية، تلك هى - كما أشرنا سابقا - ضرب النفوذ البريطانى عن طريق الحجاز واليمن وعسير وإريتريا على وجه التحديد، وغيرها من موانى البحر الأحمر بصفة عامة. وجميعها يمكن أن تكون سوقا مفتوحة لعديد من السلع السوفيتية مثل السكر والدقيق والكبريت والصابون والبترول البطاطس والشعير.

وطبقا لما أوردته جريدة «التايمز» اللندنية، فقد كشفت جريدة «إزفستيا» السوفيتية عن أن السوفيت يخططون «لابتلاع» المخططات البريطانية فى هذه المنطقة الحيوية من العالم، ويعتبر الروس أن قيام أى نوع من التعاون بين بريطانيا والبلاد العربية مسألة غير مرغوب فيها. وكذا الحال بين البلاد العربية وبعضها، فالعلاقات التجارية بين مصر والحجاز، على سبيل المثال، ستكون ذات آثار سلبية على المشاريع والطموحات الروسية - التركية.(١٢)

ومهما يكن من أمر تفسير جريدة «التايمز» للسياسة الروسية فى مظهرها الاقتصادى، فمما لاشك فيه أن السوفيت قد نجحوا فى الحصول على موطىء قدم فى أسواق شبه الجزيرة العربية، ذلك أن البعثة الروسية - الاسلامية السابقة الذكر كانت قد لعبت دورا رئيسيا فى إقناع صغار التجار فى الحجاز بشراء البضائع الروسية الرخيصة الثمن. وأدت المحاولات الأولى فى هذا الاتجاه إلى هبوط أسعار السلع فى أسواق الحجاز بشكل لافت للنظر، وخاصة أسعار الدقيق والسكر البريطانى الوارد من الهند.

ولكن أسلوب السوفيت الجديد فى مجال التنافس التجارى مع بريطانيا فى الأسواق الشرقية، كان سلاحا ذا حدين ؛ فمع أنه طرد السلع البريطانية من

السوق الحجازى إلا أنه فى نفس الوقت، وطبقا لما أوردته «التايمز» ، أتى بنتائج سلبية ظهرت على مخزون الاتحاد السوفيتى من السكر، إلى حد أن الحكومة السوفيتية اضطرت إلى العمل على تهدئة المواطنين السوفيت الذين انعكست عليهم هذه السياسة بوضوح فى كل من موسكو ولينينجراد، ووعدتهم بكميات من السكر المستورد الذى يغطى احتياجات السوق المحلية.(١٣)

وبعد نجاح المحاولة الأولى فى إرسال وتوزيع الشحنة السوفيتية من البضائع، بدأت الحكومة السوفيتية فى إرسال الشحنة الثانية، فى أكتوبر ١٩٢٧، إلى الحجاز، على الخط الملاحى الجديد للتجارة بين أوديسة والبحر الأحمر، واستكمالا للخطة السوفيتية وإحكاما لها، بدأ التجار الروس أولا بتفريغ الأسواق فى الحجاز من السلع الواردة إليها من كل من هامبورج ولندن، وذلك بشراء كميات كبيرة منها وإخفائها، حتى يكون السوق خاليا أمام البضائع السوفيتية، التى لايمكن منافستها. وفى ظل هذه السياسية فلن يجد المستهلكون فى الحجاز أمامهم سوى السلع السوفيتية الرخيصة الثمن فيقبلون على شرائها، ويعتادون عليها، خاصة وأنها كانت متوفرة وفى متناول الجميع.(١٤)

وإذا كان التجار الروس قد نجحوا فى الوصول إلى صغار التجار الحجازيين، فإن موقف كبار التجار فى الحجاز كان مختلفا تماما. فهؤلاء لم يكونوا رافضين فقط للأسلوب السوفيتى بل إنهم كانوا فى الواقع متضررين منه، وبالتالى فإن خطتهم كانت تتركز فى إقناع حكومة الحجاز بضرورة اتخاذ موقف رسمى يساعدهم على التصدى لغزو البضائع السوفيتية لأسواق الحجاز، التى كانت لزمن طويل مجالا حيويا لنشاطاتهم دون منافس.

وما أن علم الحاج عبد الله (قائمقام جدة، وأحد كبار التجار بها، ووكيل لشركة تصدير هندية فى بومباى) بأن السلع السوفيتية تباع فى أسواق الحجاز

بأسعار منافسة لسلع مماثلة تأتي من الهند البريطانية، حتى دعا كبار التجار بجدة إلى العمل معا لمواجهة هذا الموقف الجديد والتصدى للتيار السوفيتي.(١٥)

كانت الخطوة الأولى في سياسة كبار التجار بجدة هي تنظيم لقاء عمل بينهم في بحره، الواقعة على الطريق بين جدة ومكة في ١٠ نوفمبر ١٩٢٧. ودعى إلى هذا الاجتماع الهام كل من الأمير فيصل بن عبد العزيز، نائب الملك في الحجاز، والدكتور عبد الله الدملوجي، مدير الشئون الخارجية. حيث عرضت فكرة فرض ضرائب عالية على السلع السوفيتية، بحيث يمكن تحقيق التوازن بين الأسعار في الأسواق، ولكن روح التشدد العامة بين التجار غلبت على ذلك الاتجاه، وتقرر مقاطعة البضائع السوفيتية مقاطعة كاملة، وحرمان السوفيت من موطىء القدم الذى حصلوا عليه في مرة سابقة.

أما الخطوة الثانية، فهي في الواقع مترتبة على الخطوة الأولى، وذلك أن اجتماع بحرة أسفر عن تكليف الدكتور عبد الله الدملوجي بالسفر إلى جدة في اليوم التالى (١١ نوفمبر ١٩٢٧) وهو اليوم الذى كان من المتوقع فيه وصول السفينة الروسية «طومب» Tomp محملة بالبضائع إلى الميناء الحجازى. وكان على الدملوجي أن يخبر القناصل الأوربيين بأن فكرة فرض ضرائب عالية على السلع السوفيتية لموازنة الأسعار في الأسواق قد رفضت في اجتماع كبار التجار في بحرة، وتقرر بدلا منها المقاطعة الكاملة، وطلب الدملوجي من الجميع التعاون مع حكومة الحجاز لتحقيق هذا الهدف.(١٧) وهكذا أصبح موقف كبار التجار يشكل الموقف الرسمي لحكومة الحجاز تجاه السلع السوفيتية وتجاه سياسة إغراق الاسواق بها.

تفاوتت ردود الفعل لدى القناصل الأوربيين وغيرهم في جدة. فقد

استجاب القنصل الايطالى، وكذا القنصل المصرى، للخط السياسى الجديد، فى مقاطعة السلع السوفييتية وأصدر تعليمات إلى التجار الذين يتعاونون معهم بعدم شراء السلع السوفيتية. وقد سُرت شركة جيلاتلى - هانكى وشركاؤهما Messers Gellatly - Hankey and Company لانتاج تلك السياسة، لأن مقاطعة السلع السوفيتية كانت تعنى الاستغناء عن موارد البنزين السوفيتى، وكانت شركة جيلاتلى - هانكى هى الشركة المحتكرة لتوزيع البترول نيابة عن شركة شل فى الحجاز.(18)

غير أن هناك بعض العناصر التى لم تمتثل لهذا الاتجاه مثل الأتراك، وبعض التجار من بخارى وسوريا، لأنه ليس من المتوقع أن يعمل هؤلاء ضد المصالح السوفيتية، لأسباب سياسية سبق أن أوضحناها، هذا من ناحية، ولأن القنصل الفرنسى كان يمارس تأثيرا محدودا عليهم، من الناحية الأخرى.

وفى ١٢ نوفمبر جرت بعض المناوشات بين الحاج عبد الله (قائمقام جدة) والروس، الذين كانوا يكظمون غيظهم فى مواجهة المقاطعة الحجازية شبه المحكمة، تفاديا للنتيجة الفاشلة التى كانت تحيط بمهمتهم.

وفى اليوم التالى (١٣ نوفمبر) وصلت سفينة صغيرة عليها ستة أفراد روس(19)، وتنتمى إلى شركة روسية - تركية مقرها موسكو، ويرأسها دبلوماسى سابق يدعى غالب كمال بك. ويلاحظ من الوظائف التى شغلها هؤلاء الستة سابقا، أو من وظائفهم فى هذه المرحلة، أنهم ليسوا فقط من ذوى النشاط التجارى، وإنما هم فى نفس الوقت دبلوماسيون، أو على الأقل كانوا كذلك فى ماضيهم القريب. على كل حال، كان الهدف المعلن لهذا الطاقم هو أنهم جاءوا إلى جدة ليتولوا مسؤلية النشاط الاقتصادى السوفيتى فى الحجاز،

من خلال مكتب تجاري سوفيتي بجدة، ولكن مهمتهم العاجلة كانت الإسراع في توزيع السلع التي سبقتهم إلى الحجاز على ظهر السفينة «طومب».

وبينما تمكن الطاقم السوفيتي من النزول إلى الحجاز، لم يصرح المسئولون فيه لمجموعة من الإيطاليين بالنزول في جدة. واستشعر القنصل الإيطالي الإهانة، ودعا زميله البريطاني للتقدم معا باحتجاج رسمي إلى حكومة الحجاز التي رأى أنها «تفتح أبوابها للروس». ولكن جاكينز، القنصل البريطاني، رفض الانضمام إلى زميله الايطالي إلى أن يتلقى موافقة حكومته في هذا الشأن. أما عن علاقة ذلك بالروس، فقد أثار الاستشكال الايطالي المسئولين في جدة، وبدأوا التحقيق في ظروف السماح للروس بالنزول إلى الحجاز، وتبين أن الطاقم الروسي لم يحصل على تصاريح الدخول الرسمية. وكانت هذه فرصة طيبة للحاج عبد الله، قائمقام جدة وكبير التجار فيها، أن يصدر تعليماته، التي تأمرهم بمغادرة الحجاز على الفور، فلجأوا إلى الوكالة السوفيتية. وحينما حاول بعضهم النزول إلى الشارع قبضت الشرطة عليهم.(٣٠)

ثارت ثائرة القنصل السوفيتي بجدة، وقرر السفر إلى مكة لمقابلة الأمير فيصل، مهددا بأنه سوف يتوجه إلى الرياض لمقابلة الملك عبد العزيز بشأن هذا الموضوع، إذا لم يتلق ردا مقنعا حول أسباب المعاملة السيئة التي تعرض الطاقم السوفيتي لها. ويبدو أن القنصل السوفيتي لم يستطع تغيير الأوضاع إلى الأفضل كما كان يتمنى، أو معالجة هذا الموقف الطارىء بلباقة. ذلك أنه بلغ بأن حكومة الحجاز ليس لديها معلومات عن هذا الموضوع، وأن الملك عبد العزيز في الرياض لم يستشر في هذا الشأن، وقد لايكون من المدهش حقا أن تكون السفينة قد دخلت جدة وخرجت منها دون أن يعلم الملك بذلك.

وسواء أكان الملك عبد العزيز وحكومة الحجاز على علم بموضوع الطاقم السوفيتى والسفينة «طومب» . أو لم يكونوا على علم بهما، فإنه لمن المؤكد أن الحاج عبد الله، بصفته قائمقام جدة، وبصفته كبير التجار فيها، كان يقف على دقائق الأمور فيما يتعلق بهاتين المسألتين. ولانعتقد فى أنه كان يتصرف بحرية مطلقة، دون علم الأمير فيصل أو الملك عبد العزيز أو كليهما معا. وبكلمات أخرى فإن الملك عبد العزيز – على الأقل – قد علم بما جرى طبقا لما يفرضه منطق الأشياء ، ولكنه وقف موقفا سلبياً تجاه النشاط السوفيتى؛ فهو لم يعلن ترحيبه به، كما أنه لم يعلن مقاومته له، تاركا القضية بن أيدى المعنيين بها بصورة مباشرة، من التجار الحجازيين، الذين كان الضرر سيلحق بهم بكل تأكيد إذا أفرغت السفينة الروسية حمولتها. فإن وافقوا على إعطاء السوفيت فرصة للإتجار فى بلادهم، فلن تتغير صورة الملك عبد العزيز أمام بريطانيا، وإن رفضوا فلن يخسر هو شيئا، لامع السوفيت أنفسهم، ولامع الانجليز، ولا مع التجار الحجازيين. ومع ذلك فإن الحاج عبد الله – بصفته الرسمية – كان فى الواقع يعكس موقفا حكوميا رسميا، وإن كان بموقفا غير معلن. كما كان يعكس فى نفس الوقت موقف التجار أصحاب المصلحة المباشرة:

ومهما يكن من أمر حقيقة موقف الملك عبد العزيز والحكومة السعودية، فقد كانت المقاطعة محكمة للسلع والبضائع السوفيتية الواردة إلى الحجاز على السفينة «طومب»، واضطرت السفينة إلى مغادرة ميناء جدة فى ١٦ نوفمبر، وعلى متنها أربعة من بين الأعضاء الستة الذين جاءوا إلى الحجاز لتنظيم مكتب تجارى فى جدة، بينما وافقت حكومة الحجاز على استبقاء الاثنين الآخرين؛ فقد كان الأول منهما طبيبا، أما الثانى فكان سكرتيرا استشاريا القنصلية

السوفيتية بجدة. وليس من الواضح في الوثائق لماذا استبقى السعوديون هذين الاثنين، هل كانت الحكومة السعودية تريد الاستفادة بهما كل في مجاله، أم أن هناك أسباباً أخرى لم نعرفها بعد؟

وبعد أن نجح التجار الحجازيون، بمعاونة المسئولين، في توجيه لطمة لأول محاولة جادة من جانب السوفيت لتنظيم نشاطهم التجاري إلى شبه الجزيرة العربية، تطوع القنصل المصري وأبلغ ميناء السويس: أن السفينة السوفيتية «طومب» غادرت جدة دون تصريح من الشئون الصحية. وأخبر القنصل الميناء بما جرى للسفينة من سوء استقبال، كما أطلعه على سياسة المقاطعة الشاملة للبضائع التي حملتها، وعدم التصريح بالإقامة لأربعة من أعضاء المكتب التجاري السوفيتي، الذي كان من المقرر تشكيله في جدة.[22]

ويقيّم جاكينز، الوكيل البريطاني في جدة، التطورات الأخيرة وماجرى للسفينة السوفيتية «طومب»، بأنها كانت إجراءً محبباً، لقي القبول لدى جميع الأطراف تقريبا داخل الحجاز، ومن ممثلي الدول الأجنبية على حد سواء، «فليس هناك من يعتقد بأن السوفيت قد جاءوا إلى هنا (الحجاز) من أجل التجارة فقط». على كل حال، وكما يرى جاكينز، فإن «تجارة الدقيق والسكر في بلد فقير مثل الحجاز ليست تجارة مربحة». وبالتالي فلابد من وجود دوافع أخرى لدى السوفيت من وراء ذلك، خاصة وأن تاريخ الوكالة السوفيتية في جدة، كان يشير إلى وجود محاولات مؤكدة لتأسيس مكتب سياسي لممارسة النشاط الخفي في الحجاز، في شكل وكالة تجارية.[23]

ويبدو أن تقييم جاكينز للموقف ليس فيه افتراء على السوفيت، فقد اعترف نائب القنصل السوفيتي بأن أحد أفراد الطاقم السوفيتي من بين الأربعة

الذين لم يسمح لهم بالبقاء فى الحجاز، وهو فلاديمير أوزتروف، مساعد مدير شئون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية السوفييتية، أكد على حقيقة الأهداف السياسية للبعثة واعترف بمحاولة تكوين مكتب سياسى.(٢٤)

ويعيب هذه المحاولة السوفييتية أنها افتقرت إلى التنظيم المحكم، ليس فى المسائل الكبيرة فقط، وإنما فى أبسط الأمور المتعلقة باحترام القواعد الدولية المتعارف عليها فى مجال الجوازات والتراخيص الخاصة بالأفراد. وليس لدينا فى الواقع تفسير لذلك، ولكن السوفيت لابد وأنهم قد تعلموا الدرس، وأن هذه المحاولة لن تكون الأخيرة، خاصة وأن أساليبهم فى الوصول إلى الحجاز كانت - كما رأينا - خلال الفترة السابقة متعددة ومتنوعة ويحوطها الغموض.

وقد قدم القنصل السوفيتى اعتذارا للمسئولين فى الحجاز، عن دخول بعض الرعايا السوفيت إلى البلاد، بدون الحصول على إذن مسبق، مما تسبب فى تكسير القواعد المعمول بها دوليا فى مجال الجوازات.(٢٥)

الواقع أن حكومة الحجاز لم تكن تخشى البلاشفة كثيرا، فلم يكن من المتوقع، طبقا لرواية التقارير المعاصرة، أن تضيّع الحكومة السوفيتية وقتا وجهدا فى سبيل الوصول إلى هذه «المملكة البدائية» (الحجاز) فالحجاز فى حد ذاته لم يكن مطلبا سوفيتيا، وإنما كان وسيلة إلى غاية أكثر طموحا، فهو فى نظرهم بوابة الشرق، لأنه يقدم «فرصة نادرة وفريدة» لدعاية سهلة وميسورة للسوفيت فى الشرق.(٢٦)

ولهذا، فإن مثل هذا الطموح السوفيتى لايمكن أن يتحقق إلا فى ظل حكومة حجازية قوية، قادرة على تأمين وصول أكبر عدد من الحجاج إلى الأماكن المقدسة وضمان سلامتهم أثناء إقامتهم فيها. ولهذا أيضا ليس من

المنطقى أن يعمل الاتحاد السوفيتى ضد الملك عبد العزيز، على العكس، فإن جميع الخطوات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية التى خطاها الاتحاد السوفيتى كانت تدعم مركز الملك عبد العزيز، ولاتعمل ضده.

لقد كان الملك عبد العزيز يعلم ذلك جيدا ويعيه، ولكنه لم يكن على استعداد للسير مع السوفييت إلى آخر المدى. وإن فعل فإنه لم يكن على استعداد لإعلان ذلك. وإن أعلن فهو ليس على استعداد للتشهير بهم صراحة فى تلك المرحلة الحرجة. ولهذا فليس من المتوقع من حكومة الحجاز أن تتبنى موقفا حادا فى معارضة المصالح السوفيتية بطريقة درامية. ولعل هذا يفسر لنا السبب أو الأسباب التى جعلت من تجار الحجاز أبطالاً فى معارضة النشاط السوفيتى. وظهر الموقف كله للوهلة الأولى وكأن الملك عبد العزيز كان غير راغب فى إعلان موقف صريح فى تلك المرحلة تجاه السوفيت، تاركاً لكل مجتهد أن يفهم حقيقة موقفه على طريقته، ولعل هذه البلبلة كانت هدفا بحد ذاتها بقصد تضييع الحقائق حول الموضوع.

صحيح أن الدكتور عبد الله الدملوجى، مدير الشئون الخارجية للملك عبد العزيز، التقى بجاكينز، الوكيل البريطانى، وتحدث إليه طويلا، عن الدور الذى تعتزم حكومة الحجاز القيام به فى مقاومة النفوذ السوفيتى، الذى كان يحاول أن يغرس جذوره فى البلاد السعودية. وقد لخص الدملوجى هذا الدور فى عبارة موجزة تقضى – طبقا لرواية جاكينز بأن يطلب الملك عبد العزيز إلى السوفيت فى قنصليتهم بجدة أن يتركوا بلاده ويرحلوا عنها. ومع ذلك، فإن صح محتوى هذا الأمر، فقد كان جاكينز يشك فى أن الدملوجى أو حكومة الحجاز تستطيع أن تترجمه إلى واقع ولكن جاكينز مع ذلك لايوضح لنا أسباب ذلك العجز

الكلى الذى أصاب حكومة الحجاز فى التعامل بحزم مع السوفيت، ولعله كان يقصد التشهير بها، وهو أمر وارد على كل حال.

كان جاكينز يعتقد في أن الحاج عبد الله، قائمقام جدة، هو بطل هذه القضية الحقيقى، فهو أول من لفت الأنظار لخطورة قدوم السفينة «طومب»، وهو صاحب اقتراح المقاطعة الشاملة للسلع السوفيتية. وفى كل الأحوال فقد كان الحاج عبد الله سيضار كثيرا اذا تمكن السوفيت من إقامة موطىء قدم لهم فى الحجاز، وكانت شركته البحرية، وبيته التجارى فى بومباى، سيتأثر كثيرا. ولاشك فى أن أسلوب الحاج عبد الله قد أزعج الروس إلى حد أنهم «قد لايفكرون فى العودة إلى الحجاز مرة ثانية»[٢٧]، ولكن حدثا واحدا كهذا، لايمكن – بأى حال – أن يدفع السوفيت بعيدا عن الاستمرار فى سعيهم الدؤوب، من أجل تثبيت أقدامهم على سواحل البحر الأحمر جنوبا حتى عدن.

الواقع أن أزمة السفينة «طومب» كانت بداية لمرحلة جديدة فى السياسة السوفيتية تجاه الحجاز، وصدق حدْث مايرز حين كتب فى مارس ١٩٢٧: «إن علامات التغيير ستبدأ مع نهاية هذا العام».[٢٨]

٤– موقف الملك عبد العزيز:

تجمعت لدى الملك عبد العزيز، مع نهاية عام ١٩٢٧، الأسباب التى دفعته إلى اتخاذ مزيد من خطوات التقارب مع بريطانيا، باستخدام ورقة النشاط السوفيتى فى الحجاز عاملا مساعدا للإسراع بتحريك الموقف البريطانى، ودفعه دفعا نحو تحقيق أهدافه هو. ولم يتردد الملك فى هذا السبيل فى مخاطبة لورد لويد، (المندوب السامى البريطانى بالقاهرة) مباشرة، فى رسالة حملها إليه الشيخ

حافظ وهبة فى ديسمبر ١٩٢٧. وفيها يستحث الملك الحكومة البريطانية للاهتمام بمصالحها فى شبه الجزيرة العربية، لأن هناك بعض القوى الأجنبية التى تسعى سعيا حثيثا من أجل تثبيت وجودها فى شبه الجزيرة العربية. ويضيف الملك: «ونحن نقاوم نفوذ تلك الدول التى تسعى لتحقيق السيطرة الاقتصادية فى الجزيرة العربية، فإن هذا نابع من رغبتنا فى حماية المصالح البريطانية، ومنع معارضيها من أن يمسوا هذه المصالح، لأن حقوق الصداقة بيننا وبين البريطانيين تفرض علينا أن ننتبه جيدا لمصالحنا ومصالحهم».(٢٩)

وقد لخص الملك عبد العزيز فى الرسالة السابقة ذاتها الموقف كما رآه، محددا العناصر والقوى التى قصد الحديث عنها، فقال: «إن إيطاليا تتخذ موقفا جديدا بالسعى المستمر لتأكيد وجودها فى الجزيرة العربية، وأنها عرضت عليه الدخول فى مفاوضات معها، لعقد اتفاق بينهما، وكان ذلك قبل أن تحرز نجاحا فى مثل هذا المجال مع إمام اليمن، وأن ما أنجزه الإيطاليون مع الإمام (اليمن) كان دافعه الأول هو فشلهم فى تحقيقه فى الحجاز».

ونلاحظ على هذه الرسالة أمرين:

الأول أنها لم تسر عبر قنوات الاتصال المألوفة، فقد كان يجب أن توجه إلى لندن عبر الوكيل السياسى البريطانى فى جدة؛ ولكن تخطى هذا المسئول البريطانى فى جدة، ومخاطبة مسئول بريطانى آخر فى القاهرة، له دلالتان، إحداهما عدم الانسجام الكامل بين الملك وإدارته من ناحية والوكالة السياسية البريطانية فى جدة من الناحية الأخرى. ويشهد على ذلك حركة التغيير المستمرة والمتلاحقة فى الوكلاء السياسيين البريطانيين فى هذه الفترة. أما الدلالة الأخرى فهى أن الملك أراد أن يخاطب بريطانيا من خلال كل القنوات

المتاحة للاتصال بها، في محاولة للتأثير على توجهات قراراتها السياسية فيما يتعلق بالمنطقة.

والأمر الثاني الذي نلاحظه على رسالة الملك عبد العزيز إلى لورد لويد في القاهرة، أن الرسالة تسعى إلى إثارة فضول بريطانيا حول الأحداث والتداخلات الأجنبية في المنطقة، حتى يدفعها إلى جانبه دون غيره من الحكام في الجزيرة العربية، ويتضح ذلك من إشارته إلى علاقاته المتوترة بالهاشميين في كل من العراق وشرق الأردن، الذين كانت بريطانيا تساندهم بحكم مسئوليتها عن مناطق الانتداب، وبحكم حمايتها لمصالحها في التخطيط للطريق البرى المزمع إنشاؤه للوصل بين شرق البحر المتوسط ورأس الخليج العربي. وحذر الملك بريطانيا من أنها لو تركته بهذا الشكل دون مساندة مباشرة منها، فإن تلك السياسة سوف تسفر عن نتائج ضارة بها.

ولعلنا نلاحظ أن الملك عبد العزيز عرض في رسالة واحدة ثلاث مشاكل كانت تواجهه:

الأولى تدور حول النفوذ الإيطالي المتنامي في اليمن، والذي يدعم الإمام في مواجهته، وهذا النفوذ ما كان ليكون ذا مغزى بالنسبة للملك عبد العزيز، لولا أنه كان يخشى تفوق الإمام السياسي والعسكري عليه في الجزيرة العربية.

والثانية تدور حول إمكانية تحالف الهاشميين في العراق وشرق الأردن، وإحكامهم السيطرة على حدوده الشمالية، خاصة وأن تصريحاتهم فيما يتعلق باسترداد الحجاز منه بالقورة كانت تتردد وقتئذ.

أما المشكلة الثالثة وهي بيت القصيد في هذا المقام فتتعلق بالنشاط السوفيتي

كان الملك عبد العزيز فى عرضه لهذه النقطة الأخيرة أكثر صراحة عن ذى قبل. فهو حين يتحدث عن محاولات السوفيت لإيجاد ركائز لنفوذهم الاقتصادى فى جزيرة العرب إنما أراد أن يقول للإنجليز: «إننا نعلن لكم صراحة رأينا فى هذا الموضوع... لقد تبنينا منذ البداية اتخاذ إجراءات تتفق وقوانين التجارة الحرة فى العالم، ولكن من الناحية الأخرى إتخذنا بعض الإجراءات الاحتياطية التى تحول دون أى تقدم لنفوذهم (السوفيت)».

أى أن الملك عبد العزيز كان يسعى إلى تطبيق مبدأ حرية التجارة الذى تسر عليه بريطانيا، وفى نفس الوقت يضع قيودا فى مواجهة العناصر المنافسة لها، وكأنه كان يقضى على مبدأ حرية التجارة. هذا بالرغم من أن التجارة مع السوفيت كانت أكثر فائدة له ولبلاده من الناحية الاقتصادية. وبكلمات الملك عبد العزيز نفسه إلى لويد:

«إن منح أية تسهيلات تجارية للروس سوف تكون ذات فائدة لبلادنا، ولكن هذا يضر بالسلع المنتجة فى الأراضى البريطانية، بالرغم من عدم وجود معاهدة تجارية بيننا وبين الحكومة البريطانية لحماية منتجاتها (فى بلادنا). إن حكومة الحجاز تسعى برغبة صادقة لحماية المصالح البريطانية، ومقاومة منافسيها، وتبنى مواقف لابد وأنها وصلت إلى أسماعكم. ولكن الروس لم يدخروا وسعا لكى يقيموا الاتصالات معنا، ويقدموا المساعدات لنا، وهم يقفون إلى جانب بلاد شرقية، إننا لانزال نسعى لتأكيد علاقاتنا مع الحكومة البريطانية. وحينما أبعث إليكم بهذه الأفكار، فلعلكم تفكرون فى تصحيح الأوضاع الاقتصادية بين بلدينا، ولعلكم علمتم كذلك من مواقفنا هذه بالإجراءات التى اتخذناها من جانبنا لحماية مصالحكم» (٣٠)

ولاشك في أن الملك عبد العزيز كان مخلصا في سعيه نحو توطيد أركان حكمه في شبه الجزيرة العربية. وهو في سبيل تحقيق هذا الهدف الأصيل يحتاج إلى الأمن الخارجي، فضلاً عن الأمن الداخلي، وكان يدرك أن ذلك لن يتحقق إلا إذا نال تأييد بريطانيا له في هذا الصدد، أو على الأقل لقى عدم معارضتها. ولهذا كان الخيار البريطاني أمامه خيارا حتميا. فبريطانيا لابد أن تكون له صديقاً، أو على الأقل لايجب أن تكون عدوا.

ونلاحظ من النص السابق الذكر، أن الملك عبد العزيز لايطرح مسألة السوفيت ونشاطهم الدعائي والاقتصادي في الحجاز كقضية مستقلة قائمة بذاتها، كما أنه لايطرحها لأن المصالح البريطانية في بلاده كانت حقيقة في خطر، وإنما هو يعرضها من منطلق هذه الفكرة: «إذا أردت أن تأخذ فلابد أن تعطى أولا». وبكلمات أخرى فإن الملك عبد العزيز كان يساوم الإنجليز بورقة السوفيت، التي يمسك بها في كلتا يديه. وهو في نفس الوقت يحاول أن يثبت للإنجليز أنه يحق لهم، يعطى بقدر ما يأخذ، وعلى الانجليز أن يقدموا له شيئا في المقابل دائما.

والأسلوب الذى عرض به الملك عبد العزيز تلك الحزمة من الموضوعات، هو أسلوب ذوى الحصافة الدبلوماسية وذوى المهارة، الذين يستثمرون الظروف المحيطة بهم، ويوجهونها لخدمة مصالحهم. والملك كان يجيد ذلك، وله في هذا المجال مواقف كثيرة سابقة، وأخرى لاحقة. والواقع أنه أراد أن يقول للإنجليز: «إن هناك مسألة ما كان يجب أن أتخذ فيها ذلك الموقف الذى اتخذته أو أن أحول بين مصالح بلادى – التى هى مصالحى تماما – وبين دولة كبرى عرضت خدماتها الاقتصادية علينا، من أجل خدمات قدمناها لهم ولم يطلبها الانجليز منا».

إذا كان الأسلوب السابق هو الأسلوب الذى فضله الملك عبد العزيز، وهو أن يعطى دون أن يطلب منه، فإنه يتوقع من انجلترا أن تعامله بنفس الطريقة، أو على الأقل أن تجيبه إلى مايطلب، وأن تساعده على حل المشاكل التى تعترض طريقه. لقد كان الملك عبد العزيز يضع فى رأسه حين كتب إلى لورد لويد قضيتين أساسيتين:

القضية الأولى: تتعلق بالوجود الهاشمى المعادى له فى كل من العراق متمثلا فى الملك فيصل بن الحسين، وشرق الأردن متمثلا فى الأمير عبد الله، وكان الملك ينظر إلى الأخوين، الحاكمين فى مناطق الانتداب البريطانى، على أنهما خطر جاثم على أطراف بلاده يهدد باسقاطه فى أى لحظة، واسترداد الحجاز منه.

أما القضية الثانية: فتتعلق بالنفوذ الإيطالى المتنامى فى اليمن، وهى بلاد كان إمامها ينازع الملك عبد العزيز طموحاته فى الجزيرة العربية، وأدى ذلك إلى توتر على جانبى الحدود، تعاظم فى فترة تالية (١٩٣٤) إلى حد الحرب، فضلا عن أن الحدود نفسها لم تكن قد استقرت بعد، وكانت لاتزال موضع مناقشة وجدل.

لقد كان عرض الملك عبد العزيز عرضا غير مباشر فى قضيتين، فبينما هو يركز على التهديدات الهاشمية فى الشمال، والطموحات الإيطالية فى الجنوب انطلاقا من اليمن، نجد أنه كان يريد أن يلفت انتباه بريطانيا فى القضية الأولى إلى أن مصالحها فى شبه الجزيرة العربية، يمكن أن تتحقق من خلاله، وليس من خلال الهاشميين، وبالتالى فلا تجب مناصرتهم على حسابه. وفى القضية الثانية أراد أن يلفت انتباه بريطانيا إلى أن هناك قوة كبرى أخرى بدأت تدخل

مجال المنافسة معها فى جزيرة العرب، ولبريطانيا أن تتصدى من خلاله لهذه القوة إذا ساندته، كما تساند إيطاليا إمام اليمن على الأقل.

لقد أبدى الملك استعداده مرات للتعاون مع بريطانيا دون أن يكون بينه وبينها معاهدة تنظم إطار ذلك التعاون، وتمثل ذلك فى مقاومة حكومته للطموحات الاقتصادية للسوفيت فى الحجاز، بينما نجد على الجانب الآخر أن إيطاليا قد عقدت فعلا معاهدة تجارية مع اليمن.

وبرؤية شاملة لمختلف جوانب هذا الموضوع المعقد والمتشابك، نجد أن الملك عبد العزيز يربط بين مجموعة أساسية تحرك الصراع فى منطقة الشرق الأوسط، تتمثل فى: طموحاته الشخصية فى المنطقة، وتطلعات السوفيت فى الحجاز، ونجاح الإيطاليين فى إيجاد ركيزة لنفوذهم فى اليمن، والمصالح البريطانية فى الشرق الأوسط.

وفى ذكاء دبلوماسى غير عادى يحول الملك موقف الضعف الذى كان فيه إلى موقف قوة، فيطلب من الإنجليز عقد معاهدة تجارية معه، وإلا فإنه سيقبل أول عرض يقدم له من أية دولة كبرى إذا رفضت بريطانيا ذلك. كانت بريطانيا تعرف كل الحقائق حول إمكانيات الملك وحدود التدخل السوفيتى أو الإيطالى فى الحجاز، ولذا كانت ردود أفعالها سلبية

لقد كان الملك يشير إلى كل من السوفيت والإيطاليين، وفى ذهنه أهداف واضحة المعالم. فتعامله مع السوفيت يمكن أن يكون ضربة ذات آثار مدمرة على مستقبل بريطانيا فى آسيا، خاصة وأن السوفيت كانوا على استعداد لتقديم كل التسهيلات فى سبيل تحقيق هذا الهدف. أما تعامله مع الإيطاليين فقد كان هدفه تحييد الدور الإيطالى فى مناصرة إمام اليمن ضده

يتفق التحليل السابق للموقف المعقد المحيط بالملك عبد العزيز، في جوانبه السياسية والاقتصادية، مع ما أبداه الشيخ حافظ وهبة من ملاحظات إلى لورد لويد، حول الرسالة المذكورة، التي حملها إليه من الملك عبد العزيز. ذلك أنه بعد لقائه بوهبة، كتب لويد إلى تشمبرلين في لندن يقول[31]: إن الشيخ حافظ وهبة ربط بوضوح بين طبيعة وحجم التعامل بين إيطاليا والإمام من ناحية التسليح والتجارة، وتشجيعها له على ضم عسير إلى اليمن. وفي ظل تزويد إيطاليا للإمام بالسلاح فإنه من المتوقع أن ينتصر الإمام على الملك عبد العزيز، صديق بريطانيا، الذي تركته دون مساعدة حقيقية، وهذا بالطبع موقف مزعج للملك عبد العزيز، وخطر على مستقبل المصالح البريطانية.

وفي الوقت نفسه بين حافظ وهبة أن السوفيت يتسللون اقتصاديا إلى الحجاز واليمن في آن واحد، وأكد أن هذا التسلل الاقتصادي هو مقدمة لعمل سياسي موجه ضد بريطانيا بالدرجة الأولى. وفيما يتعلق بالحجاز بيّن وهبة أن الملك عبد العزيز وحكومة الحجاز وقفوا موقفا صارما تجاه السفينة السوفيتية «طومب»، وهذا الموقف دليل واضح على حسن نوايا الملك عبد العزيز تجاه بريطانيا، فضلا عن عدم استعداده للتعامل مع السوفيت، وهو موقف يختلف عن موقف الإمام، الذي يعادي بريطانيا علنا، ويتعامل مع إيطاليا، ومن غير المتوقع أن يرفض التعامل مع السوفيت، وهكذا يؤكد وهبة على وجهة النظر الأصلية للملك عبد العزيز، حين يضع نفسه موضع المقارنة مع إمام اليمن فيما يتعلق بعلاقاته بكل من السوفيت والإنجليز. وبينما يكون الإمام بهذا الشكل مستفيدا من كل من السوفيت والإيطاليين لايستطيع الملك عبد العزيز الحصول على مجرد التأييد السياسي البريطاني له.

ويذهب وهبة مذهبا آخر فى إضافة مزيد من المخاوف على العقلية السياسية البريطانية، حين يثير مسألة وجود عدد من المستشارين السوريين حول الملك عبد العزيز، والذين يهمهم طرد الفرنسيين من بلادهم سوريا، أكثر مما تهمهم مصالح الحجاز. وبكلمات أخرى فإن حافظ وهبة أراد أن يقول إن هؤلاء المستشارين سيضعون كلا من الانجليز والفرنسيين فى الجانب المعادى لهم، وسوف ينعكس ذلك على نصائحهم للملك عبد العزيز، مما سيسىء إلى العلاقات البريطانية السعودية، وفى المقابل فإن هذا يعنى أنهم على استعداد لتلقى مساعدة السوفيت لتأييد مطالب السوريين القومية. ومن هذا المنطلق فإن زيادة الأمير شكيب أرسلان لموسكو حول ذلك الوقت، تعتبر ذات مغزى، كما أن ضغوط هذا العدد من المستشارين السوريين على الملك عبد العزيز قد يسفر فى النهاية عن ميل الملك نحو السوفيت.

وفى النهاية يؤكد حافظ وهبة على أنه لو تركت بريطانيا الملك عبد العزيز وشأنه فى ظل الظروف المحيطة به من ضغوط دولية متمثلة فى السوفيت والإيطاليين، وأخرى قومية متمثلة فى المستشارين السوريين، وثالثة إقليمية متمثلة فى منافسة إمام اليمن وتهديدات الهاشميين، فإن الملك عبد العزيز قد لايتردد فى أن يقبل التعاون مع أى دولة كبرى أخرى على حساب المصالح البريطانية.

ويبدو أن لويد كان مقتنعا بما عرضه حافظ وهبة من أفكار حول تقييم الموقف الذى يواجهه الملك عبد العزيز. ولذلك يكتب لويد إلى حكومته فى لندن يستحثها على الاهتمام بالملك عبد العزيز الذى «إذا أقنعته بريطانيا بالاعتماد عليها، فإنه سوف يظل وفيا لنا فى مقاومة الروس» [٣٢].

٥ - موقف بريطانيا:

كان اللورد لويد أكثر ميلا من أى مسئول آخر فى القاهرة أو لندن نحو تبنى موقف الملك عبد العزيز، لأنه الوحيد من بين الحكام المسلمين الذى يمكنه مواجهة السوفيت. لقد وعد لورد لويد حافظ وهبة بتبليغ رسالته إلى حكومة لندن، وأضاف أنه شخصيا يستريح للملك عبد العزيز، الذى تمكن من إقامة علاقات ثابتة مع بريطانيا، بالرغم من أن كل شيء فى بلاده فى حالة تغير دائم.

إن تصريح لويد هذا يبين أنه كان يمارس صلاحياته بلباقة وحرص على مصالح بلاده، ولايجب أن يفهم بأى حال على أنه تعاطف مع الملك عبد العزيز.

وفى تقريره إلى لندن عن هذا الموضوع، أبدى لويد موقفا قويا فى سبيل العمل من أجل مواجهة النشاط السوفيتى فى منطقة البحر الأحمر، وقال: «إننا لانستطيع أن نترك ابن سعود بدون إرشاد ومساعدة فى مسائل لها تلك الأهمية والخطورة، مثل التسلل الروسى إلى غربى الجزيرة العربية، ومثل الصراع اليمنى - العسيرى (السعودى) المعقد نتيجة لتأييد إيطاليا للإمام يحيى». وأضاف لويد «أنه لايحتاج إلى التأكيد على الخطر الواضح الواقع علينا نتيجة لنجاح الدعاية الروسية فى بلد كالحجاز، الذى هو الملتقى السنوى لكثير من رعايانا، أو رعايا بلاد مجاورة لنا».

ويواصل لويد طرح وجهة نظره، فيضع كلتا يديه على مافى رأس الملك عبد العزيز من خطط وأفكار، ويقول: إن الملك «يحاول بطريقة ساذجة أن يجرنا إلى اليمن كثمن لوقوفه ضد الروس». ولكنه مع ذلك يحذر من التخاذل فى

التعاون مع الملك، لأن بريطانيا إذا لم تقدم للملك المساعدة المطلوبة «فإنه قد يغير سياسته تجاهنا تحت تأثير العناصر السورية، وذلك سيتعارض ومصالحنا في مصر والسودان». وفي النهاية يضع لويد تصوره لاحتمالات المستقبل فيقول: «بقدر ما أستطيع أن أرى المستقبل، فإن جنوب غربي الجزيرة العربية سيكون المجال المناسب الذي يجب علينا أن نساعد ابن سعود فيه وأن نشجعه على أن يظل في دائرتنا».[٣٣]

لم يكن تشمرلين مقتنعا بالحجج التي ساقها الملك عبد العزيز في رسالته إلى لويد، فيما يتعلق بموقفه من السوفيت والأهداف التي يسعى لتحقيقها. فالملك عبد العزيز كان يحاول في نظر تشمرلين «أن يبتز الحكومة البريطانية» بتنبيه لذلك الموقف من السوفيت. ويتفق الوكيل البريطاني بجدة، ستونهيور - بيرد، مع تشمرلين فيما ذهب إليه، حين قال: إنه بالرغم من أن الملك عبد العزيز لم يتخذ مواقف تتعارض والمصالح البريطانية، إلا أنه تصرف بهذا الشكل عن رغبة خاصة حماية لمصالحه هو ولأسباب يعلمها هو.[٣٤]

وهكذا لم تأخذ الحكومة البريطانية مبادرة الملك عبد العزيز مأخذ الجد، وأكثر من ذلك أنها أساءت فهمها وتفسيرها، وأخذت تكيل له الاتهامات بأنه يسعى إلى تحقيق مصالحه الخاصة فقط، مستخدما بريطانيا وسيلة إلى تحقيق تلك المصالح، ولم يتردد تشمرلين في أن يصف هذا الأسلوب بأنه «ابتزاز» لحكومته.

لقد كان تشمبرلين مخطئا فيما ذهب إليه، ذلك أن مصدرا آخر انطلق بالتحذير من الخطر السوفيتي نفسه على المصالح البريطانية في الشرق الأوسط. وجاء التحذير هذه المرة من قنصل مصر الأسبق في جدة (أمين بك توفيق)

الذى نقل حديث إلى بيروت. فقد أفصح أمين بك إلى أحد موظفى المقيمية البريطانية بالقاهرة، عن بعض المعلومات حول النشاط السوفيتى، وأكدت هذه المعلومات على مخاوف لورد لويد، التى سبق أن عرضها على تشمبرلين. ولم يتردد لويد، الذى لم يكن قد عرف بعد حقيقة موقف حكومته، فى أن يتبع رسالته الأولى برسالة ثانية، حول نفس الموضوع.

فبعد عشرة أيام من رسالته الأولى، كتب إلى تشمبرلين فى ٢٨ يناير ١٩٢٨، يقول: إن أمين بك توفيق أخبره أن الشركة الروسية - التركية المالكة للسفينة «طومب» التى أصيبت بخيبة أمل فى أول محاولة لها فى الحجاز فى صيف عام ١٩٢٧، هذه الشركة لم تيأس من فشلها الأول، وأعادت الكرة مع الملك عبد العزيز، وحصلت على تصريح منه بتأسيس وكالة لها فى جدة، ووقع الاختيار بالفعل على مواطن تركى بخارى الأصل، يدعى أحرار خوجه، كان مقيما فى مكة ليكون أول وكيل للشركة هناك. وكذلك وقع الاختيار على عدد من السياسين السابقين فلحقوا به كمساعدين لإقامة صرح ذلك النشاط السوفيتى المتخفى وراء النشاط الاقتصادى الظاهرى. وأضاف أمين بك توفيق: إنه لمن المتوقع أن يقوم عدد من السفن التابعة لتلك الشركة بزيارة جدة فى أقرب فرصة. وهى محملة بالسكر والدقيق بهدف التضيق على النشاط التجارى البريطانى وطرده من الحجاز فى النهاية.(٣٥)

ويرى أمين بك توفيق أن الوكيل التركى قد ساند زميله السوفيتى فى كل خططه المتعلقة بالوكالة التركية - الروسية فى الحجاز وفى العمل على كسب تأييد الملك عبد العزيز لخطاهما. ويؤكد أمين بك توفيق على أن الوجود السوفيتى فى الحجاز يشكل خطرا حقيقيا على تلك الدول، التى يذهب

حجاجها كل عام إلى مكة، كما يؤكد على ذلك الاتجاه الأساسي الذي يرى أن مكة تعتبر أنسب مكان يمكّن الروس من تحقيق نجاح مؤكد في حملتهم ضد بريطانيا وسياستها الشرقية، كما يشارك أمين بك توفيق الشيخ حافظ وهبة في مخاوفه من العناصر السوريه المحيطه بالملك عبد العزيز، لأن الروس يستطيعون استخدام هذه العناصر بنجاح لتحقيق أهدافهم.

وفي ضوء المخاوف التي عرضها أمين بك توفيق، يسعى لورد لويد إلى حكومته من جديد، ويردد التحذيرات السابقة، ويبين مافيها من مخاوف ومحاذير، ويطلب إلى حكومته أن تسارع بتحديد موقف حاسم لمساعدة الملك عبد العزيز ومساندته، وتأسيس علاقات قوية معه، لاتستطيع دولة أخرى أن تنفذ من خلالها إلى جزيرة العرب، كذلك ركز لورد لويد على خطورة وقوع بعض العناصر الإسلامية البريطانية فريسة للدعاية السوفيتية، التي تسعى لمحاصرة بريطانيا في الشرق، وأشار لويد إلى العناصر المصرية والسودانية، وهي العناصر التي يعني بها لويد بالدرجة الأولى، لأنها تقع في دائرة مسئولياته السياسية. وحذر من الاستخفاف باقتراحاته، أو بالنشاط السوفيتي، فمن المؤكد أنه ليس من مصلحة عبد العزيز أن يجد السوفيت ثغرة للدخول إلى بلاده، وبنفس القدر ليس من مصلحة بريطانيا أن ينجح السوفيت في خلق تلك الثغرة، التي سيعملون من خلالها ضد المصالح البريطانية في الحجاز، وفي الشرق بصفة عامة. ونبه لورد لويد إلى أن عزوف بريطانيا عن التعاون معه، وتحمل مسئولياتها في مواجهة الخطر الشيوعي، سوف يدفعه بالضرورة إلى أن يخطو خطى سريعة في سبيل تدعيم علاقاته بدولة كبرى أخرى.(٣٦)

الواقع أن الملك عبد العزيز لم يكن يفضل ذلك الخيار الأخير، الذي يلجأ فيه إلى الاتحاد السوفيتي بدلا من بريطانيا، لأن ذلك يتعارض أصلا مع ميوله

واتجاهاته، ومن جهة أخرى، فإنه لو فعل ذلك فسوف يفقد الكثير، لأن بلاده ستكون منبرا للدعاية الشيوعية بين الحجاج المسلمين، وسوف تسعى بريطانيا في مثل هذه الحالة إلى الحد من حركة الحجاج إلى الأراضي المقدسة، وسيكون لذلك آثار سلبية خطيرة على الاقتصاد السعودي، وفي مجال السياسة سوف تضع بريطانيا الملك عبد العزيز في صف القوى المعادية لها، وإن شاءت فإنها يمكنها أن تلحق به ضررا كثيراً، انطلاقا من مناطق الانتداب، أو من مصر والسودان، أو من إمارات الخليج العربي، وكان الملك عبد العزيز يقدر ذلك، ويعرف أن الخيار البريطاني هو خياره الوحيد.

ويميل لورد لويد إلى الاعتقاد في أن الملك عبد العزيز وحكومته على استعداد للتعاون مع بريطانيا في الحد من النشاط السوفيتي، ولكنه في مثل هذه الحالة لن يقوم بطرد السوفيت مرة واحدة، لأن لذلك آثارا جانبية سوف تنعكس على أوضاع الملك الداخلية، وتتعلق بالاقتصاد والسياسة معا. ولذلك حرص لورد لويد على تذكير حكومته بأنها، في مثل هذه الحالة، سوف تجنى ثمارا طيبة في منطقة جنوب شرقي آسيا، بنفس القدر الذى ستجنى فيه ثمارا طيبة في جنوب غربى آسيا، إذا حالت بين الروس وبين الحجاز.[٣٧]

لم تلق التحذيرات السابقة آذانا صماء هذه المرة في لندن، فقد وجد تشمبرلين نفسه - مع كثرة التحذيرات ورغم عدم قناعته بالخطر السوفيتي المزعوم - يكتب إلى وزارة المستعمرات ووزارة الهند في ١٥ فبراير ١٩٢٨ طالبا الرأى فيما ينسب إلى الروس من نشاط في الحجاز يمكن أن يلحق الضرر بالمصالح البريطانية في الشرق، ومؤكدا على أن المستفيد الأول من أى تحرك بريطاني في هذا الشأن هو الملك عبد العزيز نفسه، ومشيرا إلى أن الملك لو كان قد وجد شيئا من الفائدة في التعامل مع السوفيت لما لجأ إلى بريطانيا، ولما تردد لحظة في السماح للسوفيت بالنزول إلى بلاده، وممارسة نشاطاتهم الاقتصادية فيها[٣٨]

لايختلف رأى بيرد[٣٩]، الوكيل البريطانى بجدة، عن رأى تشمبرلين، ويحاول بيرد أن يبرر موقف وزير خارجيته تجاه النشاط السوفيتى، ويؤكد على أن الملك عبد العزيز هو صاحب المصلحة العليا فى إثارة قضية السوفيت فى الحجاز. وبيرد لايكتب رأيه من تقارير رسمية، وإنما هو يسجل ملاحظاته من الموقع، وبالتالى فقد يكون لرأيه شيئ من الأهمية الخاصة.

يوضح بيرد فى المقام الأول أن التجارة بين الحجاز والهند تجارة قديمة، ولها قواعد وأصول ثابتة، وليس من اليسير تحويلها إلى مجال آخر كما أن تجار الحجاز لهم بيوت تجارية فى بومباى، وأن أى تحويل لمصادر هذه التجارة سوف يضر - بصورة مباشرة- التجار الحجازيين، ومن بينهم حاكم جدة (الحاج عبد الله) وهؤلاء التجار هم سند الملك عبد العزيز المالى فى أوقت الأزمات، وهذا صحيح إلى حد كبير، ومن هنا تكون مصلحته فى مساندة موقفهم فى معارضته للتجارة السوفيتية، وهكذا صارت مقاومة السوفيت، من هذه الناحية، مسئولية الملك عبد العزيز، وليست مسئولية بريطانيا.

أما مايتعلق بالدعاية السوفيتية ومخاطرها، فإن بيرد يعترف بأن مصالح بريطانيا سوف تضار منها، لافى الحجاز وحده، ولكن فى الشرق بصفة عامة، بما فى ذلك مصر، ويقترح للحد من تأثير هذه الدعاية: أن تتحكم بريطانيا وهولندا فى أعداد الحجاج الوافدين إلى الأماكن المقدسة، من البلاد التى تخضع لهما. ويوصى هاتين الدولتين أن تفعلا ذلك، إذا رأت فيه مصلحتهما، لأن الآثار السلبية الناجمة عن هذا الأسلوب سوف تنعكس بكاملها على اقتصاديات الملك عبد العزيز وحكومته، وليس هناك مبالغة فى الأمر، إذا قلنا إن تطبيق أفكار كهذه سوف تدمر اقتصاد الحجاز بشكل واضح،[٤٠] فالحجاز هو السوق السنوى الذى يفد إليه حجاج جنوبى وجنوب شرقى آسيا، وأن أى

محاولة لتقليص دور حجاج هذه المناطق، سوف يفقد الحجاز كثيرا من عناصر إقتصاده الأساسية.

ومن جهة أخرى فإن بريطانيا تستطيع – لو أرادت – أن تفصل الحجاج القادمين من أراضيها عن باقي الحجاج، وأن تضع الصعاب أمام أي محاولة للتأثير عليهم، وذلك بوضعهم – فور وصولهم إلى الحجاز – تحت إشراف مطوفين من العناصر الموالية لبريطانيا، فدور المطوف نحو الحاج أكبر بكثير من دور الداعية، وإذا أقام المطوف نظاما لمجموعات الحجاج المسئولين منه، فإنه يستطيع أن يفصل بين حجاجه وباقي الحجاج دون مصاعب. ولذا اقترح بيرد على المطوفين أن يعزلوا أي شخص غير مسئول يحاول أن يندس بين الحجاج التابعين لبريطانيا.[41]

٦- حول المواقف السعودية والبريطانية من السوفيت:

في الوقت الذي كانت فيه الحكومة البريطانية مشغولة بصناعة القرار بشأن النشاط السوفيتي في الحجاز، كان السوفيت أنفسهم قد صنعوا قرارهم تجاه الموقف الجديد، الذي يجب عليهم أن يتبنوه في المرحلة التالية، لدفع السلبيات التي نجمت عن حادث السفينة «طومب». وتقرر أن يقطع حكيموف إجازته المرضية في أوربا، وأن يعود فورا إلى جدة، ليعيد تنظيم نشاط الوكالة السوفيتية في الأمور التي فشل نائبه تومتوف Tumetoff في معالجتها.

ووصل حكيموف بالجمل إلى جدة في ٢١ يناير ١٩٢٨، ولم يكن قد غاب عنها أكثر من ثلاثة شهور، منذ غادرها إلى أوربا للعلاج في سبتمبر ١٩٢٧، وليس هناك شك في أن الآثار السلبية التي نجمت عن حادث السفينة «طومب» كانت السبب الرئيسي لاستدعائه إلى جدة. وقد كان تومتوف حريصا

على أن يقنع المسئولين فى الحجاز باستقبال حكيموف لدى وصوله استقبالا رسميا، ولكن الدكتور عبد الله الدملوجى رفض مثل هذا الطلب، لانتفائه مع التقاليد الدبلوماسية المعروفة، حيث يجرى استقبال رسمى فقط عند وصول المبعوث لأول مرة.(٤٣)

ويفهم من اقتراح تومتوف مدى حرصه على إظهار رئيسه بمظهر الهيبة والاحترام فى الوسط الدبلوماسى بجدة. كما يفهم منه ضمنا أن حكيموف كان فعلا قد أنهى خدمته فى جدة قبل ثلاثة شهور من عودته هذه المرة، وأنه يستحق إستقبالا رسميا نظرا لإعادة تعيينه فى ذات المنصب الذى تركه. على كل حال كانت الصفة الرسمية لحكيموف فى هذه المرحلة غامضة. ولكن المواقف المعقدة التى نتجت عن غيابه كشفت عن الدور الإيجابى الذى كان يلعبه لصالح بلاده، وهو دور سبق أن ثارت حوله التساؤلات من جانب الانجليز.

لم يكن حكيموف سعيدا بعودته إلى جدة، فقد جاء الأمر بالنسبة له مفاجأة لم يكن قد أعد نفسه لها. وهو يعتقد فى أن الأمل ضعيف فى استعادة مافقد بعد حادثة «طومب»، فالحادثة قد أثرت على أعداد الحجاج بشكل واضح، خاصة من يأتى منهم فى موسم عام ١٩٢٨: وبالتالى فإن استمرار وجود المفوضية السوفيتية صار بغير ذى معنى، وأن العلاقات السوفيتية السعودية صارت عبئا ماليا بغير عائد سياسى، والوكالة السوفيتية بها خمسة عشر عضوا، منهم ستة مسئولين وتسعة خدم، ولايقدمون لحكومتهم خدمة تساوى أجورهم. ويبدو أن حكيموف فتح قلبه لزميله الايطالى، فكشف عن كثير من المرارة التى يكنها للبريطانيين بسبب حملتهم المضادة على النشاط السوفيتى، «ولنشرهم وثائق مزيفة» حول هذا الموضوع.(٤٤)

على كل حال كان موسم الحج يقترب والسوفيت يستعدون لمواجهة جديدة. وفي برقية سرية عاجلة، في ٢١ فبراير ١٩٢٨، كتب أوليفانت إلى بيرد يقول «إن السوفيت يعدون العدة لإرسال إمدادات الطعام غيره إلى جدة لتوزيعه في صورة هدايا على الحجاج، وأن بعثة من الدعاة سوف ترافق هذه الامدادات لتنشط بين الحجاج.»(٤٥) كانت هذه بالطبع دعوة من وزارة الخارجية البريطانية إلى الوكيل البريطاني، ليتنبه إلى خطورة موسم الحج الجديد. وإذا صدق ماذكره أوليفانت، فإنه إنما يعني أن السوفيت أقدموا على استعمال أسلوب آخر جديد، لم يسبق لهم استخدامه في نشر دعايتهم بين الحجاج.

ومن اللافت للنظر أن موسم الحج لعام ١٩٢٨ كان موسما فاترا. ولانعتقد في أن للسوفيت دخل في ذلك، ومن المشكوك فيه أن يكون للانجليز دخل أيضا. وربما يعود ذلك إلى الاضطراب المالي والاقتصادي الذي بدأ يظهر حول ذلك الوقت كمقدمة للأزمة المالية العالمية الكبرى، أو مايعرف باسم «الكساد العظيم» (١٩٢٩ - ١٩٣٣). ومع ذلك لم يغب السوفيت عن ساحة الحجاز. فقد أثار تاجر سوفيتي يدعى ليون الكونين شكوك بريطانيا حوله، وتبودلت البرقيات بين جدة والقاهرة ولندن حول طبيعة نشاط هذا التاجر الذي لم ترض بريطانيا عن وجوده بالحجاز.

وبينما كانت مسألة الكونين ساخنة، وصلت في ١٩ يونيه معلومات عن قرب وصول سفينتين سوفيتيتين إلى جدة. ورأى بيرد أن هذه فرصة مناسبة كي يبعث بمذكرة إلى الدكتور عبد الله الدملوجي، يذكره فيها بما دار بينهما سلفا حول مقاومة النشاط السوفيتي. وفي ٢١ يونية التقى الدملوجي ببيرد في جدة، وأخبره أن مجلس الشورى ناقش مسألة النشاط السوفييتي في حضور الملك عبد العزيز، وأن المجلس رفض النغمة البريطانية في إملاء الأسلوب الذي

يجب أن تتبعه حكومة الحجاز في مقاومة النشاط السوفيتي، أو حتى في التعامل معهم، وقد عبر المجلس بقوة عن امتعاضه من أسلوب المراوغة البريطاني، ولاشك أن موقف المجلس كان مساندا لموقف الملك عبد العزيز في مواجهة بريطانيا.

إندهش بيرد لهذه التطورات، ولكن الدملوجي كان جاهزا بالرد، فأكد له أن الصيغة التي تلقاها بشأن تحجيم نشاط الكونين، يمكن قراءتها على أنها تعليمات إلى حكومة الحجاز. وهكذا جاء هذا الموقف من الملك عبد العزيز ومن مجلس الشورى صفعة لبريطانيا، التي اعتادت أن تكيل الاتهامات للملك. عندئذ أطلع الدملوجي بيرد على صيغة مسودة الرد المقترح من حكومة الحجاز على الحكومة البريطانية بشأن الكونين. وفي هذه المسودة أكدت حكومة الحجاز على أن من حقها أن تسمح لالكونين بالدخول إلى الحجاز، إذا رأت أن ذلك لايضر بمصالحها، وأنها هي التي تقرر منعه من دخول الحجاز، إذا رأت أن ذلك يناسبها.[٤٦]

رأى بيرد أن عليه أن يخفف من حدة نغمته، فحاول تبرير موقفه في مسألة الكونين بقوله: إن الحكومة البريطانية حكومة صديقة لحكومة الحجاز، ومن هذا المنطلق فإنها استشعرت أن من واجبها أن تقدم النصح والتوجيه المناسب في مسألة تهم الحكومتين معا، وأن تحذر حكومة الحجاز من الأخطار المحتملة لوجود مثل هذا الشخص وغيره من السوفيت بالحجاز. وأضاف بيرد أن ما رأته حكومة الحجاز على أنه أوامر ليس إلا صيغة متعارف عليها، وأنها يمكن أن توجه من حكومة دولة كبرى إلى دولة أخرى دون حساسية. ولكن الدملوجي فوت الفرصة على بيرد حين ذكَّره بأن الحجاز ليس دولة كبرى، ولكنه أمة شابة «لاتزال قدرتها على الهضم ضعيفة».[٤٧] وأشار إلى أنه بينما يمكن أن

تقبل الحكومة الفرنسية أو الحكومة الايطالية من حكومة بريطانيا مثل هذا الموقف، تبقى للأمم الشرقية حساسيتها تجاه كل ماتقوله الدول الغربية، وتزداد هذه الحساسية، إذا كان الأمر متعلقا بالحجاز بالذات.

كان بيرد يعلم أن حول الملك عبد العزيز عناصر حريصة على تأكيد سلامة الحجاز، واستقلال قراره السياسي، وحريته في تبني المواقف التي يراها مناسبة. وحسما لهذه المشكلة أظهر الدملوجي قناعته بوجهة النظر التي عرضها بيرد، ووعده بإعادة النظر في قرار حكومة الحجاز في شأن مسألة الكونين والرد عليه كتابة. ولكن رد الدملوجي الذي وعد به جاء - في نظر بيرد - خلواً من مسألة الكونين موضع النقاش. فقد تبين أن الكونين لم يكن من بين ركاب إحدى السفينتين السابقتي الذكر. ولكن هذا الموقف على كل حال جعل بيرد يفهم أن الدملوجي أصبح مسلوب الإرادة ومحدد النفوذ، وأن نفوذ الشيخ يوسف ياسين أصبح متفوقا على غيره، وأن الدملوجي نفسه بدأ يفكر، في ذلك الوقت، في ترك الحجاز إلى العراق، بحثا عن وظيفة مناسبة.(٤٨)

وفي سبتمبر ١٩٢٨ استقال الدملوجي من منصب «مدير الشؤون الخارجية»، وخلفه فيه الشيخ يوسف ياسين. وقد انزعج الانجليز كثيرا لذهاب الدملوجي، رغم اتهامهم له بضعف الشخصية، ذلك أنه كان في نظرهم أفضل كثيرا من يوسف ياسين، أو حتى فؤاد حمزة، وكلاهما كان سورياً، وكانا من بين مساعديه ويناوئان النفوذ البريطاني. وساعد موقف الشيخ حافظ وهبة على تعقيد الأمر أمام الحكومة البريطانية، حين أفصح للوكيل البريطاني في جدة من خشيته من أن يضغط يوسف ياسين، بكل ماوراءه من ثقل ونفوذ سوري في الحجاز، على الملك عبد العزيز كي يعقد معاهدة مع السوفيت والأتراك، وهو ماسيعكس سلبا على مركز بريطانيا هناك.(٤٩)

كان حافظ وهبه مناوئا للنفوذ السورى المحيط بالملك عبد العزيز، وكان يرى أن الملك عبد العزيز لو تُرِكَ للسوريين وحدهم فإنه سيعقد معاهدة مع السوفيت، وهى معاهدة لو عُقدت فإنها ستكون بغير ذات نفع للحجاز، والهدف منها هو إرباك الحكومة البريطانية؛ [٥٠] وهذا يعنى أن حافظ وهبه كان جادا فى مقاومة النفوذ السوفيتى كما أراد الملك عبد العزيز، وكان بنفس القدر جاداً فى مقاومة النفوذ السورى داخل بلاط الملك. على كل حال فلا يمكن إنكار التأثيرات السورية على قرار الملك عبد العزيز خلال هذه الفترة وماتلاها حتى الثلاثينيات.

أما السفينتان السوفيتيان اللتان أثارتا تلك الزوبعة لدى وصولهما إلى جدة، فقد وصل على ظهر إحداهما مسئول روسى يدعى حسينوف، ليتولى مسئولية إدارة شئون الشركة الروسية – التركية. ومع أن السفينتين تركتا لتفريغ حمولتهما من الدقيق والسكر، إلا أن حكومة الحجاز لم تسمح لحسينوف بالبقاء فى الحجاز لفترة أطول من ثلاثة أسابيع. [٥١]

وفى يونية غادرت السفينتان الحجاز، وعلى ظهر إحداهما الحجاج الروس العائدون إلى بلادهم، أما الأخرى فقد توجهت إلى الحديدة، فى طريقها إلى عدن والخليج العربى، فى مهام تجارية. أما حكيموف فكان يستعد وقتئذ لمغادرة الحجاز إلى الأبد، ليحل محله ناصر توراكولوف Nasir Turaculoff [٥٢] وهو تركستانى الأصل، جاء ليشغل منصب أول وزير مفوض سوفيتى فى الحجاز، بعد رفع مستوى الدبلوماسى السوفيتى من مستوى «الوكالة» إلى مستوى «المفوضية». ولاشك فى أن العلاقات السعودية – السوفيتية قد نمت نسبياً فى ظل هذا التطور الدبلوماسى الجديد.

وحين غادر حكيموف جدة فى ١٣أكتوبر، كان جاكينز، القنصل

البريطانى، فى وداعه، وفى هذه المناسبة أهداه حكيموف زجاجة خمر، وأثناء تبادلهما أطراف الحديث صب حكيموف جام غضبه على «الوهابيين» حين قال لزميله البريطانى: «إن الحنابلة بمن فيهم الوهابيين سيكونون آخر من يدخل الجنة»، وكما هى عادته فى إحاطة نفسه بهالة من الغموض، أعلن حكيموف أنه سيعود إلى جدة بعد مرور عام واحد(٥٣) وبرحيل حكيموف تنتهى مرحلة وتبدأ مرحلة أخرى فى النشاط السوفيتى فى المشرق الإسلامى انطلاقا من الحجاز.

ومهما يكن من أمر، فإن سياسة السوفيت المناهضة للغرب فى الشرق نجحت فى تهيئة أذهان بعض الحكومات وبعض الزعامات الشعبية فى الشرق، خاصة فى الفترة التى تلت الحرب العالمية الأولى، حين تكشفت هذه وتلك خداع الغرب لشعوب منطقة الشرق الأوسط، وقد أبرزت صحيفة برافدا السوفيتية الصادرة فى ١١ أغسطس هذا المعنى، وأشارت إشارة مباشرة إلى فلسطين، ذلك البلد الذى صار «معسكرا للاستعمار البريطانى»، ووجه الأمير (على) حيدر الدعوة إلى الحزب الشيوعى السوفيتى ليتحرك بسرعة لمواجهة التفوق الاستعمارى البريطانى، الذى أفرزته الحرب العالمية الأولى فى فلسطين وشبه الجزيرة العربية، وأكد حيدر على أن المنطقة صارت العدو الأول للاستعمار البريطانى، وأنها مستعدة لاستقبال السوفيت «الذين يعيشون فى قلوب الناس كرمز لتحرر الشعوب».(٥٤)

وهكذا مع نهاية عام ١٩٢٨ كان السوفيت قد وجدوا لأنفسهم أرضية شعبية فى سوريا وفلسطين، ونجحوا فى توقيع معاهدة مع إمام اليمن، ولكن السكون خيم على نشاطهم فى الحجاز.(٥٥)

حواشي الفصل الثالث:

1- Jeddah Report, May 1927, F.O. 371/12250.

2- *Ibid.*

3- Clayton to Chamberlain, 9 June 1927, ***Documents on British Foreign Policy (D.B.F.P.)***, No. 521, VI, p. 762.

4- *Ibid.*

5- Jeddah Report, June 1927, F.O. 371/12250;

Jeddah Report, July 1927, F.O. 371/12250.

6- Jordn to Chamberlain, 3 July 1926, E 4319/1426/91, F.O. 371/11446, "Report on The Activities of The Soviet Delegates to The Moslem Conference Held at Mecca, June, 1926".

7- Dutch Consular Representative at Jeddah, to The Govemer General of The Netheralnds East Indies, 17 June 1927, E 3742/323/91, F.O. 371/12248.

8- *Ibid.*

9-*Ibid.*

10-*Ibid.*

11- Jeddah Report, July 1927, loc. cit.;

Jeddah Report, January 1928, F.O. 371/13010.

12- *The Times*, 1 Sept. 1927.

13- *The Times*, 16 Sept. 1927.

14- *The Times*, 15 Oct. 1927.

15- Jeddah Report, Nov. 1927, F.O. 371/12250.

16- *Ibid.*

17- Jakins to Chamberlain, 22 Nov. 1927, E 5309/323/91, F.O. 371/12248;

Jeddah Report, January 1928, F.O. 371/13010.

18- Jakins to Chamberlain, 22 Nov. 1927 *loc. cit.*

١٩- الأعضاء الستة كما ذكرهم جاكنز هم:

- نعوم بلكين N. Belkin المدير الاداري لشركة النقل التجاري بين أوديسا والحجاز.

- الاسكندر ستانسبيتز Alex Stancebitz وهو مرشد دبلوماسي.

- فلاديمير أوزتروف Vladimir Ozetrorf مساعد مدير شئون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية، وكان يعمل من قبل وزيرا سوفيتيا في طهران.

- بنيامين بيادجان Benjamin Babadjan وهو طبيب وكان من قبل مسئولا في كابل.

- بردولف بلز Budolf Bilz وكان من المقرر أن يكون مديرا لفرع شركة النقل السوفيتية التركية في جدة.

- ستوبان Stupan وهو سكرتير قنصل، وكان يعمل من قبل ملحقاً بالسفارة السوفيتية في أنقره.

20- *Ibid*.

21-*Ibid*.

22- Jeddah Report, Nov. 1927, F.O. 371/12250.

23-*Ibid*.

24- *Ibid*.

25- Jakins to Chamberlain, 22 Nov 1927, *loc. cit.*

26-*Ibid*.

27-*Ibid*.

28- Mayers to Chamberlain, 18 March 1927, E 1606/323/91, F.O. 371/12248.

29- Ibn Saud to Lloyd, 6 Dec. 1927, Clayton Papers. Box No 4722, Durham University.

30- *Ibid*.

31- Loyd to Chamberlain, 14 Jan. 1928, E 384/80/91, Clayton Papers, Box 472/2, Durham Universtity.

32 *Ibid*.

33- *Ibid.*

34- Bird to Chamberain, 30 April 1928, E 2263/332/91, F.O. 371/13008;

Documents on British Foreign Policy, Series IA, Vol. VII, No. 334, p. 604;

Oliphant to C.O., 15 Feb. 1928, E 612/332/91, F.O. 371/13008.

35- Lloyd to Chamberlain, 28 January 1928, E 612/332/91, F.O. 371/13008.

36-*Ibid.*

37-*Ibid.*

38- Oliphant (F.O.) to C.O., 15 Feb. 1928;

Oliphant to I.O., 15 Feb. 1928, E 612 /332/91, F.O. 371/13008.

39- Bird to Chamberlain, 9 April 1928, E 2263/332/91, F.O. 371/13008.

40-*Ibid;*

وانظر: جمال محمود حجر، *السعوديون والأزمة المالية ١٩٢٩ - ١٩٣٣* (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٣).

41- Brid to Chamberlain, 9 April 1928, *loc. cit.*

42- Jeddah Report, January 1928;

Jeddah Report, March 1928, E 1999/48/91 F.O. 371/13010.

43- *Ibid.*

44- Jeddah Report, March 1928, F.O 371/13010.

45- Oliphant to Bird, 21 Feb 1928, E 852/332/91, F.O. 371/13008

46- Brid to Chamberlain. 2 June 1928. E. 3247/332/91 F.O 371/13012.

47-*Ibid.*

48- *Ibid.*

49- Jeddah Report, Sept. 1928, F.O. 371/13010.

50-*Ibid.*

51-Jeddah Report, May 1928, F.O. 371/13010

52- Jeddah Report, June 1928, F.O. 371/13010.

53- Jeddah Report, Oct 1928, F.O 371/13010

54- Moscow Pravda, No. 185, 1 Aug. 1928., Copied in: Ibrahim Al Rashid, ***Doc. on Saudi Arabia,*** Vol 3, p 219

55- Jeddah Report, Dec. 1928, F.O. 371/13010

See The Sovit- Yemeni Treaty of Friendship and Commerce, Signed at Sannaa on 1 Nov. 1928 in: ***British and Froeign State Papers,*** Vol 129, pp 949-951

الفصل الرابع
السعوديون والبريطانيون والدعاية السوفيتية
(مرحلة الحوار)
١٩٢٩-١٩٣١

١- صدى نجاح السوفيت في اليمن.
٢-مواقف البريطانيين في لندن والقاهرة من الدعاية السوفيتية.
٣- شكيب أرسلان وقضية الدعاية السوفيتية.
٤- ماقبل النهاية.



يتناول هذا الفصل دراسة للحوار الذى دار بين المسئولين السعوديين والمسئولين البريطانيين حول النشاط السوفيتى. وقد أخذ السعوديون المبادرة فى إثارته، ليكون وسيلة إلى غاية، لا أن يكون غاية فى حد ذاته. وفى نفس الوقت، وجد البريطانيون أنفسهم وقد فتحوا أبوابا الحوار الداخلى بينهم، فى محاولة لتجنب تصديق «الادعاءات» السعودية بخطورة النشاط السوفيتى، وكان هذا هو الاتجاه الغالب منذ البداية، ولكنه تطور إلى دعوة لمساندة الملك عبد العزيز فى مواجهة هذا الخطر، الذى بات يهدد - ليس فقط شبه الجزيرة العربية، وإنما يهدد الحضور البريطانى فى فلسطين ومصر. لقد أنفق البريطانى كثيرا من الوقت والجهد والمال فى محاولة الوصول إلى الحقيقة القائمة بينهم والتى لا يرغبون فى تصديقها، إعتقادا منهم أن المستفيد الأول منها هو الملك عبد العزيز. ومن الطريف أنه بينما كان البريطانيون على هذا الحال، كان السوفيت قد حزموا أمرهم، وحسموا قرارهم بشأن الحجاز، وبدأوا فى الانحسار، فقد تغيرت طبيعة العلاقات الدولية فى الثلاثينيات، وأخذت القوى الكبرى تعيد ترتيب توازناتها من جديد.

١- صدى نجاح السوفيت فى اليمن:

لم يكن الملك عبد العزيز آل سعود فى أى وقت من أنصار السوفيت. وأن ماورد من علامات تدل على استعداده للتعاون معهم إنما كانت محاولات سياسية من جانبه للضغط على بريطانيا فى عدة مجالات بعضها سياسى وبعضها إقتصادى، بهدف تحقيق منافع له ولبلاده. وهو ماسبق أن أشرنا إليه فى العلاقات البريطانية - السعودية باسم «ورقة السوفيت».

ومع أن ردود بريطانيا عليه فى مسألة النشاط السوفيتى كانت إما غائبة أو سلبية طوال المرحلة السابقة، إلا أنه لم ييأس أو يمل من إثارة المسألة بين الحين

والآخر. ذلك أنه كتب فى مطلع عام ١٩٢٩ رسالة إلى لورد لويد بالقاهرة حملها إليه حافظ وهبة. وفيها يوضح موقفه من السوفيت، ويؤكد على صداقته لبريطانيا، فيقول:

« ... بقدر علمنا، فإنكم تسعون إلى توثيق العلاقات بين بلادنا والحكومة البريطانية، وقد شجعنا ذلك على أن نضع أمامكم تلك المسائل ذات الاهتمام المشترك، على أمل أن تكونوا خير وسيط يضع الصورة كاملة أمام الحكومة البريطانية، كى تتمكن من الوصول إلى حل للصعوبات التى تواجهنا معا ... »(1).

فى هذا الجزء من الرسالة حاول الملك عبد العزيز أن يكسب لورد لويد إلى جانبه، وأن ينسب إليه مهمة القيام بتوثيق العلاقات البريطانية - السعودية، ثم يبين له حرصه على أن يكون وسيطا بين حكومة الحجاز والحكومة البريطانية، لحل كثير من المشاكل المعلقة بينهما، وأهمها علاقاته بالأشراف فى كل من العراق وشرق الأردن، ثم علاقاته بإمام اليمن، ومع أن الملك عبد العزيز يشير إلى ذلك بصورة سريعة، إلا أنه يركز فى رسالته على موضوع السوفيت، ويعتبره الموضوع الرئيسى المشترك الذى يشغل، أو يجب أن يشغل الحكومة البريطانية، بنفس القدر الذى يشغله هو شخصيا، ويقول:

«إننا نواجه اليوم مسألة مهمة للغاية، سبق أن حدثناكم فيها من قبل، ولكن إلى الآن لم تبد الحكومة البريطانية أى اهتمام بها، وإننا نود منك أن تلفت نظرها إلى تلك المسألة، ولعلنا نتلقى وجهة نظرها. ذلك أن كثيرا من الدول الأجنبية تنشط حاليا للعمل على طرد التجارة البريطانية من الحجاز واحتكار الأسواق هناك، وأن أكثر هذه العناصر نشاطا هم الروس، وكما أبلغناكم من قبل فإننا نعمل على إجهاض نشاطاتهم، ومنعهم من الوصول إلى غاياتهم،

آملين أن تعقد الحكومة البريطانية معنا معاهدة تجارية، يكون بمقتضاها لحكومتنا وشعبنا بعض الفوائد، مقابل مقاومتنا للنشاط الروسى، ولكن الحكومة البريطانية لم تخط خطوة واحدة فى هذا الاتجاه ... وهذا العام عاود السوفيت نشاطهم، وهدفهم ببساطة هو طرد البضائع البريطانية من الحجاز، ومن اليمن وربما مناطق أخرى .. إننا نود أن نعرف بصراحة ووضوح ما إذا كانت الحكومة البريطانية مستعدة للموافقة على أن نحمى لها تجارتها فى بلادنا، وأن نعوق تجارة الآخرين، فإذا كانت الحكومة البريطانية مهتمة بهذه القضية، فعليها أن تبدأ معنا مفاوضات من خلال مسئولهم فى الحجاز. أما إذا كانت المسألة لاتهمهم كثيرا، فإننا لسنا مستعدين لإزعاجهم حول أى شىء....» .[٢]

تبين الرسالة السابقة أحد أنماط دبلوماسية الملك عبد العزيز. فهو يخفى هدفه الحقيقى وراء أهداف ومطالب أخرى، وهو يتظاهر بالسعى نحو الحصول على مطالب تجارية، ولكنه فى الواقع يسعى لتحقيق منافع سياسية وتجارية معا. وفى تقديرنا أن الدافع الحقيقى وراء إثارة مسألة السوفيت هذه المرة، هو نجاح هؤلاء فى عقد معاهدة صداقة وتجارة مع إمام اليمن، فى ١ نوفمبر ١٩٢٨.[٣]

وقد وصلت أنباء هذه المعاهدة السوفيتية – اليمنية إلى لندن، ونشرتها صحيفة التايمز فى عددها الصادر فى ٢٥ يناير ١٩٢٩ . وقللت الجريدة من الأهمية الاقتصادية للمعاهدة. ولكنها أشارت إلى أنها تنظم العلاقات التجارية بين البلدين، من خلال وفد تجارى سوفيتى مقيم، وله صلاحيات دبلوماسية، ولم تستطع الجريدة إخفاء أهمية تلك الخطوة «العملاء الشيوعية الدولية الذين قد يسعون إلى استخدام اليمن قاعدة للعمل الدعائى السوفيتى فى الهند» . ونسبت الصحيفة إلى مثل هؤلاء العملاء عملية إفساد العلاقات فى مرحلة سابقة بين اليمن ومحمية عدن.[٤]

أساءت المعاهدة السوفيتية – اليمنية إلى الملك عبد العزيز، الذى استشعر أن صداقته لبريطانيا هى صداقة بغير ثمرات، بينما نجح الإمام فى كسب السوفيت إلى جانبه بسرعة، وتغير نتيجة لذلك توازن القوى فى شبه الجزيرة العربية، فبريطانيا التى كانت تنفرد بالنفوذ هناك، لم تعد كذلك، بعد أن نجح السوفيت فى ايجاد موطىء قدم لهم فى اليمن. والملك عبد العزيز صار يرى منافسه إمام اليمن، مدعوما بقوة دولة كبرى فى المجالين الاقتصادى والسياسى. ونظرا لأنه لم يكن قد عقد معاهدة تجارية من قبل مع بريطانيا، فقد أراد هذه المرة ألا تفوته فرصة إثارة المسألة مع البريطانيين، فى محاولة من جانبه لإعادة التوازن لصالحه، فى مواجهة منافسة إمام اليمن، وفى نفس الوقت، يبدو الملك وكأنه يدعو بريطانيا إلى أن تبقى على تفوقها المطلق فى شبه الجزيرة العربية، فى مواجهة أى قوة أجنبية أخرى، وهى هذه المرة الاتحاد السوفيتى. وزيادة فى إضفاء الغموض على موقفه، يقدم الملك عبد العزيز المصالح البريطانية على مصالحه حين يعرض الأمر على لورد لويد. ولعله أراد هذه المرة خلق حالة من الصدام السياسى بين القوتين المتصادمتين أيديولوجيا فى الأصل، والمصطدمتين سياسيا فى مناطق أخرى من آسيا.

ومن وجهة النظر الاقتصادية، فقد كان الملك حريصا على حماية مصالح مواطنيه التجارية، وهى مصالح بنيت وتطورت على أساس الارتباط بالتجارة مع الهند البريطانية، وأن أى نشاط تجارى خارج إطار هذه الدائرة، كتوجيه التجارة نحو الاتحاد السوفيتى، سوف يلحق ضررا بالغا بالتجار الحجازيين، كما رأينا فى مناسبة سابقة، حين عرضنا لموقف الحاج عبد الله، قائمقام جدة وكبير التجار فيها. (٥) ولكن هذا التوجه الاقتصادى، الذى فرضه تجار جدة لم يهىء فرصة للملك عبد العزيز كى يستفيد من التنافس الدولى حول بلاده. فمع أنه كان يميل إلى التعامل مع مصادر تجارية ذات أسعار منخفضة، كما هو الشأن بالنسبة

للسوفيت، إلا أنه كان يميل سياسيا إلى التعامل مع بريطانيا لاعتبارات أخرى أكثر أهمية، أشرنا إليها في غير هذا الموضع. ومرة أخرى نؤكد على أن الخيار البريطاني بالنسبة للملك عبد العزيز كان خيارا حتميا.

ولكي يؤكد الملك عبد العزيز لبريطانيا حسن نواياه، أصدر تعليماته برفض التعامل مع أية سفينة سوفيتيه تصل إلى جدة. وبالطبع كان هذا الموقف خطوة نحو إرضاء التجار الحجازيين، الذين كانوا سنده الأول في الأزمات الاقتصادية التي واجهها.[6] وحين وصلت السفينة السوفيتيه كوميونست Kommunist إلى جدة في ٣ فبراير ١٩٢٩ رفضت حكومة الحجاز تفريغ شحنتها، واضطرت السفينة إلى التوجه إلى اليمن، حيث أفرغت حمولتها. ويجب التنويه هنا إلى أن ذات السفينة وصلت إلى جدة في ١٣ أكتوبر ١٩٢٨ ولم تفلح في إنزال حمولتها بالميناء، حيث أمرت بمغادرته في نفس اليوم.[7]

وفي ٩ فبراير ١٩٢٩ كتب الوكيل السياسي البريطاني في جدة (بوند) إلى وزير خارجية بلاده (تشمبرلين)، أن فؤاد حمزة اتصل به، بناء على تعليمات صدرت إليه من الملك عبد العزيز، ليشرح له سياسة الملك تجاه السوفيت، ودوافعه في تبني تلك السياسة. وأشار فؤاد حمزة إلى موضوع السفينة كوميونست، وقال «إنه يعرف أنه من مصلحة كل من بريطانيا والملك عبد العزيز وقف النشاط الشيوعي في الحجاز، وأكد على أنه لايجب أن أخشى (بوند) شيئا في هذا المجال... ذلك أن الملك بذل أقصى ما في وسعه لوقف تفريغ حمولة السفينة ... واضطرت إلى الإبحار بحمولتها ... وقد تصرف الملك من تلقاء نفسه في مواجهة السوفيت، رغم أن السلع التي أحضروها كانت رخيصة الثمن. وبالطبع فقد خلق الملك لنفسه مشكلة أخرى، نتيجة هذا التصرف، فقد كان عليه أن يواجه الحجاج الذين يدفعون رسوما عالية،

وأسعارا عالية للسلع القادمة من الهند، بينما كان من الممكن أن يشتروا سلعا أرخص (أحضرها السوفيت) وبهذه الصورة يكون الملك قد ألحق الضرر بشعبه». [8]

لم يستطع بيرد أن يفعل شيئا لفؤاد حمزة أكثر من التعبير له عن تقديره لهذه الخطوة من جانب الملك عبد العزيز، باعتبارها دليلا جديدا على الصداقة بين بلديهما. ولكنه أراد في نفس الوقت التقليل من الأهمية المطلقة، التي أعطاها فؤاد حمزة لهذه الخطوة، فأشار بيرد إلى أن طرد السلع السوفيتية تم بناء على رغبة التجار الحجازيين بالدرجة الأولى، وهو بذلك لن يكون خدمة مباشرة للتجارة البريطانية من جانب الملك. وأضاف بيرد بنظرة اقتصادية تحليلية أن السوفيت لن يمكنهم الاستمرار في بيع بضائعهم بأسعار زهيدة إلى الأبد، لأن الأسعار المعمول بها في ذلك الوقت تهدف إلى الدعاية للسوفيت كي يجدوا موطيء قدم، فإذا نجحوا في ذلك فسيرفعون أسعار سلعهم إلى المستوى العادي. [9]

كان فؤاد حمزة يسعى لإبراز فضل الملك عبد العزيز لخدمة المصالح البريطانية، بينما كان بيرد يسعى لإظهار أن الأمر ليس بهذه الصورة تماما، فالملك يعرف أين وكيف يحقق مصالحه الخاصة، التي لابد وأن تكون لها الأولوية. وبكلمات أخرى فبينما كان فؤاد حمزة يسعى لمزج المصالح البريطانية بمصالح بلاده، كان بوند حريصا على تحقيق الفصل الدقيق بينهما. ولكن حمزة، الذي مزج السياسية بالاقتصاد في حواره هذا مع بيرد، وجد أنه لا مفر من التصريح بهدفه الحقيقي من وراء الحوار، وأشار إلى أن الملك عبد العزيز ينتظر من بريطانيا أن تقدر جهوده في مواجهة السوفيت، وأن هذا التقدير يمكن أن يصاغ في شكل معاهدة تجارية بين الحجاز وبريطانيا. [10]

وكان لورد لويد قد كتب كلاما مشابها لما كتبه بوند، حين التقى وحافظ وهبة في مطلع عام ١٩٢٨ في القاهرة. وطلب منه وهبة إظهار تقدير بريطانيا للملك عبد العزيز بإمداده بالسلاح والذخيرة. والآن نلاحظ أن التقدير يأخذ شكلا جديدا، يتمثل في عقد معاهدة تجارية أو تقديم معونة مالية. ولعل هذا التطور الأخير يؤكد على ما سبق أن توصلنا إليه، من أن الملك عبد العزيز كان يراقب الأحداث من حوله بدقة وحذر شديدين للاستفادة من تطوراتها. وأن نجاح السوفيت في عقد معاهدة تجارية مع اليمن، كان هو المحرك الأول لإثارة موضوع السوفيت ومحاولة طرحه من خلال القنوات الدبلوماسية عبر كل من جدة والقاهرة على الحكومة البريطانية.

٢- مواقف البريطانيين في لندن والقاهرة من الدعاية السوفيتية:

وفي ٥ فبراير ١٩٢٩، خاطب هور R.H.Hoare نيابة عن لورد لويد، المندوب السامي بالقاهرة، وزير الخارجية البريطانية، سير أوستن تشمبرلين، وأبدى ملاحظات حول موقف الملك عبد العزيز من السوفيت[١١] وقال: إن قضية السوفيت ليست جديدة على القاهرة، التي تعلم الكثير من التفاصيل حولها منذ عام، وأن الحكومة البريطانية واجهتها بشيء من الفتور في حينها. ولم يفقد الملك عبد العزيز الأمل رغم ذلك في مساندة بريطانية له في هذا المجال، فعاد وفاتح سير جلبرت كلايتون، الذي كان في زيارته في صيف عام ١٩٢٨، ولكن لندن التزمت الصمت تجاه إعادة تحريك الموضوع. وأدى هذا الصمت البريطاني تجاه المسألة إلى قلق الملك حول حقيقة الصداقة البريطانية - السعودية، وتساءل عن إمكانية ترجمتها إلى سلوك ملموس وتعاون واضح بينه وبين بريطانيا. ولذا عاد أخيراً إلى إثارة الموضوع من جديد، وكان في هذه المرة واضحا، كما لم يكن من قبل.

وفيما يتعلق بطلب الملك عبد العزيز عقد معاهدة تجارية مع بريطانيا، قال هور لوزير خارجية بلاده «إنه لمن الصعب أن نرى معاهدة تجارية تعقد بين بريطانيا وابن سعود، دون أن تثير سخطا شديدا بين الدول الكبرى في المنطقة». وإذا كان للندن رؤية أخرى، وشاءت أن تلبي رغبة الملك، ففي هذه الحالة لايجب أن تفضل بريطانيا تجارتها على تجارة الدول الأوربية الأخرى في الحجاز بمقتضى معاهدة، وإنما يجب أن «يمنح ابن سعود تفضيلا لتجارة جميع الدول دون تجارة السوفيت». ويبدو أن هور كان طموحا أكثر مما ينبغي أن يكون عليه طموح مسئول سياسي. فأخذ يراجع نفسه حين تساءل عن: «كيف يمكن للحكومة البريطانية أن تنفذ فكرة كهذه، لأنها فكرة غير عادية»؟.(١٢)

كان هور يعلم جيدا أن وراء طلب الملك عبد العزيز عقد معاهدة تجارية أهدافا أبعد من مجرد عقد مثل هذه المعاهدة. فهو على حد تعبير هور «يريد أن يختبر مدى صدق الحكومة البريطانية في موافقتها من تسوية المشاكل المعلقة بينه وبين الأشراف .. ومع أنه يظهر دائما حسن نية بريطانيا تجاهه، ويقدر صداقتها معه، إلا أنه يبدو قلقا، ويحتاج إلى برهان قوى من بريطانيا على صدق مشاعرها، إنه في حاجة ماسة إلى تفاهم شامل أكثر من تلك المقترحات العامة والسطحية ...».(١٣)

وإذا كان هور قد أوضح لحكومته خطورة الإقدام على خطوة كهذه، فإنه لم يخف اتجاهاته السلبية عن حافظ وهبة، حين بين له في ٣ يناير ١٩٢٩، الصعوبات التي ستواجهها بريطانيا إذا ماسعت لعقد مثل «هذه المعاهدة التجارية غير المتوازنة والتي تميز بين دولة وأخرى». أما مطالب الملك غير المباشرة، فهذه لايمكن للندن أن تحققها له طبقا لسياسة قديمة تبنتها بريطانيا. وبالنسبة للنشاط السوفيتي فهذا «أمر يخص ابن سعود وحده، أكثر مما يخص بريطانيا..». وهكذا ضرب هور عرض الحائط بمطالب الملك عبد العزيز جميعها المعلنة منها

والمتوارية، وتأكيدا على إظهار هذا الموقف بوضوح وزيادة فى الحيطة، طلب هور من حافظ وهبة أن ينقل هذه الصورة كما هى إلى الملك عبد العزيز، كما بعث فى الوقت نفسه بصورة من خطابه السابق إلى الوكيل والقنصل البريطانى بجدة.(١٤)

لقد حاول هور أن يغسل يدى حكومته من موضوع السوفيت، كما حاول أن يجنبها الانخراط فى تلبية أى من مطالب الملك عبد العزيز، لأن ذلك لاينسجم وسياستها العامة فى الشرق الأوسط. وهكذا لم تفلح محاولات الملك من خلال فؤاد حمزة مع بيرد فى جدة، أو من خلال حافظ وهبة مع هور فى القاهرة. ووجد لورد لويد، الذى كان يعطى أهمية خاصة لموضوع السوفيت، بعد عودته من لندن، أن من الضرورى الكتابة مباشرة إلى الملك عبد العزيز ليكون أكثر وضوحا، ولكن رد الملك جاء - طبقا لما أورده لويد نفسه - «غامضا ومختصرا» ولايضيف جديدًا لما كان معروفاً فى الأوساط البريطانية فى لندن والقاهرة.(١٥)

ولكن حافظ وهبة كشف عما كان في رأس الملك عبد العزيز، حين قال إن الملك «كان يقصد من وراء إثارة موضوع الروس الحصول على معونة مالية». فتطلعات الملك وخططه السياسية والعسكرية فى شبه الجزيرة العربية، وطبيعة التعامل مع البدو وكسب ودهم وضبطهم، فضلا عن عمليات التحديث والتطوير، ومحاولات ضبط الحدود وتغيير المفاهيم حولها، كل ذلك يحتاج بشدة إلى المال. ولسوء حظ الملك عبد العزيز كانت موارد بلاده محدودة للغاية، ولاتتناسب وحاجته لإظهار الكرم مع القبائل، كضرورة سياسية واجتماعية فى بيئة تتبدل فيها الولاءات القبلية بسرعة، ويستطيع المال وحده أن يضبطها.(١٦) ويحاول حافظ وهبة، بعد إظهار ذلك كله أن يوضح للقاهرة أن المعونة المالية التى كانت بريطانيا تقدمها للملك عبد العزيز فيما سبق، كانت

«تكلف الحكومة البريطانية أقل كثيرا مما تتكلفه حكومة الانتداب البريطاني في المناطق المجاورة الآن لتحريك القوات والعربات والطائرات ضد القبائل النجدية المتمردة»، وهي ذات القبائل التي يواجه الملك عبد العزيز صعوبة في السيطرة عليها. ولو أن بريطانيا قدمت المال للملك لأمكنه ضبطها وحماية الحدود الشمالية من غاراتها.[١٧]

ومع أن لورد لويد لم يظهر شيئا من التعاطف تجاه المواقف الصعبة التي واجهها الملك عبد العزيز، إلا أنه لم يخف مشاعره الحقيقة أمام سير أوستن تشمبرلين، حين قال «إن وضع ابن سعود يستحق دراسة متعاطفة معه، نظرا لأوضاعه الحرجة بين القبائل المتمردة عليه من ناحية وعداوة الأشراف له في المناطق الانتداب من الناحية الأخرى».[١٨]

إن بعض ماذكره لورد لويد منسوبا إلى حافظ وهبة يحتاج إلى شيء من التدقيق، فحركة تمرد الاخوان لم يكن سببها حاجة القبائل إلى المال، وإنما هي مردودة إلى جملة أسباب سياسية ودينية، وتعتبر السياسة البريطانية في المنطقة مسئولة عنها في المقام الأول. ولكن المال كان مطلوبا لقمع مثل هذه الحركة إرضاء لبريطانيا، وتحقيقا للأمن الداخلي. وقد سبق لنا أن عالجنا هذا الأمر بالتفصيل في دراسة أخرى.[١٩] هذا بالاضافة إلى أن الملك كان في حاجة إلى المال لاستقطاب تلك العناصر التي لم تكن قد تمردت بعد ولم تفصح عن اتجاهاتها. ولايجب أن يغيب عن الذهن أن اضطرابات الاخوان أدت إلى توقف وتدمير واستنزاف كثير من الأنشطة والموارد الاقتصادية، وهذا يفسر لنا أسباب سعي الملك لحل مشكلة داخلية باستخدام مسألة خارجية، تتعلق بالسوفيت والبريطانيين ومصالحهما في شبه الجزيرة العربية.

ومهما يكن من أمر حقيقة أوضاع الملك عبد العزيز المالية، وحقيقة

التنافس الأنجلو - سوفيتي في شبه الجزيرة العربية، فقد رأى تشمبرلين في أبريل ١٩٢٩ . أن مسألة عقد معاهدة تجارية بين بريطانيا والحجاز أمر وارد. وأمر تشمبرلين جاكينز، (الوكيل البريطاني في جدة) أن يحيط فؤاد حمزة علما بأن «الحكومة البريطانية عازمة على مشاركة ابن سعود آراءه في أن عقد معاهدة بين البلدين يخدم مصالحهما». ولكن اللافت للنظر أن تشمبرلين عاد وطلب إلى جاكينز ألا يغذي الأمل عند السعوديين حول أي موقف إيجابي من بريطانيا. ولم ينس تشمبرلين أن يذكر جاكينز بأن هذا التحفظ الأخير «سري جدا» .[٢٠]

يكشف التحفظ الذي وضعه تشمبرلين في رسالته إلى جاكينز عن حالة التردد وعدم الوضوح في السياسة البريطانية. ويمكن القول - دون تردد من جانبنا - أن هذه كانت سمة السياسة البريطانية تجاه شبه الجزيرة العربية في هذه الفترة. ويمكن أن نفهم الدوافع من وراء موقف تشمبرلين عند قراءة المذكرة التي وضعها جورج رندل، السكرتير الأول بوزارة الخارجية البريطانية، في مايو ١٩٢٩ ، ووافقه عليه كل من مونتيجل Monteagle وأوليفانت Oliphant وهما معنيان بشئون الشرق الأوسط بالوزارة نفسها. فقد كتب رندل في مذكرته يقول:

«جاء اقتراح ابن سعود بتجديد المعونة (البريطانية) له كرد سريع وطارىء على مطالبنا إليه أن يحدد لنا ماذا يريد. إن مثل هذا التجديد مسألة غير واردة بالطبع. وأنا لا أعتقد أن ابن سعود يتوقع أن يجاب إلى طلبه، ومن ناحيتنا فلن ننظر فيه» .[٢١]

ويضيف رندل: أن المتأمل في رسالة الملك عبد العزيز في ٢٦ جمادى الثانية ١٣٤٧هـ[٢٢]، وفي رسالة بيرد حول الموضوع نفسه، يلاحظ إتصالا

وثيقا بين الاقتراح الخاص بالمعاهدة التجارية والاقتراح الآخر الخاص بمواجهة النفوذ البلشفى فى شبه الجزيرة العربية. ويذهب رندل إلى أبعد من ذلك حين يقول «إن ابن سعود يريد بعض الامتيازات الاقتصادية مقابل جهوده فى صد النفوذ الروسى. ولكن مساعدته فى هذا المجال لن تحل بالتأكيد مشكلته الأصلية». كان رندل يشير إلى الأزمة المالية التى يواجهها الملك، باعتبارها القضية الأصلية التى دفعته «لابتزاز» بريطانيا، ولو أن بريطانيا ساعدت الملك فى الأزمات المالية، فإن ذلك فى نظر رندل قد يجعل الملك «يعتقد أننا أكثر أهمية له مما لو وقفنا ضد النشاط السوفيتى فى شبه الجزيرة العربية».

كان رندل يرى، إذن، أنه يجب حل المشكلة المالية، التى هى مشكلة الملك عبد العزيز الأولى، دون مواربة؛ لأن ذلك سوف يؤدي بالضرورة إلى إسقاط القضية الثانية، وهى قضية السوفيت، من الحوار. ومع ذلك كان رندل يخشى من أن يغالى الملك فى طلباته، لو أنه أجيب إلى هذا الطلب بهذه الصورة. ويعتقد رندل أن الأخذ بأى من الافتراضين (المعاهدة التجارية أو تجديد المعونة المالية) يتطلب دراسة ميدانية جيدة لأوضاع الملك المالية والاقتصادية، واستطلاع رأى جاكينز حول حقيقة الموقف فى الحجاز، والنتائج المنتظرة لتنفيذ أى من الخطوتين.(٢٤)

ولفت رندل نظر وزارة الخارجية إلى أن سير جلبرت كلايتون، الذى كان مكلفا بإثارة هذه المسائل مع الملك عبد العزيز فى العام السابق - إذا أتيحت له فرصة مناسبة - لم يفعل ذلك، إعتقادا منه بأن إثارة المسألة ستلحق أضرارا ببريطانيا، وأن وزارة المستعمرات يجب أن تستشر أولا، كما يجب أن يستطلع رأى وزارة الهند لارتباط ظروف الحجاز بأحوال الحجاج القادمين من جنوبى وجنوب شرقى آسيا.(٢٥)

ويلاحظ المتتبع للرسائل المتبادلة بين محور جدة - القاهرة - لندن خلال الفترة التى بين أيدينا، أن كل الرسائل كانت تدعو إلى تدعيم وتقوية مركز الملك عبد العزيز فى الحجاز، عدا رسائل وزارة الخارجية البريطانية التى كان لها رأى مخالف، وكانت تبدو باردة تجاه أساليب التعامل مع الموقف كله. ويتبين ذلك بوضوح فى مذكرة رندل السابقة الذكر. فقد كانت وزارة الخارجية ترى أن النفوذ السوفيتى أو الدعاية السوفيتية أمر يخص الملك عبد العزيز وحده، ولهذا السبب لم تجار الوزارة الملك أو أنصاره فيما يتعلق بالتحمس للجرى وراء وهم يسمى خطر السوفيت. وحذر رندل من نجاح الملك عبد العزيز فى جرنا إلى إعطاء القضية مزيدا من الاهتمام أكثرمما نفضل نحن أو تستحق هى، لأن ذلك سيكون ثمنا غاليا.

وبالرغم من أن لندن لم تتخذ أى قرار فيما يتعلق بالسوفيت والحجاز، عدا ذلك الوعد الباهت بعقد معاهدة تجارية مع الملك عبد العزيز، إلا أن وكيل وزارة الخارجية جلدوين جب Gladwyn Jebb - الذى لاحظ أن المسألة تفرض نفسها فى لندن، بصرف النظر عن تفاوت وجهات النظر حولها - أعد مذكرة فى ٢٣ مايو[٢٦]، أشار فيها إلى المحاولات العديدة التى سعى خلالها الملك للفت نظر بريطانيا إلى موضوع السوفيت فى شبه الجزيرة العربية، وبذلك فتحت باب الحوار من جديد حول الموضوع.

وفى هذه الظروف من الحماسة المتجددة لإثارة الموضوع، اقترحت وزارة المستعمرات أن تقدم وزارة الخارجية المعلومات اللازمة والكافية للملك عبد العزيز حول مروجى الدعاية السوفيتية، حتى يتمكن من تحييد أدوارهم، أو منعهم من دخول الحجاز[٢٧]. ووجدت وزارة الخارجية، التى كانت عزوفاً فى الماضى القريب عن تقديم أى نوع من المساعدة للملك، أن اقتراح وزارة المستعمرات مايزال غير كاف. وراح جب يدعو إلى ضرورة تقديم المال

للملك، لأن أى محاولة فى هذا المجال بدون المال سوف تكون عديمة الجدوى. حتى تلك المعاهدة التى طلبها الملك، ليست هى المطلب الحقيقى الذى كان يسعى إليه. وبعد كل هذه الحماسة يرى جب أن قضية المعونة المالية ماتزال غير ممكنة.(٢٨)

إنضم جب إلى باقى أعضاء وزارة الخارجية الذى يرون أن الملك عبد العزيز كان يحاول «إبتزاز» الحكومة البريطانية. وراح يفتش عما إذا كان الملك «يخدعنا». وكيف يمكن «أن نرى خداعه لنا ونبقى على موقفنا كما هو». كان جب فى حيرة شديدة حول أمرين: الأول: إمكانية عقد «معاهدة تجارية بريئة تماماً» مع الملك عبد العزيز تربطه بريطانيا، والثانى أن يترك الملك وشأنه للسوفيت. وفى حالة تركه للسوفيت، يطرح جب عدة تساؤلات: يبحث أولها عما إذا كانت هناك فرصة حقيقية أمام السوفيت فى الحجاز ليبيعوا بضائعهم. ويبحث ثانيهما عما إذا كان فى الإمكان عملياً عقد معاهدة تجارية بينهم وبين الملك، على غرار معاهدتهم مع اليمن. ويبحث ثالثهما عما إذا كان من الممكن للملك أن يطلق الدعاة والوكلاء السوفيت ليمارسوا نشاطهم فى جدة ومكة، ويعملوا على «توحيد الشرق» باعتباره هدفا استراتيجيا.

لقد أفلح جب فى إثارة كل هذه الاستفسارات، ولم يستطع أن يصل إلى إجابة بشأنها. ولكن استفساراته أضفت مزيدا من الغموض على الموقف، وعلى إمكانية صناعة قرار واضح ومحدد فى الوقت المناسب. وخرج جب بعد ذلك كله بخلاصة مؤداها أن الخيار صعب بين استسلام بريطانيا للملك عبد العزيز أو تركه هو يستسلم للروس.(٢٩)

ولايبدو أن جب توقف طويلا أمام هذا الخيار المحير، فراح يلتمس الأعذار للملك عبد العزيز، ويراجع موقف بريطانيا منه، واستبعد أن يكون تعسفيا فى

قراره، واعترف بأن العلاقات البريطانية - السعودية مبنية على أسس طيبة، وأن الملك كان حريصا على استمرارها بهذا الشكل، حتى فى المسائل الشائكة، والمتصلة بعلاقاته بالهاشميين فى مناطق الانتداب البريطانى، وأنه تعاون مع بريطانيا فى القضاء على حركة الاخوان(٣٠)، ووظف طيارين بريطانيين لتنظيم قواته الجوية، وتجشم عناء التصادم مع العناصر القومية والإسلامية فى الهند إرضاء لبريطانيا.(٣١)

وفى مقابل ماقدمه الملك عبد العزيز لبريطانيا، ماذا قدمت بريطانيا له؟ يعترف جب «أننا قد أعطيناه قدر مانستطيع من المساعدة والدعم المعنوى، فاعترفنا به حاكما، واعترفنا بادعاءاته فى عسير (ضد اليمن)، ومازلنا على استعداد لمعاونته فى مقاومة العناصر المتمردة عليه فى الكويت (حركة الاخوان) وهكذا فكلانا تبنى مواقف مبنية على الصداقة، وأى خروج عليها سينعكس على الطرفين معا، وأكثر من هذا، فإن أى تعاون بين ابن سعود والسوفيت سيكون خروجا على سياسته الأصلية التى ينتهجها».

لقد طرح جب الموقف على النحو السابق وهو يعرف جيدا أن الملك عبد العزيز سيكون المستفيد الأول لو دخل السوفيت الحجاز، مع أن ذلك سيكون ضد مصالح تجار جدة، المرتبطين فى تجارتهم مع الهند البريطانية، هذا إذا نظرنا إلى المسألة من زاوية إقتصادية محضة.

أما المستفيد الثانى فهم السوفيت أنفسهم، لأن ذلك ينسجم واستراتيجية عملهم فى الشرق، فضلاً عن أنهم سيكسبون أهمية خاصة فى حال عقدهم معاهدة تجارة وصداقة مع الحجاز. وسوف ترفع مثل هذه المعاهدة من مركز الملك عبد العزيز فى نظر العناصر الشرقية المعادية لبريطانيا وعندئذ يقول جب: «تصير شبه الجزيرة العربية أكثر استقلالا، ويخبو النفوذ البريطانى فى

الشرق الأوسط، وعلى حسابه ينمو النفوذ السوفيتى».

وأخطر من ذلك كله على مستقبل الحضور السياسى البريطانى فى المنطقة، أن العملاء السوفيت يمكن أن ينشطوا فى الحجاز، ومنه إلى مناطق أخرى فى العالم الإسلامى، وبالطبع سيتوقف نشاط الملك عبد العزيز عن مراقبة هذه العناصر، وهو دور كان ولايزال يمارسه دون أن يتلقى مقابلا من بريطانيا، ومع أنه ليس من الوجاهة التسليم بالافتراض القائل بأن الملك سيتسمح للسوفيت بممارسة نشاطهم بحرية فى الحجاز، إلا أنه قد يجد نفسه فى موقف ضعيف يضطر فيه إلى ذلك.

هذا التحليل الأخير للموقفين البريطانى والسعودى تجاه البلاشفة، دفع جب إلى تقديم النصح لوزارته بإعادة النظر فى مطالب الملك عبد العزيز، ومنحه أكثر من مجرد معاهدة تجارية، وأكثر من مجرد التعاطف المعنوى معه، وحذر من المواقف السلبية. وفى هذا السبيل أوصى جب بتقديم الأسلحة اللازمة للملك عبد العزيز، حتى يتمكن من تقوية مركزه فى الداخل. وأبدى معارضة لأى محاولة للضغط عليه برفض تقديم الأسلحة، إلا أن تكون مقابلا لبعض الضمانات كتبنى موقف معاد للبلاشفة فى الحجاز، لأن ذلك سوف يبين له «أننا قد خذلناه ساعة حاجته إلينا». واعتبر جب الديون المستحقة على الملك لحكومة الهند، والتى تبلغ حوالى ٣٤,٠٠٠ جنيه استرلينى، ديونا مبالغا فيها كثمن لأسلحة مستعملة، فكيف يستوى الأمر والقصد مساعدة الملك فى محنته؟ (٣٣)

ويظهر جب مزيدا من التعاطف مع الملك عبد العزيز، من منطلق حرصه على مصالح بلاده أولا، حين يشير إلى «أن هناك ورقة رابحة يجب أن نلعبها الآن، فحتى الآن لايبدو أن ابن سعود قد أظهر تأثراً بأسعار الاسلحة المرتفعة،

وهو فى الغالب لن يرفضها. وحتى إذا رفضها، فيجب علينا أن نعفيه من ثمن هذه الأسلحة، على أن يتحمل فقط تكلفة نقلها إليه. ونظراً لأن هذه المسألة تتعلق بالامبراطورية (البريطانية)، فيجب على الحكومة البريطانية أن تدفع نصف التكلفة لحكومة الهند، بتزويدها بأسلحة بديلة من مخازنها فى فلسطين أو فى غيرها، وبهذه الطريقة فلن تتأثر ميزانية الامبراطورية أو حكومة الهند» .(٣٤) ومهما يكن من أمر، فقد كانت المساعدة المقترحة مساعدة مشروطة، وهى حالة بين السلبية المطلقة والإيجابية المطلقة.

كان هذا الموقف - على كل حال - لمسة تطور إيجابية فى موقف وزارة الخارجية البريطانية، تجاه الملك عبد العزيز. وذهبت وزارة الهند معها نفس المذهب حين وافقتها، فى أغسطس ١٩٢٩، على اقتراحاتها المبدئية، مع إظهار بعض التحفظ على مسألة الإعانة المالية. ولكنها سعت - فى نفس الوقت - إلى إيجاد مخرج عملى بديل عن تقديم المال للملك. كأن تتخذ الحكومة البريطانية خطوات جادة لتخليص الملك من المآزق السياسية، وأن تساعده على تدعيم مركزه فى الداخل، وأن تحافظ باستمرار على علاقات طيبة معه(٣٥).

وفى البرلمان البريطانى أثيرت مسألة المساعدات المالية للملك عبد العزيز، وكان الحديث قد كثر حولها مع إجماع على رفض مواصلة دفعها، وتبين من المناقشة أن الملك عبد العزيز لم يتلق أية مساعدات مالية من بريطانيا قبل عام ١٩١٧، ولابعد عام ١٩٢٤ أى قبيل دخوله الحجاز مباشرة. وأن إجمالى المساعدات التى تلقاها فى الفترة مابين عامى ١٩١٧ و ١٩٢٤ تبلغ حوالى ٥٤٢ ألف جنيه استرلينى. وأن هذه المبالغ قدمت له لمساعدته على الوقوف ضد تركيا. أما أية مبالغ أخرى دفعتها بريطانيا للملك بعد استيلائه على الحجاز، فقد كان الهدف منها مساعدته على تأمين طرق الحج وسلامة الحجيج، الذين كان معظمهم من الحجاج البريطانيين.(٣٦)

ولقد شهدت الفترة ما بين مايو وأغسطس ١٩٢٩ مراجعة شاملة لتاريخ العلاقات البريطانية - السعودية، ومناقشات برلمانية حولها، وموقع السوفيت من هذه العلاقات. ولاشك فى أن القاهرة، وخاصة لورد لويد، كان لها شأن كبير فى التأثير على شكل الحوار. فى ٢٨ مايو حذر لورد لويد وزارة الخارجية من نشاط الأمير شكيب أرسلان، الذى كان يتردد على الحجاز، ويتقرب إلى الملك عبد العزيز، ويقدم له الهدايا، وهو معروف بأنه من أنصار السوفيت.(٣٧)

هذه النغمة التى طالما رددها لورد لويد، والمبنية على أساس معاداة أى نشاط سوفيتى فى الشرق، مهما قل حجمه أو تأثيره، كانت فى الواقع دعما غير مباشر لموقف الملك عبد العزيز. ففى ٥ يونيه، وبعد أسبوع واحد فقط من رسالته السابقة، أكد لويد رأيه الخاص فى أسلوب معاونة الملك حين أبرق إلى لندن تحذيرات جديدة من الخطر البلشفى فى مصر واليمن وفلسطين. وأكد على أن النشاط السوفيتى واضح فى فلسطين، وأن الخطر يصير محدقا بالمصالح البريطانية إذا ترك السوفيت وشأنهم فى الحجاز. وللحيلولة دون ذلك، اقترح لويد ضرورة أن تسعى الحكومة البريطانية لتأمين موقف الملك عبد العزيز المعادى للسوفيت.(٣٨)

وفى نفس الوقت تقريبا، كتب الوكيل والقنصل البريطانى فى جدة إلى وزارة الخارجية يؤكد على أفكار لورد لويد، ويضيف أن كريم حكيموف مر بجدة، خلال شهر يونيه، فى طريقه إلى اليمن، ليعمل ممثلا تجاريا لبلاده هناك(٣٩). ويعتبر مرور حكيموف بجدة، واختياره بالذات ليشغل هذا المنصب فى اليمن، ذا دلالة سياسية ودعائية، واعلانا بالتحدى للساسة البريطانيين، الذين أنهكوا أنفسهم فى كتابة التقارير، وأرهقوا أذهانهم فى مناقشتها، دون أن يفعلوا شيئا. هذا بالاضافة إلى تقارير أخرى سرية وصلت إلى لندن عن نشاط عناصر إسلامية موالية للسوفيت، تتلقى تدريبات فى موسكو، وتسعى لنشر

أفكارها بين القبائل فى شبة الجزيرة العربية. ومع أن هذا أمر مشكوك فى صحته تماما، إلا أنه يبين حالة القلق والتوتر التى يمكن استكشافها من خلال تلك التقارير.

ويبدو أن لويد كان مصابا بحالة القلق هذه، فنجده يبحث فى أعقاب برقيته السابقة إلى لندن برسالة تفصيلية عن التطور الذى لمسه على النشاط السوفيتى فى البحر الأحمر منذ توقيع المعاهدة التجارية بين السوفيت واليمن.[40] ويقول أن حركة الملاحة بين ميناء أوديسا على البحر الأسود وموانى البحر الأحمر، مرورا بقناة السويس، يمكن أن توصف بأنها «حيوية». وقد وصلت لندن مجموعة من التقارير السرية ينسب بعضها إلى المخابرات السياسية البريطانية فى عدن، وتؤكد على ذات المعنى.

ويضيف لويد أن التقارير الحديثة للبوليس المصرى، والمستخرجة من محادثات جرت مع الضباط والبحارة السوفيت، الذين ترقد سفنهم فى المياة المصرية، تشير إلى زيادة واضحة فى عدد السفن السوفيتية، التى تتحرك بين أوديسا والخليج العربى، مروراً بالسواحل الغربية لشبه الجزيرة العربية. ولم يكن الأمر كذلك قبل الثورة البلشفية، فلم يكن عدد السفن يزيد عن أربعة سفن فقط فى العام. ومن اليسير قبول القول بأن النشاط التجارى للاتحاد السوفيتى صار أضخم مما كان عليه أيام روسيا القيصرية. ويحاول لورد لويد الربط بين الاضطرابات الجارية فى ذلك الوقت بين عمال شركة البترول الأنجلو – فارسية فى عبادان وبين مرور تلك السفن السوفيتية بموانى الخليج العربى. ويقول إنها «تقدم دليلا على الخطر الذى يمكن أن يلحقه الروس بهذه الموانى التى يمرون بها»[41].

أما ما يجرى فى فلسطين فقد أزعج لويد كثيراً، ذلك أن فلسطين – كما

يعلم البريطانيون من مصادر أخرى – قد صارت قاعدة متقدمة للسوفيت، الذين «يمكنهم القفز منها إلى شبه الجزيرة العربية ومصر». ذلك أن المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفيتى ومن أوروبا الشرقية يمكنهم أن يلعبوا هذا الدور الخطير انطلاقاً من فلسطين. وأخطر لويد حكومته أن وزارة الداخلية المصرية نشطة فى متابعتها لهذا الموضوع. وفى فلسطين ذاتها، أضاف لويد أن اتخاذ موقف حاسم «ضد ما أصبح الآن مركزاً خطيراً لنشر العدوى البلشفية» صار أمراً صعبا[٤٢].

وقد سجل وكيل وزارة الخارجية فى مصر (وجيه باشا) ملحوظة هامة على دخول العناصر البولندية إلى مصر، أثناء مناقشة دارت بينه وبين السكرتير الشرقى، تتعلق بالإجراءات التى وضعها قسم الأمن العام Public Security Department على دخول الأجانب. فقد اعتبر وجيه باشا، أن القيود المفروضة على البولندين أكثر مما مطلوب، وأعتبر أن الموقف الذى اتخذ ضد بولندا «يبدو سخيفاً بالنظر إلى التساهل الواضح فى فلسطين فيما يتعلق بهذا الموضوع، مع أن كل الشيوعيين الذين أحدثوا اضطراباً فى مصر جاءوا أصلاً من فلسطين». لقد حاول لورد لويد إدانة التسيب فى فلسطين تجاه النشاط البلشفى، ودافع عن بولندا باعتبارها كانت تقف وقتئذ ضد الشيوعية، كما يمكن اعتبارها من الحكومات التى تتعاون مع مصر فى هذا المجال[٤٣].

وفيما يتعلق بالعالم الاسلامى، يعتقد لويد أن هناك عوامل دفاع ذاتية قائمة بالضرورة تتصدى للمد الشيوعى، بعض هذه العوامل حكومى، والبعض الآخر دينى، وبعضها اجتماعى يتعلق بالعادات والتقاليد. ففى معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية التى يخشى البريطانيون عليها من السوفيت، توجد عناصر كابحة لأى مد شيوعى. ولكن البريطانيين يجب أن يحسبوا ألف حساب لميول بعض الحكومات القائمة فى شبه الجزيرة العربية والذين يحاولون استخدام البلاشفة فى تحقيق الأهداف القومية، وفى حل المشاكل المحلية، دون السماح للفكر

البلشفى بالانتشار. ومن الخطر - فى نظر لورد لويد على الأقل - ترك هذه الحكومات تتصرف على هذا النحو، «لأن الفكر البلشفى يمكن أن يتسرب إلى رعاياها، وخاصة العناصر القبلية، فيفسدها وتخرج عن هويتها». وسوف تضار المصالح البريطانية فى كل الأحوال، لأن الحكومات، حتى لو نجحت فى ضبط الفكر الشيوعى وحجبه عن التسرب إلى المجتمعات القبلية، يبقى أن نواياها القومية ستنمو وتتضخم نتيجة للوفاق بينها وبين الأفكار البلشفية، وهذه النوايا القومية، كالخطر الشيوعى تماماً مدمرة للمصالح البريطانية[٤٤].

ويخلص لويد إلى القول بأن التحذيرات التى أطلقها كافية للتنبيه إلى الخطر. ويدعو حكومته إلى التعاون مع «أقوى حكام شبه الجزيرة العربية» الذى يعرض التعاون لصد الهجمة السوفيتية». ويضيف لويد فى ختام رسالته إلى وزارة الخارجية البريطانية، التى ستصنع القرار النهائى فى هذا الموضوع المعقد «إننا لا بد أن نتردد قبل أن نرفض مثل هذا العرض، أن يكون هناك شىء من التضحية من جانبنا من أجل التحالف مع هذا الحاكم القوى. إننى أعلم بأن هناك اعتراضات كثيرة لتجديد العون المالى لابن سعود، وأننى لست واثقاً مما إذا كانت هذه الاعتراضات تستحق أن نضحى بها من أجل التحالف مع حاكم قوى. إننى واثق أن المشكلة سوف تدرس برمتها جيداً للبحث عن وسائل جديدة لصد الغزو البلشفى، ليس فقط من خلال ابن سعود، ولكن كذلك من خلال إمام اليمن»[٤٥].

٣- شكيب أرسلان وقضية الدعاية السوفيتية:

فى هذه الظروف، التى كانت فيها جميع الأطراف البريطانية مشدودة وتحاول أن تحسم أمرها تجاه الخطر السوفيتى، جاء موضوع شكيب أرسلان، الذى أشرنا إليه من قبل بطريقة عابرة، ليؤكد على مخاوف العناصر البريطانية

المؤرقة من الدعاية السوفيتية فى الشرق. وفى ٢٨ مايو بعثت القاهرة برسالة إلى جدة تستفسر فيها عن نشاط شكيب أرسلان، وعن حقيقة علاقته بالملك عبد العزيز. وأرفقت بالرسالة ملخصاً سرياً عن حياته ورد فيه أن :(٤٦)

«الأمير شكيب أرسلان من الدروز،بدأ حياته العملية مناصراً للأتراك (العثمانيين)، ومؤيداً لحركة الجامعة الإسلامية، ومناهضاً للحركة العربية، وبعد الحرب العالمية الأولى عادى الفرنسيين وساند السوريين. وحديثاً زار موسكو. وفى الغالب يعمل بإرشاد من السوفيت. ومن وقت قليل مر بمصر وهو يحمل هدايا لابن سعود، وفى أحاديثه مع أشخاص كثيرين كشف عن ميوله للقادة السوفيت، وهناك أهداف أخرى كثيرة من وراء زيارته للحجاز، منها محاولة إقناع ابن سعود بعقد معاهدة مع السوفيت على نمط معاهدتهم مع اليمن. وهو ينوى تنظيم دعاية مناصرة للبلاشفة ومضادة لبريطانيا فى شبه الجزيرة العربية. وهناك من يرى أنه يسعى لإغراء ابن سعود كى يختاره وكيلا له فى برلين، حيث تنشط الدعاية المضادة لبريطانيا، وينظمها المتطرفون من العناصر الشرقية بالتعاون مع بعض العناصر الشيوعية... ويقال كذلك أن من بين أهدافه إقناع ابن سعود باختيار فؤاد سليم، وهو مصرى، ليكون وكيلا للحجاز فى فارس... وتخشى الجمعية السورية - الفلسطينية التى تعارض شكيب أرسلان من نجاحه فى إقناع ابن سعود باتخاذ خطوات مدمرة بالنسبة لسوريا».

وبعد شهر من رسالة القاهرة هذه إلى جدة، كتب بوند من جدة فى ٢٨ يونية يطلع القاهرة على صعوبة متابعة نشاط شكيب أرسلان، الذى كان يقيم فى مكة ضيفا على القائم بأعمال وزارة الخارجية (فؤاد حمزة). وكان أرسلان يسعى وقتئذ للحصول على تصريح من حكومة فلسطين لزيارة أقاربه هناك، وبالطبع رفض طلبه، ولايخلو الأمر من أن تكون ميوله نحو السوفيت وراء قرار الرفض ويؤكد بوند أن أرسلان يعاود المحاولة أملاً فى الاستجابة إلى طلبه وهو

قريب إلى ابن سعود، ويشجعه على تحسين علاقاته بسوريا. أما ابن سعود فيبدو أنه يدخر شكيب أرسلان ليكون ممثلا له فى أوربا.(٤٧)

وبعد إقامة دامت أربعة أشهر فى الحجاز، غادر شكيب أرسلان جدة إلى أوروبا مارا بمصر فى ١٣ سبتمبر ١٩٢٩. ويقول بوند فى رسالة إلى المندوب السامى بالقاهرة، إن شكيب أرسلان قوبل أثناء إقامته بالحجاز بكل الود والاحترام من الملك عبد العزيز، وابنه الأمير فيصل، ومسئولى الحكومة، وعلية القوم. ويضيف بوند أن أرسلان ألقى العديد من الكلمات والخطب بصورة علنية، نشرت مقتطفات منها فى أم القرى، وصفها بوند بأنها «أحاديث مخططة يتملق فيها جهود ابن سعود للنهوض بالشعب العربى إلى موقعه المناسب بين شعوب العالم».

وعلى وليمة أعدها فؤاد حمزة على شرفه، ألقى شكيب أرسلان كلمة قال فيها: «مثلما أن مكة هى الآن العاصمة الدينية لكل المسلمين، فإنه يأمل أن يراها فى المستقبل القريب العاصمة السياسية لكل المسلمين».(٤٨) وهذه العبارة توضح – بغير شك – اتجاهات أرسلان الإسلامية، التى كان يتمنى أن يرى فيها الأمة الإسلامية وقد استيقظت من نومها والتفت حول عاصمتها الدينية، مكونة الدولة الإسلامية الكبرى، التى تدور حول مكة إلى الأبد كعاصمة سياسة إلى جانب كونها عاصمة دينية، وهو مايمكن اعتباره دعوة إلى صحوة إسلامية تجدد بها الأمة ذاتها.

ولايفوت أرسلان بعد أن حدد أمنيته بشأن الدولة الإسلامية الكبرى، أن يشير إلى الملك عبد العزيز كزعيم مرشح لقيادة هذه الدولة، فيقول «إنه لمن الواضح أن العرب تحت زعامة قائد عربى عظيم قد استيقظت من نومها العميق الطويل لتفيق إلى الأخطار المحيطة بها».(٤٩) ولاشك أن هذه الاشارة الأخيرة

تحوى فى داخلها عند أرسلان إتجاهات عربية، ليس من اليسير إهمالها.

وبعد أن عظم أرسلان الحجاز وحكومته، وبخ المسلمين فى كلمة أخرى، ذكر بوند أنها «استمرت لمدة ساعتين». وجاءت حملة أرسلان هذه بسبب ما كان يراه بين المسلمين من إهمال وانصراف عن أوامر القرآن. ودعاهم فى النهاية، ولعل هذا هو الأهم فيما يتعلق ببريطانيا، إلى أن «يضحوا بكل شيء فى سبيل المحافظة على استقلال بلادهم وسلامتها» وذكرهم بأن مثل هذه التضحية هى التى مكنت الأمم الأوروبية من التفوق على المسلمين فى هذه المرحلة من المدنية الحديثة. وتحدث أرسلان عن العناصر العربية، التى مازال تعيش فى ظل السيطرة الغربية، «وتخشى أن تتخلص من الولاء لها خوفا من النتائج»، وقال إن هؤلاء العرب مثل الجنود، ماعليهم إلا إطاعة الأوامر، وهم بذلك يقدمون خدمات جليلة للأجانب، مع أنهم لو تصدوا للحاكم الأجنبى لكان أجدى وأهم وأكثر إدخارا للعناصر العربية، التى تموت فى سبيل تحقيق أهداف الحاكم الأجنبى بدلا من أن تموت فى سبيل التخلص منه. وتوجه أرسلان إلى مستمعيه، ودعاهم ألا يكونوا مثل هؤلاء ، وألا يتجنبوا الموت، وأن يتلاقوا معا.(٥٠)

ترى هل كان لزيارة شكيب أرسلان وخطبه وكلماته لجمع شمل المسلمين أثر إيجابى على موقف بريطانيا من دعوة الملك عبد العزيز لها بالتعاون معاً للحد من النشاط السوفيتى فى الشرق؟

ليس بين أيدينا – فى الواقع – دليل وثائقى يحسم الإجابة على مثل هذا السؤال. ولكن شواهد الأمور وتطوراتها فى المرحلة التالية مباشرة، تؤكد على أن الإجابة يمكن أن تكون بنعم.

فمن رسالة لورد لويد إلى وزير خارجيته هندرسون ، فى منتصف يونية

١٩٢٩، يتضح لنا كيف أن لويد حاول - من جانبه - استغلال إمكانية تطوير العلاقات المصرية - السعودية لكسب الملك عبد العزيز إلى جانب بريطانيا، واعتبار تحقيق اعتراف مصر به خدمة له، في مقابل وقوفه ضد محاولات السوفيت للتقرب منه.(٥١) خاصة وأن الملك سعى إلى كسب إعتراف مصر به عدة مرات، ولم يوفق في تحقيق مأربه. وكانت الجهود المكثفة المبذولة في هذا الاتجاه قد بدأت منذ عام ١٩٢٨، فقد لعب حافظ وهبة، باعتباره مصريا، دورا غير موفق في هذا السبيل، وكذلك سعى حمد الباسل باشا، وكامل الخشم بك، إلى جانب جهود عبد الرحمن عزام وفيلبي في هذا المجال.(٥٢)

وقد سعى لويد هذه المرة إلى وضع الصورة بكل وضوح أمام لندن حين قال: «لقد حان الوقت كي نضغط على الحكومة المصرية لتعترف بابن سعود، فقد تسبب تأخير الاعتراف به، خلال السنوات الثلاث الماضية، في كثير من المشاكل لجميع الأطراف المعنية». كان الملك عبد العزيز متضايقا من موقف الملك فؤاد تجاهه، وانعكس ذلك بوضوح على القنصل المصرى بجدة، الذى لم يستطع ممارسة صلاحياته كاملة، كما يمارسها القناصل رسميا، وفي المقابل أهملت الحكومة المصرية فوزان السابق ممثل الملك عبد العزيز في القاهرة.(٥٣)

وقد سعى لورد لويد من جانبه لتحسين العلاقات المصرية السعودية، وكتب إلى هندرسون يقول: «تحدثت إلى عديد من رؤساء الوزراء والوزراء المصريين السابقين حول هذا الموضوع ووجدت لديهم الاستعداد. وبالرغم من الأثر السيء الذى تركته حادثة المحمل على المسئولين المصريين، إلا أن الحكومة المصرية ومعظم المسئولين المصريين كانوا يشجعون فكرة الاعتراف بابن سعود، ويريدون وضع حد لهذا الوضع الشاذ بين دولتين إسلاميتين متجاورتين».(٥٤)

وبالنسبة لموقف الملك فؤاد، يقول لويد «لقد تحدثت معه حول هذا الموضوع، ولكنه قرر عدم الاعتراف بابن سعود، وبنى موقفه هذا على حادثة المحمل، وعلى معارضته للاتجاهات الوهابية، وهو يعارض أن تكون الأراضى المقدسة فى أيدى أناس لايعترف (المسلمون) باتجاهاتهم الدينية». ويرى لويد أن طموحات الملك فؤاد نحو الخلافة الإسلامية، ورغبته فى أن يلعب دورا مؤثرا فى شبه الجزيرة العربية لهما تأثير واضح على رفضه الاعتراف بالملك عبد العزيز ملكا على الحجاز. وبينما يتبنى الملك فؤاد هذه الاتجاهات السلبية بالنسبة للملك عبد العزيز، يطور فى الوقت نفسه علاقاته مع إمام اليمن بشكل لافت للانتباه، ولعل ذلك قصد به إحكام الخناق حول الملك عبد العزيز الذى كان على خلاف مع إمام اليمن بشأن الحدود.(٥٥)

ونظرا للخلاف فى وجهات النظر بين الحكومة المصرية والملك فؤاد، وعجز الحكومة عن الضغط على الملك، لإنهاء حالة التردى فى العلاقات المصرية - السعودية، رأى لورد لويد ضرورة أن تتدخل الحكومة البريطانية لدى الملك فؤاد لإقناعه بالعدول عن موقف الرفض. ولاينكر لويد أن هذا التدخل البريطانى قد تكون له حساسية خاصة، لأن الأمر يتعلق بالمسلمين وحدهم، إلا أن ذلك يهون فى نظره أمام السعى لاستغلال كل الفرص المتاحة لاستخدام الملك عبد العزيز استخداما جيدا فى مقاومة النشاط السوفيتى. وفى نفس الوقت يحذر لويد من ترك الملك عبد العزيز دون إظهار ترجمة حقيقية وعملية لكلمات الود التى تظهرها له الحكومة البريطانية بين الحين والحين، لأنه «يريد منا أكثر من مجرد عبارات الود، ومن غير المرغوب فيه أن يترك هكذا، لأنه قد يتوجه نحو البلاشفة، والسوفيت يلعبون الآن دورا واضحا فى شبه الجزيرة العربية، وزيارة شكيب أرسلان الأخيرة تؤكد هذا الاتجاه».(٥٦)

ويلقى لورد لويد بآخر مافى جعبته حين يبين لحكومته أنه ليس وحده

الذى يتبنى هذا الاتجاه بل «إن المندوب السامى فى العراق سيساند وجهة نظرة هذه». وإذا أدرك الملك عبد العزيز «مدى الفائدة من ورائنا فسيبقى على علاقات طيبة معنا». هذا فضلا عن أن «اعتراف مصر به سيعطيه ثقة متزايدة بنفسه، وإذا تم هذا الاعتراف من خلالنا فستكون ميزة لنا، لأننا سنتزيد من قوة نفوذنا عليه».[٥٧]

هكذا أثارت تحركات شكيب أرسلان وعلاقته بالملك عبد العزيز موضوع النشاط السوفيتى من جديد، وأثار هذا بدوره مسألة تحسين العلاقات المصرية – السعودية، ولايعنينا هنا الآن متابعة هذا الموضوع الأخير، بقدر ما يعنينا أنه كان إحدى وسائل بريطانيا فى مقاومة النشاط السوفيتى فى شبه الجزيرة العربية. ولاشك أن لورد لويد وضع مصالح بريطانيا أولا وقبل أى شيء آخر، حتى بدا وكأنه معنى بها قبل أى مسئول آخر، سواء أكان فى لندن أو فى المنطقة.

٤ – ماقبل النهاية:

يستطيع المراقب لتطور الأحداث فى الحجاز ونجد فى النصف الثانى من عام ١٩٢٩ أن يرصد بوضوح تدنى الأوضاع السياسية والاقتصادية والأمنية، وعلى سبيل المثال: كان على الملك أن يبقى على قوة عسكرية كبيرة فى الأحساء لمقاومة تمرد الاخوان، وكان ذلك من بين الأسباب التى أرهقت خزانة البلاد، حتى أن الضرائب كانت تجمع مقدما بقيمة أقل من قيمتها الأصلية، فيما لو دفعت فى مواعيدها الثابتة.[٥٨] وفى الشهر التالى أكد بوند على أن الأوضاع السيئة قد تعقدت، «وأن الحكومة لم يعد لديها أية أرصدة وأنها مدينة إلى حد كبير». [٥٩] وفى سبتمبر جرت محاولات غير موفقة لتدبير سلفة من التجار الحجازيين.[٦٠]

تلك المواقف الحادة لم تكن غائبة عن المسئولين البريطانيين، الذين كان يعنيهم – إلى حد كبير – تحقيق الاستقرار والأمن فى الأراضى المجاورة لمناطق

الانتداب، وفى المناطق المقدسة، ضمانا لسلامة الحجاج البريطانيين ومع ذلك فقد بدت مسألة تزويد الملك بالمال أمرا غير قابل للمناقشة، وأن عليه وحده أن يدبر شئونه، وأن على بريطانيا أن تغسل كلتا يديها من هذا الموضوع.

وبينما يظهر عزوف بريطانيا واضحا وصريحا إلى هذا الحد، تصل بعثة طبية سوفيتية إلى جدة فى مطلع عام ١٩٣٠، وتلحق بالوفد السوفيتي إلى الحجاز، وتقوم بمعالجة الأمراض المحلية بين السكان دون مقابل(٦١)، وتساهم فى تدعيم مركز السوفيت هناك، وفى هذه الظروف يسعى السوفيت لتطوير تمثيلهم الدبلوماسى فى الحجاز، فيقدم الممثل الدبلوماسى السوفيتى ناصر توراكولوف فى ٢٦ فبراير ١٩٣٠ أوراق اعتماده إلى حكومة الحجاز باعتباره وزيرا مفوضا ومندوبا فوق العادة. ومنذئذ صار ناصر توراكولوف عميد الدبلوماسيين فى جدة.(٦٢)

أما الخطوة التالية فى اتجاه تطوير العلاقات السوفيتية بالحجاز فتتمثل فى تنشيط حركة التجارة السوفيتية إليه. ففى أول ابريل عام ١٩٣٠ وصل إلى جدة مركب سوفيتى يدعى ميكويان Mikoyan محمل بالسكر. ولم يبد التجار الحجازيون أية معارضة لتفريغ الشحنة كما حدث فى مناسبة سابقة فى نوفمبر ١٩٢٧. ويفسر الوكيل البريطانى بجدة هذا الموقف بأن الشحنة جاءت لحساب أحد التجار الحجازيين، وليس لحساب الوكالة التجارية السوفيتية، ولكن هذا التفسير البريطانى لم يكن فى صالح التجارة البريطانية القادمة من الهند، بل هو اعتراف بأن التجار الحجازيين صاروا يعرفون طريقا أخرى للحصول على احتياجاتهم، وهذا يعنى أن الحجازيين أنفسهم خطوا خطوة جديدة، لم يسبق لهم أن قاموا بها فى التعامل مع السوفيت، ولعل هذه الخطوة تقدم مؤشرا جديدا لاتجاهات رياح التغيير فى المرحلة المقبلة، خاصة وأن حكومة الحجاز - نجد كانت معنية بالحصول على السلع بأرخص الأسعار فى ظل هيمنة الأزمة المالية الطاح

وكان ظهور علامات التطور السابقة فى العلاقات السوفيتية بالحجاز مصدر إزعاج للورد لويد بالقاهرة، وقد اعتدنا أن نسمع عن حماسته الدائمة للتصدى للسوفيت. ففى ٢٩ فبراير ١٩٣٠ كتب لويد إلى وزارة الخارجية بشأن أنباء نمت إلى علمه من الحكومة المصرية حول ليون الكونين Leon Elkonin التاجر السوفيتى الذى سبق أن أشرنا إليه على أنه شخص غير مرغوب فيه من بريطانيا.(٦٤) وتفيد أنباء الحكومة المصرية أن الكونين سيشغل إحدى وظائف القنصلية السوفيتية بجدة، وأن هذا الأمر ينظر إليه فى كل من القاهرة ولندن بشىء من القلق والشك، لأن الكونين سجن فى مصر، فى مرحلة سابقة، ولمدة ١٨ شهراء بسبب تورطه فى نشاط معاد للحكومة المصرية ثم أفرج عنه فى عام ١٩٢٧.(٦٥)

وتحرك بيرد من ناحيته فأبلغ وزير الخارجية السعودى بتاريخ الكونين ونشاطاته المعادية فى ١٩ مايو ١٩٣٠.(٦٦) ولكن وزير الخارجية السعودى، الذى سبق لحكومته الاعتراض على أسلوب الحكومة البريطانية فى عرض موضوع الكونين، كان فاترا فى مواجهة الحماسة البريطانية تجاه الموضوع، وأخبر الوكيل البريطانى أن الحكومة السعودية تعتقد فى أن الوقت غير مناسب لاتخاذ أية اجراءات ضد الكونين، حتى يصل إلى جدة، ويتسلم أعماله، ويثبت ضده مايفيد بأنه استغل منصبه فى أعمال عدائية ضد الحجاز.(٦٧)

ويبدو أن عام ١٩٣٠ شهد حسما مبدئيا لاتجاهات العلاقات السعودية - السوفيتية. فلم تعد الأضواء تسلط على نشاطات فرعية كنشاط الكونين، وإنما على متابعة نشاط المسئول الأول فى المفوضية السوفيتية بالحجاز. وأجمعت التقارير على أن الوزير السوفيتى كان يحاول أن يعمل شيئا لخدمة مصالح بلاده. ولكن ذلك لم يزعج بريطانيا كثيرا، لأن تقارير أخرى أفادت بوضوح لايدعو إلى الشك أن جوهر سياسة الملك عبد العزيز تجاه السوفيت لم يتغير، وأن السوفيت لن يساندوا موقفه السياسى فى مواجهة اليمن بسبب ضم عسير إلى

ممتلكاته،[٦٨] وذلك للسبب الذى سبق أن أشرنا إليه وهو أن علاقاتهم باليمن تقوم على أسس قانونية، أما علاقاتهم به فليس لها أى أساس قانونى.

وإذا كان للسوفيت أن يتخذوا موقفا إيجابيا، فسيكون بالطبع مناصرا للإمام ضد الملك عبد العزيز. وإن حدث ذلك فستجد بريطانيا نفسها فى موقف لاتحسد عليه فى مواجهة مجموعة من الخيارات الصعبة: هل تترك شبه الجزيرة العربية للسوفيت تماماً كى يعيدوا ترتيب توازناتها من جديد، أم تترك الملك عبد العزيز لهم وتفقد صديقا قويا لها فى شبه الجزيرة العربية، وبالتالى تفقد الجزيرة العربية كلها. أما لو حدث وساند السوفيت الإمام فسيسعد البريطانيون مؤقتا، لأن ذلك سيقدم للملك عبد العزيز دليلاً أكيدا على أن السوفيت ليسوا أصدقاء، ولكن البريطانيين سيخسرون كثيرا على المستويين السياسى والإقتصادى، بل لعلهم يفقدون هيبتهم الدولية فى المنطقة.

ولكن اتجاهات السوفيت السياسية لاتبين اعتزامهم على فقدان موطىء قد نجحوا فى الحصول عليه على حساب بريطانيا، ولذلك فقد يكون من الغباء السياسى أن يتخذ السوفيت مواقف صارمة كما توقع الانجليز لهم أن يفعلوا. فقد تمتع الوزير السوفيتى فى جدة بحرية الحركة دون قيود فى الأراضى المقدسة بسبب كونه مسلما، واستطاع أن يتحدى المعوقات التى حاول البريطانيون وضعها فى طريقه إلى الملك عبد العزيز.

ولم يدع الوزير السوفيتى فرصة لإظهار حسن النوايا إلا واستثمرها. ففى الوقت الذى كان الحجاز يعانى فيه من آثار الأزمة المالية، عقد الوزير السوفيتى صفقة بنزين مع حكومة الحجاز، دون أن يتقاضى أية مبالغ، وكسب بذلك موقفا يمكن أن يضاف إلى رصيد العلاقات السعودية – السوفيتية الطيبة، فقد شهد صيف عام ١٩٣١ عنفوان الأزمة المالية فى الحجاز، وقصورا واضحاً فى المال اللازم لشراء المواد الضرورية كالبنزين، ورفضت مختلف الدول الأوربية، أو

شركاتها إمداد الملك عبد العزيز بالبنزين أو بالمال اللازم لشرائه.

وعندئذ أقبل الوزير السوفيتي وقدم لحكومة الحجاز صفقة بنزين بلغت قيمتها ٣٠,٠٠٠ جنيه استرليني. وقد حاول الوزير السوفيتي رفع الظر المفروض على السلع السوفيتية إلى الحجاز مقابل انجاز هذه الصفقة من البنزين، وهو موضوع عالجناه بالتفصيل في دراسة أخرى.(٦٩) وبالرغم من موقف حكومة الحجاز المعارضة لفرض هذا الشرط، إلا أن السوفيت لم يضيعوا الفرصة كلية، وعقدو الصفقة، على الأقل أن تكون خطوة تفتح الباب لصفقات أخرى وتدير حوارا كان مفقودا بين الطرفين.(٧٠)

ولعل صفقة البنزين هذه – مع أنها لم تكن نجاحا مشبعا لطموحات السوفيت وتطلعاتهم – هي أهم ماأنجزه ناصر توراكولوف قبل أن يغادر الحجاز في خريف عام ١٩٣١ في إجازة طويلة استغرقت ستة أشهر حيث خلفه في جدة هوارس سالكيند Horace Salkind قائما بالأعمال اعتباراً من شهر سبتمبر.(٧١)

أدى نجاح السوفيت في عقد صفقة البنزين إلى حالة من القلق الشديد بين البريطانيين في جدة. وتحدث القائم بالأعمال البريطاني، هوب – جيل في ذلك إلى القائم بالأعمال وزارة الخارجية السعودي (فؤاد حمزة)، يقول هوب – جيل إن فؤاد حمزة «ارتبك ولم يستطيع أن يقدم جوابا»، ولكنه عاد إلى أحداث عام ١٩٢٨، عندما طرح موضوع المعونة المالية، وفاضل بين التجارة البريطانية والتجارة السوفيتية.(٧٢)

وحين حاول كل من حمزة وهوب – جيل اقناع الآخر بوجهة نظره في هذا التطر الأخير، لم يلتقيا. فقد كان لكل منهما مصالحه وأهدافه، وحين راح هوب– جيل يقدم فرصة إمكانية عقد معاهدة تجارية كان رد حمزة: «أن الأمر أكبر من ذلك»، وراح يسرد مشاكل الملك عبد العزيز السياسية والمالية وحاجته

إلى دعم قوى، مبينا أنه ظل يقف وحده فى مواجهة السوفيت «إلى أن صار الأمر أكبر مما يطيق». وجاء رد هوب - جيل فجا وصريحا حين قال «إن هذا الموقف من جانب ابن سعود لم يكن من أجل بريق عيون الانجليز، وانما كان من أجل (إسكات) الإخوان النجديين و(إرضاء) التجار الحجازيين»(٧٤). ولم يعترض حمزة على هذا التعليق.

ويعتقد هوب - جيل أن الملك عبد العزيز لم يسلم للسوفيت فى أى أمر عدا فى موضوع البنزين نظرا للظروف الداخلية الضاغطة عليه، فضلا عن «تهديد السوفيت بسحب مفوضهم من جدة». ولكن هوب - جيل عاد وأكد على أن «شروط توريد البنزين السوفيت ممتازة». وأضاف أن «كلا الطرفين قد خدع الآخر ووعد بتقديم امتيازات له». ويقول هوب - جيل نقلا عن فؤاد حمزة «إن السوفيت قدموا امتيازا ولن يقدم السعوديون امتيازا مماثلا».(٧٥)

ويفهم من الملاحظات التى سجلها موظفو وزارة الخارجية فى ٢٢ مايو ١٩٣٠(٧٦) تعقيبا على رسالة بعث بها بوند إلى رندل فى ٤ مايو(٧٧) أنه ليس من المتوقع أن يناصر السوفيت اتجاهات الملك عبد العزيز التوسعية، طالما أنه أبقى على موقفه المعارض لسياستهم فى بلاده.

والخلاصة التى يمكن أن نخرج بها من هذا الفصل أن الأصداء التى أحدثها اتفاق السوفيت مع اليمن في بدايته، أثارت زوبعة بين المسئولين البريطانيين فى المنطقة وفى لندن على حد سواء. وأن القاهرة كان لها دور بارز فى هذه الزوبعة التى غذاها الملك عبد العزيز فى سبيل تحقيق مصالح بلاده ومع أن البريطانيين أبقوا على سياستهم الأصلية بعدم التدخل، نجد أن السوفيت قد نشوا من إمكانية تغيير موقف الملك عبد العزيز تجاههم.

وسوف تشهد الثلاثينيات عملية انحسار تدريجى للنشاط السوفيتى فى الحجاز.

حواشي الفصل الرابع:

1- Ibn Saud to Lord Lloyd, 26 Gamad Thani 1347 (January 1929); E 886/381/91, F.O. 371/13731.

2- *Ibid.*

٣- أنظر نص المعاهدة في:

- British and Foreign State Papers, Vol. 192, pp. 449-51.

4- *The Times*, 25 January 1929.

5- Jeddah Report, Feb. 1929, F.O. 371/13728.

٦- أنظر تفاصيل ذلك في: جمال محمود حجر، السعوديون والأزمة المالية ١٩٢٩ - ١٩٩٣ (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣).

7- Jeddah Report, Oct. 1928, F.O. 371/13010;

Jeddah Report, Feb. 1929, F.O. 371/13728.

8- Bird to Chamberlain, 9 Feb., 1929, *Documents on British Foreign Policy (D.B.F.P.)* Series IA, Vol. IX, No. 435.

9- *Ibid.*

10- *Ibid.*

11- R. H. Hoare to Chamberlain, 5 Feb. 1929, E 886/371/91, F.O. 371/13731;

D.B.F.P., 1919 - 1939, vol. VII, Series IA, Note I, p 735.

12- Hoare to Chamberlain, 5 Feb. 1929, *loc.cit.*

13- *Ibid.*

14-*Ibid.*

15- Llyod to Chamberlain, 22 March 1929, E 1668/381/91, F.O. 371/13731.

١٦- أنظر جمال محمود حجر، *السعوديون والأزمة المالية* ١٩٢٩ - ١٩٣٣.

١٧- أنظر: جمال محمود حجر، «الآثار السلبية للسياسة الغربية في شمال شبه الجزيرة العربية، قصر الأزرق وحدود نجد الجديدة». مجلة: *الدارة*، العدد الأول، السنة الحادية عشرة (١٩٨٥).

18- Lloyd to Chamberlain, 22 March 1929, *loc.cit.*

19- G.m.Hagar, Britain, Her Middle East Mandates and The Emergence of Saudi Arabia, 1926-1932. (Unpublished Ph. D thesis, University of Keele, England 1981) Chapter 4.

20- Chamberlain to Jakins, 17 April 1929, *D.B.F.P.,1919-19239,* vol. VII, No. 456,p. 760.

21- Minute by G. Randel, 6 May 1929, E 2222/381/91, F.O. 371/ 13731.

٢٢- أنظر حاشية رقم (١) أعلاه.

23- Minute by G.Randel, 6 May 1929, *loc.cit*

24-*Ibid.*

25-*Ibid.*

26- Memo. by Gladwyn Jebb (Under Secretary of State 1921-31,

F.O.) on "Bolshevink Influence in Arabia",23 May 1929, E 261/381/91, F.O. 371/13731.

٢٧- أنظر الوثائق التالية حول الموضوع:

- E831; E 886; E 1035; E 1668; E 2222/381/91, F.O. 371/13731.

28- Memo.by Gladwyn Jebb, 23 May 1929, *loc.cit.*

29- *Ibid.*

٣٠- أنظر تفاصيل التعاون البريطاني - السعودي في دراستنا غير المنشورة بعنوان:

-Britain, Her Middle East Mandates and The Emergence of Saudi Arabia 1926 - 1932. Chapter 5.

31- Memo.by Gladwyn Jebb, 23 May 1929, *loc.cit.*

32- *Ibid.*

٣٣- أنظر: جمال محمود، حجر، *السعوديون والأزمة المالية* ١٩٢٩ - ١٩٣٣.

34- Memo.by Gladwyn Jebb, 23 May 1929, *loc.cit.*

35- I.O. to F.O., 27 Aug. 1929, E 4262/381/91, F.O. 371/13732.

36- Answer to a question in the House of Commons, E 1336/1336/91, F.O. 371/13012.

٣٧- راجع نشاط شكيب أرسلان في الحجاز وعلاقته بالملك عبد العزيز على متن حاشية ٤٦ وما بعدها. حول نشاط شكيب أرسلان المعادي للغرب انظر:

- E 2935/381/91, F.O. 371/13731.

38- Lord Lloyd to F.O., 5 June 1929, E 1929, E 3061/381/91 F.O. 371/13731.

39- Jeddah Report, June 1929. F.O. 371/13728.

٤٠- حول هذا التطور انظر الوثائق التالية:

E 1245/543/91; E 1223/20/91; E 1668/381/91, F.O. 371/13731.

41-Lord Lloyd to F.O., 5 June 1929, *Loc.cit.*

42- *Ibid.*

43-*Ibid.*

44-*Ibid.*

45- *Ibid.*

46- Maurice Peterson (First Sec. Cairo) to Bond (Jeddah), 28, May 1929, E 2935/2935/91, F.O. 371/13740.

47-Bond to Cairo, 28 June 1929, E 3707/2935/91, F.O. 371/13740.

48- Bond to High Comm. (Cairo) 18 Sept. 1929, E 5146/2935/91, F.O. 371/13740.

49-*Ibid.*

50- *Ibid.*

51- Leoyd to Henderson, 15 June 1929, E 3214/2137/91, F.O. 371/13735.

52- Bird to Chamberlain, 16 June 1928, E 3497/2806/91, F.O. 371/13015.

53- Leoyd to Henderson, 15 June 1929, *loc.cit.*

54-*Ibid*

55-*Ibid.*

56-*Ibid.*

57-*Ibid.*

58- Jeddah Report, July. 1929, F.O. 371/13728.

59-Jeddah Report, Aug. 1929, F.O. 371/13728.

60-Jeddah Report, Sept. 1929, F.O. 371/13728.

61-Jeddah Report, Jan. 1930, F.O. 371/14460.

٦٢- حول موضوع تطور التمثيل الدبلوماسي السوفيتي في الحجاز أنظر:

-Bond to F.O., 2 Jan. 1930, E 29/29/91, F.O. 371/14455;

-Bond to F.O., 6 March. 1930, E 1540/29/91, F.O. 371/14455;

-Ryan to Henderson, 6 Jan. 1931, E 408/408/25, F.O. 371/15296;

-Amercan Charge d'Affair (Mscow) to The Secretary of State (Washington) extract form The *Izvestiya*, cited in: Ibrahim al Rashid, ***Documents on Saudi Arabia***. vol. 3,pp. 220-4;

-Jeddah Report, Feb. 1930, F.O. 371/14460.

63-Jeddah Report, April. 1930, F.O. 371/14460.

٦٤- أنظر حاشية ٤٦ في الفصل السابق:

65- Lord Lloyd to F.O., 29 Feb. 1930, E 1077/1077/91, F.O. 371/13012.

66- Bird to (Saudi) Minister for Foreign, Affairs, 19 May 1930, E 3247/1077/91, F.O. 371/13012.

67-Damluji to Bird, 25, May 1930, E 3247/1077/91, F.O. 371/ 13012.

68- F.O. Minutes, 22 May 1930, E 2576/95/91, F.O. 371/14461;

Bond to Rendel, 4 May 1930, E 2576/95/91,F.O. 371/14461.

٦٩- أنظر: جمال محمود حجر: السعوديون والأزمة المالية ١٩٢٩ - ١٩٣٣، الفصل الثاني.

70-Jeddah Report, May and June. 1931, F.O. 371/15289;

Jeddah Report, July and Aug. 1931, F.O. 371/15289.

71-Jeddah Report, Sept and Oct. 1931, F.O. 371/15289.

72- Hope-Gill to The Marquess of Reading, 9 Sept. 1931, E 9911/2064/25, F.O. 371/15299.

٧٣- أنظر الفصل الثالث.

74- Hope-Gill to The Marquess of Reading, 9 Sept. 1931, *loc.cit*

75- *Ibid*.

76- F.O. Minutes, 22 May 1930;

Bond to Rendel E 2576/95/91, F.O. 371/14461.

77- Bond to Rendel, 4 May 1930, E 2576/95/91, F.O. 371/14461.

الفصل الخامس

السعوديون والبريطانيون والدعاية السوفيتية

(مرحلة الانحسار)

١٩٣٢ - ١٩٣٨

١- انحسار الدعاية السوفيتية عن الحجاز.

٢- السعوديون والبحث عن أصدقاء جدد.

يسعى هذا الفصل الختامى لدراسة تراجع السوفيت عن مواصلة السياسة التى سبق أن انتهجوها فى الحجاز وصولاً إلى المشرق الإسلامى. ومن اللافت للنظر أن مرحلة التراجع هذه كانت طويلة، بالمقارنة بمراحل المد التى كانت سريعة، فقد امتدت من عام ١٩٣٢ إلى عام ١٩٣٨، وكان الانحسار فيها بطيئا وتدريجيا، كما يلفت النظر أن الانحسار السوفيتى عن الحجاز كان متزامنا مع تراجع بريطانيا هى الأخرى عن دعم وتأييد الملك عبد العزيز، وهكذا شهدت الفترة التى حددناها لهذا الفصل نهاية نفوذ القوتين المتنافستين فى الحجاز، لحساب قوة ثالثة، هى الولايات المتحدة الأمريكية.

ولاشك أن الملك عبد العزيز لم يكن مستريحا لذلك البرود الذى ظهر فجأة فى علاقات الدولتين الكبيرتين به، ورأى أن سياستهما الجديدة تجاه بلاده إنما هى إنعكاس لعلاقات جديدة نشأت بينهما نتيجة لتغير موازين القوى فى أوربا. ويبدو أن البريطانيين كانوا محكومين بروح المكابرة التى أظهروها تجاه الملك، كما أن السوفيت استنفدوا أساليبهم فى التقرب إليه، فتراجعوا مكتفين بالنجاح الذى حققوه فى اليمن فى هذه المرحلة.

١- إنحسار الدعاية السوفيتية عن الحجاز.

رأى الملك عبد العزيز أنه ليس من الحصافة السياسية ترك الأمور تسير سيرتها دون أن يكون له دور فى توجيهها. فقرر العمل على وقف هذا الانحسار، وإعادة تنشيط علاقاته بكل من بريطانيا والاتحاد السوفيتى، إلى جانب تقوية علاقاته ببعض الدول الأوربية الأخرى، عن طريق الاتصالات المباشرة، وإرسال وفد برئاسة الأمير فيصل بن عبد العزيز، نائب الملك فى الحجاز ووزير الخارجية، لزيارة لندن وعدد من العواصم الأوربية، منها موسكو فى الفترة من ٢٩ مايو إلى ٥ يونيه ١٩٣٢.(٩)

ويعنينا من أمر رحلة الأمير فيصل زيارته لموسكو، وهى الزيارة التى رحب بها السوفيت، واعتبروها إحدى علامات الصداقة التى تربط بين البلدين. وفى ٢٩ مايو ١٩٣٢ وصل الوفد السعودى إلى موسكو برئاسة الأمير فيصل وعضوية كل من فؤاد حمزة، مساعد وزير الخارجية، وخالد الأيوبى مساعد الأمير فيصل، وشقير عثمان سكرتير الوفد، واستقبل الوفد على الحدود البولندية رئيس القسم الشرقى فى إدارة الشئون الخارجية (باستوخوف) والوزير السوفيتى السابق فى الحجاز (كريم حكيموف).[٢]

وفى موسكو عبر السوفيت عن ترحيبهم بالأمير فيصل بتزيين محطة وصوله باللافتات المكتوبة بالعربية، ولعل موسكو كانت البلد الوحيد الذى استقبل البعثة استقبالا شعبيا، وعوملت زيارة الأمير فيصل بمعاملة ضيوف الدولة من الدرجة الثانية، وتأكيدا على سياسة حسن الاستقبال السوفيتية، استقبله الزعيم السوفيتى كالينين (رئيس اللجنة المركزية) فى نفس يوم وصوله، وفى المساء أعد نائب الشئون الخارجية حفل استقبال وعشاء على شرف الأمير فيصل، وشارك فى الاستقبال عدد من المسئولين السياسيين والعسكريين السوفيت، وأعضاء السلك الدبلوماسى، من بينهم السفير الايرانى.[٣]

وقال كالينين فى كلمة ترحيب بالضيف السعودى «... لقد اتسمت العلاقات بين بلدينا منذ سنوات بطابع ودى للغاية ... وإنى إذ أحييكم بارتياح كبير فى عاصمة الاتحاد السوفيتى فلأن فى شخصكم تتمثل حكومة الشعب العربى الذى استطاع... بفضل سياسة قادته ... أن يفوز باستقلاله التام ... الذى يشكل مقدمة ضرورية لتطور البلاد الاقتصادى والثقافى. إن حكومة وشعب الاتحاد السوفيتى يتتبعان باهتمام بالغ التطور الناجح لسياسة الحكومة التى تمثلونها، والرامية إلى الدفاع عن الكيان المستقل للشعب العربى، وإلى توطيد رفاهيته الاقتصادية والثقافية ولاشك فى أن قدومكم إلى الاتحاد السوفيتى سيخدم... هذه الصداقة».[٤]

وفى كلمة كالينين تأكيد على عدة معانى هامة، أولها أن العلاقات بين البلدين كانت ودية، وثانيها أنه يقدر حرص الملك عبد العزيز على استقلال بلاده التام، وهذه موجهة - فى الواقع - ضد بريطانيا، وثالثها أنه ربط بين استقلال المملكة العربية السعودية وتطويرها اقتصاديا وثقافيا، وفى هذا إشارة إلى أن الاستقلال لن يكتمل إلا بالتأكيد عليه، والابتعاد عن الغرب إقتصاديا وثقافيا، وهما مجالان رئيسيان يمكن أن يعمل من خلالهما الاتحاد السوفيتى على كسب الأصدقاء، أو على الأقل حرمانهم من التعامل مع الغرب.

وتصريح كالينين بأن بلاده تتابع باهتمام بالغ تطور السياسة السعودية، إنما يؤكد على أن الاتحاد السوفيتى كان مايزال حريصا على توطيد أواصر علاقاته بالمملكة العربية السعودية، ولكن ذلك كان يعتمد أساسا على مدى تجاوب الملك عبد العزيز من ناحية، وعلى مدى استعداده للتخلى عن بريطانيا من الناحية الأخرى، ولاشك فى أن هذا الأمر قد لفت انتباه الأمير فيصل، الذى التقط تصريح كالينين بمتابعة تطور السياسة السعودية، وعبر - فى كلمته - عن تقديره لهذا الاهتمام حين قال: «أرجو أن تولونا فى المستقبل إهتماما أكبر لما فيه خير بلدينا». وأكد الأمير على «أن هذه الزيارة ستسهم فى تعزيز علاقاتنا» .(٥)

وساهمت الصحف السوفيتية فى إبراز مظاهر الحفاوة وحسن الاستقبال. فنشرت صحيفة «إزفستيا» مقالا افتتاحيا فى ٢٩ مايو ١٩٣٢، أشارت فيه إلى تاريخ تطور المملكة العربية السعودية، والخديعة البريطانية للعرب، وتقسيم شبه الجزيرة العربية. وهكذا انتهزت الصحيفة كل فرصة ممكنة للإساءة إلى بريطانيا. ولكنها بينت - فى نفس الوقت - أن للثورة الروسية نفوذا فى شبه الجزيرة العربية. وذكرت الصحيفة قراءها بأن الاتحاد السوفيتى كان أول دولة تعترف بحكم الملك عبد العزيز فى الحجاز، وأضافت أن ظهور دولة قومية

كبرى مستقلة فى شبه الجزيرة العربية له أهمية عالمية، لأنها مركز للاتصالات الدولية بحكم موقعها الجغرافى. وحرصت الصحيفة على أن تقتطف بعض ماكتبته الصحف الأوربية حول المملكة العربية السعودية(٦)، لتبين حجم إهتمامها بها، وتقف على رؤية الغرب لها.

وحملت صحيفة سوفيتية أخرى على النشاط الاستعمارى الأوربى فى شبه الجزيرة العربية، وركزت على الآثار السلبية لذلك النشاط. ولم تغفل نشاط الأمريكيين واعتبرت أنه يسير نفس سيرة الدول الأوربية، وأشارت صراحة إلى نشاط كارل تويتشل. ونشرت صحيفة «موسكو ديلى نيوز» فى عددها الأسبوعى مقالا عن زيارة الوفد السعودى.(٧) وفيما عدا ماكتبته صحيفة «إزفستيا» فقد كانت تعليقات الصحف جميعا عامة وكذا كانت طبيعة معظم الكلمات والأحاديث،(٨) وليس من المنتظر أن تكون غير ذلك فى هذه المرحلة التى قد تمثل مراجعة حيوية ومؤثرة فى مستقبل العلاقات بين البلدين.

وقد اطلع الوفد السعودى على كثير من المجالات والنشاطات فى الاتحاد السوفيتى، فزار مركز الجيش الأحمر، ومعسكر أكتوبر، وأكاديمية الطيران العسكرى، ومصنع للسيارات. ثم زار لينجراد فى يومى ٣و٤ يونيه. ومن أوديسا رحل الوفد السعودى إلى استانبول.(٩)

ويلاحظ من يفتش فى وثائق الأرشيف البريطانى أن البريطانيين فى الحجاز كانوا يتابعون عن قرب نشاط الوزير السوفيتى، وخاصة بعد زيارة بعثة الأمير فيصل لموسكو. ومن اللافت للنظر أن الوزير السوفيتى بدأ يبتعد عن الاتصال بزميله البريطانى، الذى كان يبادله علاقات ودية ظاهرية، وأكثر من ذلك أن توراكولوف بدأ يرتدى الزى العربى، ويكرر زيارته فى أوقات غير منتظمة إلى مكة، مما أثار شكوك البريطانيين حوله، ونما إلى علمهم أنه كان يجرى

اتصالات ومفارضات حول قرض سوفيتى لحكومة الحجاز فى مقابل تسهيلات تجارية.[10]

ولكن المتتبع للتقارير البريطانية حول النشاط الخفى للسوفيت فى الحجاز يرى أن أخبار تحركات توراكولوف تكاد تكون غائبة عن الصورة، وإذا ورد ذكرها فإن ذلك يتميز بالغموض، وخاصة فى الفترة قيد البحث. وقد تبين فى أواخر عام ١٩٣٢ أن السوفيت حريصون أكثر من أى وقت مضى على استرداد قيمة البنزين الذى سبق أن زودوا به الحجاز فى عام ١٩٣١ [11]. لم تختفى بعد ذلك كل الأنباء المتعلقة بالعلاقات السعودية – السوفيتية من التقارير البريطانية الصادرة عن جدة.[12]

ويؤدى غياب إسهام الوثائق البريطانية فى تلك الفترة إلى غموض غير متعمد من جانبنا فى الصورة التى نحاول أن نرسمها لمرحلة الانحسار السوفيتى فى السياسة الخارجية تجاه المملكة العربية السعودية. كما أن زيارة الأمير فيصل، التى كانت آخر محاولة لانقاذ العلاقات السعودية – السوفيتية، قد مرت دون أن تترك آثارا عملية ملموسة على العلاقات بين البلدين، فالوزير السوفيتى فى جدة لم يبذل خلال تلك الفترة أو حتى بعدها أى نشاط دبلوماسى ملحوظ.

ومع أن السوفيت كانوا حريصين على تطوير نشاطهم التجارى مع الحجاز، لم يكن الحظر المفروض على تجارتهم قد رفع تماماً. وهكذا بدت العلاقات السوفيتية – السعودية تجربة فريدة فى نوعها لدى السوفيت، الذين كانوا فى هذه المرحلة معنيين بالمجالين الاقتصادى والثقافى قبل أى شيء آخر، ومالم يتحقق لهم ذلك فلا معنى لعلاقاتهم الدبلوماسية، اللهم إلا من حيث الشكل.

ولكن التقارير البريطانية عادت فألقت بعض الضوء الخافت، الذى كشف عن أن الوزير السوفيتى فى جدة توصل فى شهر فبراير ١٩٣٣ إلى إتفاق مع

الحكومة السعودية، يقضى برفع الحظر عن السلع السوفيتيه رفعا جزئيا. ويبدو أن السوفيت استخدموا الديون المستحقة لهم على الملك للضغط عليه وصولا إلى تحقيق هذه التسوية.

ومع أن تجارة السوفيت تعتمد أساسا على أصناف محددة مثل السكر والدقيق والبنزين والكبريت، إلا أن ذلك كان يؤثر تأثيرا واضحا على تجارة إستراليا والهند، وهو مالاتقبل به بريطانيا.(١٣) فليس من المقبول أن تترك مراكزها التجارية تحت وطأة الضغوط السوفيتية، الساعية لتدمير تلك المراكز والحلول محلها.

ولعل هذه كانت بمثابة تحذيرات للبريطانيين كى يبدوا أكثر مرونة. ولكنهم كانوا يعلمون جيدا حقيقتين هامتين: الأولى أن السوفيت أمدوا الملك عبد العزيز فى عام ١٩٣١ بما قيمته ثلاثمائة ألف جنيه من البنزين ولم يتقاضوا شيئا من ثمنها، والثانية أن الملك عبد العزيز ظل - بالرغم مما ذكرناه أعلاه - يستمع إلى نصح بريطانيا فى منع السلع السوفيتيه من دخول الحجاز، فى الوقت الذى لم تقدم فيه بريطانيا للملك أية مساعدة بديلة لما يقدمه السوفيت. فإذا وضعنا هاتين الحقيقتين فى الاعتبار لوجدنا تفسيرا مناسبا لسبب نجاح السوفيت فى رفع الحظر المفروض على سلعهم فى الحجاز رفعا جزئيا.(١٤)

ولاشك فى أن تسوية الديون السوفيتية المستحقة على الملك عبد العزيز قد تمت بأسلوب مريح للغاية، وبمقتضاها تتنازل حكومة الحجاز - كليا أو جزئيا - عن الضرائب المفروضة على الواردات من البضائع السوفيتية، على أن تخصم النسبة المتنازل عنها من الديون المستحقة للسوفيت. حتى تباع السلع السوفيتية فى الأسواق مباشرة وبأسعار مخفضة. ويبدو أن حكومة الحجاز استشارت التجار

حول الأسلوب المقترح للتعامل مع البضائع السوفيتية، ولكن الصورة التى رسمتها الوثائق البريطانية لموقف التجار الحجازيين من هذا الموضوع ليست واضحة. (١٥) ومن المؤكد أن هذه الخطوة السوفيتية، بقدر ماكانت تسعى إلى جذب التجار الحجازيين، إنما كانت تهدف فى نفس الوقت إلى إغراق الأسواق الحجازية بالسلع السوفيتية وطرد السلع البريطانية منها.

واضح من تقارير جدة لعام ١٩٣٣ أن الغموض كان مايزال يحيط بنشاط الوزير السوفيتى. ولم يجد سير أندرو ريان مايكتبه إلى لندن حول هذا الموضوع سوى عبارة أن «الوزير السوفيتى يسعى لوضع الترتيبات الاقتصادية (لبلاده فى الحجاز) على أسس ثابتة» (١٦)، وأنه بدأ من جديد يتردد على مكة بشكل ملحوظ. (١٧)

واعتباراً من منتصف عام ١٩٣٣ وعلى مدى العام التالى يمكن القول باطمئنان شديد أن العلاقات السياسية بين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفيتى كانت تبدو وكأنها غير قائمة، لعدم وجود تطور ملحوظ فى العلاقات الاقتصادية والتجارية التى جرى الحديث حولها من قبل بين البلدين. ولكن من المؤكد أن توراكولوف كان يتردد على مكة بشكل منتظم. ويحاول أن يكسب ود بعض الشخصيات السعودية المهمة مثل عبد الله السليمان، وزير المالية.

وخلال صيف وخريف عام ١٩٣٤ شغل توراكولوف نفسه بالتردد كثيرا على الطائف للقيام بأعمال الترجمة لمجموعة مهندسين سوفيت جاؤا إلى الحجاز لتركيب هاتف أوتوماتيكى قدمته الحكومة السوفيتية هدية للملك. وبالطبع فإن استخدام مثل هذا الهاتف له علاقة بالأمن الداخلى الذى كان يشغل بال الملك عبد العزيز نظرا لاتساع مملكته وترامى أطرافها.

ولاحظ ريان أن الملك عبد العزيز بدأ يسمح لبعض العناصر من غير

المسلمين بزيارة الطائف. وكانت إشارة ريان هذه المرة إلى زوجة نوراكولوف غير المسلمة، التي صاحبت زوجها في زيارته للطائف، وكانت ترتدي - على غير رغبة منها - الزي العربي وتزور حريم الملك بتوجيه من زوجها، الذي كان يسعى للتقرب أكثر وأكثر إلى الملك عبد العزيز، ويقلل ريان من أهمية هذا الأسلوب في المجال السياسي حين يقول «ليس لهذه الزيارات دلالة على مستوى العلاقات السعودية - السوفيتية». وقد يكون تعيين اثنين من الطيارين السوفيت للعمل في سلاح الجو السعودي أمراً بغير دلالة سياسية كذلك، خاصة وأنهما عملا من قبل في خدمة الملك حسين في الحجاز[20].

وفي مطلع عام ١٩٣٥ زار وكيل عام التجارة «السوفيتية، ويدعى جيرتك، البعثة السوفيتية بجدة، ولاشك في أن ذلك أسعد أعضاء البعثة، الذين لم يتجاوز عددهم الأربعة، هم الوزير، ونائب القنصل، وطبيبان، وكان هؤلاء الأربعة يعيشون معا بزوجاتهم في بيت واحد. ويؤكد ريان على هذا الواقع الاجتماعي للبعثة السوفيتية حين يقول «إن الزوجات كن يتبادلن الخدمة المنزلية بالتناوب»[21]. وعلينا أن نتصور طبيعة النشاط السياسي والاقتصادي والدعائي لبعثة هذا حجمها.

ولم تدم إقامة جيرتك في جدة طويلا، فقد رحل إلى استانبول، مقر عمله الأساسي، في ١٠ فبراير ١٩٣٥، ونفى جيرتك لدى مغادرته جدة أن تكون اهتماماته سياسية، كما نفى أن تكون إهتماماته التجارية شخصية. وبالرغم من ذلك فقد كان الجهد السوفيتي في مجمله ضعيفا.

وفي الجانب الآخر كانت هناك مؤشرات واضحة على أن المملكة العربية السعودية قد اتخذت خطوات لها دلالتها السلبية على العلاقات مع الاتحاد

السوفيتي، ذلك أنه في شهر فبراير ١٩٣٥ بدأت المملكة الترتيب لزيارة ودية يقوم بها الأمير سعود بن عبد العزيز، ولي العهد، لبعض العواصم الأوربية والعربية، لم تكن موسكو واحدة منها. وعلى خلاف ما جرى في زيارة الأمير فيصل السابقة الذكر في عام ١٩٣٢، اقتصرت زيارة الأمير سعود على إيطاليا وفرنسا وهولندا وبلجيكا وبريطانيا وفلسطين وتركيا وسوريا والعراق وشرق الأردن ومصر وذلك خلال الفترة من مايو إلى أغسطس ١٩٣٥[٢٣].

وفي عام ١٩٣٦ عاد كريم حكيموف ليشغل ذات المنصب الذي تركه من قبل، وزيرا لبلاده في جدة، ولكن عودته لم تسفر عن أي آثار إيجابية على العلاقات السعودية - السوفيتية. ولاحظ سير ريدر بولارد، الوزير البريطاني في جدة، أن حكيموف الذي لم يتردد في السابق في تحدي البريطانيين، «لا يبدي أي نشاط الآن»[٢٤]. ولعل تطور الأوضاع السياسية في أوربا هي التي خففت من مواصلة السوفيت لعداواتهم للبريطانيين مؤقتا، فقد كانت النازية والفاشية تعملان بنشاط ضد بريطانيا والاتحاد السوفيتي مما ساعد على التئام كثير من الجراح في العلاقات بين البلدين في هذه المرحلة الحرجة.

وأدى انشغال السوفيت عن الحجاز إلى انهيار واضح في تجارتهم، التي سعوا إلى تأسيس قواعد ثابتة لها في شبه الجزيرة العربية في العشرينيات، يقول بولارد «إن التجارة والمصالح السوفيتية في الحجاز قد خبت ولم يعد لها وجود». وفي حديث جرى بين بولارد وحكيموف في جدة مع نهاية عام ١٩٣٦، اعترف حكيموف بأن «الحكومة السوفيتية لم تكن لها مصالح مع المملكة العربية السعودية أو اليمن، ولحسن الحظ فإن أسواق هذين البلدين متغيرة لا تتناسب وحجم المصالح الضخمة والتجارة الواسعة للاتحاد السوفيتي. وهكذا شغل حكيموف نفسه في هذه الفترة بمحاولة استرداد مبلغ ثلاثين ألف جنيه

استرليني ثمن البنزين الذى اشترته حكومة الحجاز من الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٣٠ . وقد نجح حكيموف خلال العام التالى (١٩٣٧) فى ترتيب امكانية تسديد هذا الدين على أقساط شهرية على مدى عام كامل عن طريق بنك مصر(٢٦).

أما المفوضية السوفيتية التى كانت شبه مغلقة، فقد بدت وكأنها بغير نشاط تمارسه(٢٧). وفى عام ١٩٣٨ وصل السوفيت إلى قناعة كاملة بأنه لا جدوى من استمرار علاقاتهم مع المملكة العربية السعودية فسحبوا بعثتهم الدبلوماسية من جدة(٢٨). وبذلك جمدت العلاقات بين البلدين، وبقيت هكذا إلى أن أعيدت مؤخراً قبيل تحلل الإتحاد السوفيتى مباشرة.

٢- السعوديون والبحث عن اصدقاء جدد:

رأينا كيف كتب للعلاقات السعودية - السوفيتية ألا تستمر، بسبب الخلاف الذهنى (الأيديولوجى) بين الإسلام والشيوعية. ولأسباب أخرى، سياسية واقتصادية، قدر للعلاقات السعودية البريطانية أن تتدهور خلال الثلاثينيات، فقد كانت فى الواقع علاقة خصام غير معلن، أو كما يسميها حافظ وهبة «علاقة تباعد خلال السنوات السبع من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٨». فكل مطالب الملك عبد العزيز من بريطانيا كانت تواجه بالرفض، وأحيانا بالضغط، مما جعله ينصرف عنها بحثاً عن صداقات جديدة أكثر نفعا. فكان أمامه الألمان الحذرون فى علاقاتهم، والايطاليون الذين يحسبون للانجليز كل حساب، والهولنديون والبولنديون وغيرهم، وبخاصة الأمريكيون الذين كسبوا الجولة النهائية فى التنافس الدولى حول النفوذ فى المملكة العربية السعودية. وقد كتب لهذه العلاقات أن تتواصل وتتفوق تفوقاً كاسحاً لا تزال أثاره قائمة إلى اليوم(٢٩).

وفيما يتعلق بالعلاقات الإيطالية - السعودية فقد كان فؤاد حمزة وراء محاولات إفساد العلاقات البريطانية - السعودية لصالح الإيطاليين، لأنه كان يميل نحو موسليني، ويظهر ذلك واضحاً من زياراته المتكررة لإيطاليا ويبدو ذلك من حكايات بعض الإيطاليين الذين زاروا المملكة العربية السعودية، ووقفوا على أن موسليني كان يتمتع هناك بما يتمتع به من نفوذ داخل إيطاليا نفسها ومع أن هذا الأمر مبالغ فيه إلى حد كبير، يبقى أن له دلالة فى التعبير عن التوجهات الجديدة للملك عبد العزيز، أو أحد مستشاريه.

ومهما يكن من أمر، فلم يكن فؤاد حمزة يفعل شيئا بغير رضى الملك وموافقته، فقد اتهمه الانجليز بتقاضى رشاوى من الإيطاليين ليعمل على تحسين علاقاتهم مع الملك عبد العزيز، وهذا الاتهام فى حد ذاته تأكيد على وجود جانب من الصدق فى أقوال حافظ وهبة عن التباعد فى العلاقات السعودية البريطانية والبحث عن أصدقاء جدد. وقد اشتم الإنجليز رائحة انتشار أفكار الإيطاليين فأخذوا من فؤاد حمزة موقفا مضادا، واعتبروه معاديا للسياسة البريطانية، ولم يسمحوا له بزيارة فلسطين، حتى أن مجرد وجوده فى خدمة الملك عبد العزيز صار خطرا على استمرار العلاقات البريطانية - السعودية. ويفسر تعيين فؤاد حمزة وزيرا مفوضاً للمملكة العربية السعودية فى باريس على أنه إرضاء لبريطانيا(٣٠).

أما عن العلاقات السعودية - البولندية، ففى الوقت الذى وصل فيه ريان إلى جدة بصفته أول وزير بريطانى مفوض، وصلت كذلك إليها بعثة بولندية بقيادة الكونت إدوارد ريتزينسكى Edward Raczynsky الذى صحبته زوجته الانجليزية والدكتور سينكيفتز Sinkievicz رئيس الجماعة الإسلامية فى بولندا. وكان هدف البعثة إحاطة الملك عبد العزيز باعتراف بولندا الرسمى به، وتأسيس علاقات معه، وعقد اتفاق تجارى بين البلدين. وقد تكلم الوفد، [illegible]

التقارير البريطانية «بلغة يفهم منها أن الملك سعود له سمعة طيبة بين مسلمى بولندا، وهو أكثر الملوك خدمة للدين الاسلامى، وأعظم مدافع عن الإسلام "The most pious king and greatest defender of religion" وقارن الوفد بين البولنديين والعرب فوصفهم بالبطولة وحب الحرية. ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الخطوة تمت ولم يكن بالحجاز سوى بولندى واحد، يعمل سائقا للأمير فيصل، وقد أشهر إسلامه وصار يتردد على مكة[٣١].

وقد حرصت بولندا على تطوير علاقاتها بسرعة مع الملك عبد العزيز، الذى أرسل بعثة لشراء أسلحة بولندية، وما أن كان شهر أغسطس ١٩٣٠ حتى عادت البعثة السعودية وبصحبتها الأسلحة المطلوبة وطاقم بولندى للتدريب والصيانة[٣٢].

أما هولندا فقد كانت العلاقات السعودية معها أعمق وأقوى، ذلك لما كان لها من إسهامات واتصالات قوية مع الملك عبد العزيز فى مختلف المجالات، وبخاصة النواحى المالية والاقتصادية، وشئون الحجاج. وقد لعب البنك الهولندى دورا لا بأس به فى إنقاذ إقتصاد الحجاز من آثار الأزمة المالية الطاحنة فى مطلع الثلاثينيات، وهو دور لم يلعبه أى بنك آخر[٣٣]. وفى مايو ١٩٣٠ رفعت بولندا مستوى التمثيل الدبلوماسى لها فى الحجاز إلى مستوى المفوضية. وهكذا صار بالحجاز ست مفوضيات تخص الاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا وهولندا وتركيا وفارس، فضلا عن قنصلية إيطاليا وقنصلية مصر[٣٤].

أما الألمان فقد نجحوا فى عقد معاهدة صداقة مع الملك عبد العزيز فى ٢٦ ابريل ١٩٢٩ بهدف توطيد أواصر السلام والصداقة بين البلدين (مادة ١)، وإقامة علاقات دبلوماسية وقنصلية (مادة ٣)، على أن يعامل مواطنو البلدين وتجارتهم معاملة أبناء الدولة الأولى بالرعاية (مادة ٣)، ويطبق مبدأ الدولة الأولى

بالرعاية كذلك على كل المنتجات المستخرجة من باطن الأرض، والمنتجات المصنعة لكلا البلدين (مادة ٤)[٣٥].

وقد أحدثت هذه المعاهدة صدى واسعا لدى الإنجليز الذين رأوا أن الملك عبد العزيز قد أخذ يضرب في كل اتجاه، منهيا حالة التميز التي ظل يتمتع بها البريطانيون بإرادته هو في بلاده لوقت غير قصير، ولكنه أيقن الآن أن رهانه عليهم كان خاسراً. ومهما يكن من أمر، فقد كان الألمان يتحركون بسرعة للحصول على امتياز بترولي طبقا للمعاهدة التي بدأوا العمل بها اعتبارا من ٦ نوفمبر ١٩٣٠. وكان شاب ألماني، يتحدث الانجليزية بطلاقة، قد وصل إلى جدة في ٥ أكتوبر بهدف دراسة العلاقات الاقتصادية الالمانية - السعودية، وكانت المصالح الألمانية حتى ذلك الوقت متروكة في أيدي الهولنديين لإدارتها بالنيابة بطريقة ودية[٣٦].

ولكن المصادر التاريخية والوثائق الألمانية فضلا عن تطور الأحداث، تؤكد جميعاً على أن العلاقات الألمانية - السعودية لم تتطور كما كان مقررا لها. ويرجع ذلك إلى مجموعة من العوامل المركبة، يتصل بعضها بالمملكة العربية السعودية، ويتصل البعض الآخر بالتطورات السياسية في ألمانيا، التي لم تنم سياستها الخارجية خلال السنوات الخمس الأولى من الثلاثينيات بشكل إيجابي، هذا فضلا عن التأثيرات الدولية التي أسفرت عنها الأزمة المالية العالمية. ولكن في عام ١٩٣٧ بدأ حوار بين الطرفين لتطوير التمثيل الدبلوماسي وتبادله. فقد كانت المملكة العربية السعودية قد ضاقت ذرعا بعملية التحجيم البريطاني لدورها كقوة فتية مستقلة، راغبة دائماً في أن تكون لها صداقات مع دول كبرى غير بريطانيا[٣٧].

وفي الفترة من ١٢ إلى ١٨ فبراير ١٩٣٩ قام جروبا Fritz Grobba

المبعوث والمفوض الألماني في بغداد، بزيارة إلى جدة، كتب عنها تقريرا غاية في الأهمية، لأنه يصحح كثيراً من المفاهيم المنتشرة والخاطئة بشأن طبيعة العلاقات السعودية - البريطانية، ولعل أهم ما جاء فيه:

«إن التصور العام وخاصة عند العرب حول كون إبن سعود صديقا لانجلترا وأداة بيدها هو تصور خاطئ. إنه (الملك عبد العزيز) يشعر بأنه محجم ومقهور أمام انجلترا، ولديه الرغبة في أن يتحرر منها حسبما تسمح ظروفه. فهو بذكائه يظهر صداقته لانجلترا، ولكنه في واقع الأمر يكرهها من أعماق قلبه، ويلبي رغباتهم رغما عن إرادته...»[٣٨].

ويضيف التقرير إن الأهداف الألمانية صارت تتفق والأهداف السعودية تجاه بريطانيا «فهدف العالم العربي وخاصة العربية السعودية هو المحافظة على وحدتها واستقلالها. ولا تستطيع العربية السعودية أو الدول العربية الأخرى تحقيق هذا الهدف إلا بمساعدة أجنبية، ولذا تتوجه العربية السعودية بالرجاء إلى ألمانيا لدعمها معنويا حين تتعرض لضغط أجنبي، ودعمها ماديا عن طريق إرسال أسلحة بأثمان رخيصة وبشروط دفع مناسبة...».

لقد كان الألمان يضعون أمامهم دائما الأهمية الجغرافية والاستراتيجية لموقع المملكة العربية السعودية، فضلا عن أهميتها السياسية والاقتصادية. «العربية السعودية مستعدة لأن تعطينا الأولوية كمصدرين لها». مع ذلك ينصح التقرير بأن تكون جميع المحادثات بين ألمانيا والسعودية محادثات شفوية، حتى لا تندفع بريطانيا للانتقام من الملك عبد العزيز لتخليه عنها[٣٩]، وهو أسلوب حرص السوفيت على اتباعه في منتصف العشرينيات كما سبق أن أشرنا.

وفي ٢٧ مارس ١٩٣٩ كتب الملك عبد العزيز إلى هتلر يؤكد حرصه على توطيد العلاقات بين بلديهما. ويقول الملك في رسالته، «... ونحب أن

تتأكدوا فخامتكم (هتلر) أنه من أعز أمانينا أن نجد علائق الود والصداقة تنمو إلى أقصى حد مع حكومة الرايخ الألماني... لإنجاز بعض أبحاث وشئون اقتصادية كان قد جرى البحث فيها مع مندوب فخامتكم (٤٠)... ولكن نشوب الحرب العالمية الثانية وإعادة تنشيط الدبلوماسية البريطانية، جعل الملك عبد العزيز يراهن من جديد على الأسد البريطاني، بل إنه كان من العسير على الملك في ظروف الحرب أن يختار الوقوف مع غير بريطانيا، التي يمكنها من مواقع كثيرة محيطة به أن تهدر استقلاله. ولذلك نراه يعود ويسترضي بريطانيا، فيبعد فؤاد حمزة عن وزارة الخارجية إلى باريس في عام ١٩٣٩ بحجة أنه أفسد علاقات البلدين، كما سبق أن أشرنا. وفي العام التالي ينقل حافظة وهبة من لندن، لأنه عكر على الملك سياسة بريطانيا، حتى صار جميع ما كان يطلبه الملك من المندوب البريطاني يقابل بالإعتذار(٤١).

يتضح من العرض السابق أن العلاقات البريطانية - السعودية قد تدهورت، حتى راح الملك يبحث عن أصدقاء جدد في كل مكان مستغنيا بهم عن بريطانيا وقد لاحظ اسماعيل الغزنوي حقيقة ذلك التدهور نتيجة للدور الخفي الذي لعبه ريان، الوزير البريطاني في جدة، في محاولة هدم كيان تلك المملكة الفتية. وكان الغزنوي قد أعد مقالا للنشر في الهند، أثناء موسم الحج لعام ١٩٣٣، واستطاع ريان نفسه أن يحصل على نسخة منه بطريقة سرية، ثم بعث بملخصه إلى وزير الخارجية البريطاني في لندن. وفيما يتعلق بهذه الدراسة فلعل أهم ما في المقال المذكور: أن بريطانيا كانت تلعب - من خلال ريان- دورا يهدف إلى إضعاف نفوذ الملك عبد العزيز المتنامي، وهو شبيه بالدور الذي لعبه ريان في استانبول خلال الفترة التي عمل فيها ممثلا دبلوماسيا لبلاده.

ويعجب اسماعيل الغزنوي لاختيار بريطانيا لرجل مثل ريان بالذات، وأرسلته حكومته إلى مكان توصف الحياة فيه بأي شئ إلا أن تكون مريحة،

حيث تحرق الشمس فى غير الظل، وحيث يقل عدد الأوربيين جداء وحيث لا تزيد مظاهر الحياة الاجتماعية عن صفر. إلا أن يكون قد ذهب لتحقيق هدف معين ذو أهمية خاصة، لكونه الوحيد الذى يستطيع بما لديه من خبرة سابقة أن يفعله... لقد ذهب ريان إلى جدة ليكون بالقرب من مكة، فينظم هناك مركزا للدعاية ضد حكومة ابن سعود، ولعله يعمل لأجل هذه المهمة منذ وطأت قدماه أرض الحجاز، إنه يحاول أن ينشر بين الحجاج عدم الثقة فى ابن سعود»[٤٢].

ترى هل كانت بريطانيا تسعى حقا - بطريقة خفية - إلى تدمير الملك عبد العزيز كما سبق أن دمرت الشريف حسين؟ إنه لسؤال يستحق التأمل..

حواشي الفصل الخامس:

١- شملت رحلة الأمير فيصل هذه البلدان:

بدأت بباريس في أول مايو ١٩٣٢، بعد إقامة قصيرة في جنيف، ثم زارت البعثة لندن في الفترة من ٧ ألى ١٦ مايو، وعرجت على هولندا في الفترة من ١٦ إلى ١٩ مايو، ثم قضت في برلين الفترة من ٢٠ إلى ٢٤ مايو، وعندئذ انتقلت الى وارسو فقضت فيها الفترة من ٢٥ إلى ٢٨ مايو. وكانت المحطة التالية هي موسكو فقضت فيها البعثة السعودية الفترة من ٢٩ مايو الى ٥ يونيه. ثم عرجت البعثة على تركيا حيث قضت الفترة من ٩ إلى ١٢ يونيه في استانبول، والفترة من ١٣ إلى ١٩ يونية في أنقرة، والفترة من ٢٠ إلى ٢٨ يونيه في جولة بالقرب من الحدود التركية الروسية والحدود التركية الايرانية. ثم وصلت الى طهران في أول يوليو وقضت بها أسبوعاً ثم غادرتها إلى بغداد فوصلتها في ٨ يوليو ومنها الي الكويت في ١١ يوليو، ثم استقر المطاف بالبعثة في موطنها في ١٨ يوليو. وهكذا قضت البعثة نحو ثلاثة شهور في جولة في معظم العواصم الأوربية والاسلامية المهمة.

أنظر:

Jeddah Report, May and June 1932, F.O. 371/ 1/ 16024;

Jeddah Report,July and Aug. 1932, F.O. 371/ 1/ 16024;

2- Sir E. Ovey to Sir J. Simon, 6 June 1932, E 2886/ 1494/ 25, F.O. 371/ 16026;

Felix Cole, Chargé d' Affairs to Sec. of State, Washington, cited in: Ibrahim al-Rashid, ***Documents on the History of Saud Arabia,*** Vol. III, pp. 220-4.

3- Sir E. Ovey to sir J. Simon, 6 June 1932, *loc. cit;*

Jeddah Report, May and June 1932, F.O. 371/ 16024.

٤- كلمة كالينين مقتبسة في: مجلة البلاغ، العدد ١٧٠، ١٤ابريل ١٩٧٥، ص ٢٣.

٥- كلمة فيصل مقتبسة في: المرجع السابق، نفس الصفحة.

6- Felix Cole to Sec. of State, *loc. cit,*

7- *Ibid.*

8- Sir E. Ovey to Sir J. Simon, 6 June 1932, *loc cit,*

9- Felix Cole to Sec of State, *loc. cit,*

10- Jeddah Report, July and Aug. 1932, F.O. 371/ 16024.

11- Jeddah Report Sept and Oct. 1932, F.O. 371/ 16024.

12- Jeddah Report, Nov. and Dec. 1932, E.O. 371/ 16875;

Jeddah Report, Jan. 1933, F.O. 371/ 16875.

13- Jeddah Report, Feb. 1 933, F.O. 371/ 16875.

14- Ryan to Simon, 28 Feb 1933, E 1488/ 1225/ 25, F.O. 371/ 16875.

15- *Ibid.*

16- Jeddah Report, May 1933, F.O. 371/ 16875.

17- Jeddah Report, June 1933, F.O. 371/ 16875.

18- Ryan to Simon, 18 May 1935, Saudi Arabia Annual Report 1934, E 3607/3607/25, F.O. 371/19019.

19- *Ibid.*

20- *Ibid.*

21- Jeddah Report, Jan. 1935. F.O. 371/ 19014.

22- Jeddah Report, Feb. 1935, F.O. 371/19014.

23- Jeddah Reports, May, June, July and Aug., F.O. 371/19014.

24- Sir R.W. Bullard to Mr. Eden, 28 Feb. 1937, Saudi Arabia Annual Report, 1936, E 1637/ 1637/ 25, F.O. 371/20843.

25- *Ibid.*

26- Sir R.W. Bullard to Viscount Halifax, 26 March 1938, Saudi Arabia Annual Report, 1937, E 2338/ 2328/ 25, F.O. 371/21908.

27- *Ibid.*

٢٨- فتحى عثمان «العلاقات العربية السوفيتية بين المبادئ والمصالح، ١٩٤٥- ١٩٧٣»، *مجلة السياسة الدولية*، العدد ٨١ (يوليو ١٩٨٥).

٢٩- حول مراحل تطور العلاقات الامريكية - السعودية، أنظر:

جمال محمود حجر، المصالح الامريكية فى العراق وغرب الخليج العربى فيما بين الحربين العالميتين، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ١٩٧٥)، الفصل السابع؛

جمال محمود حجر، *القوى الكبرى والشرق الأوسط فى القرنين التاسع عشر والعشرين* (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩)، الفصل الرابع؛

جمال محمود حجر، *دراسات فى التاريخ الأمريكى* (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية ١٩٩٥).

٣٠- حافظ وهبة، *خمسون عاما في جزيرة العرب*، ص ١٠٥- ١٠٧

31- Jeddah Report, May 1930, F.O. 371/ 14460.

32- Jeddah Report, July and Aug. 1930, F.O. 371/14460;

Jeddah Report, Sept., Oct. and Nov. 1930, F.O. 371/ 15289.

٣٢- انظر: جمال محمود حجر، *السعوديون والأزمة المالية* ١٩٢٩- ١٩٣٣.

34- Jeddah Report, May 1930, *op. cit.*

35- Jeddah Report, Aug. 1929, F.O. 371/15289.

36- Jeddah Report, Sept., Oct. and Nov. 1930, F.O. 371/ 15289.

٣٧- نظام العباسي: «العلاقات الألمانية السعودية بين أعوام ١٩٣٣- ١٩٤٥ في ضوء الوثائق الألمانية»، في كتاب: *دراسات عن تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية*. (مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، شعبة دراسات العلوم الاجتماعية، ١٩٨٥). ص ١٩٩ - ٢١٨.

أنظر أيضاً:

Mejcher, H., "Saudi- Arabia's Relationship with Germany under King Abd Al-Aziz". مجلة: *الدارة*، العدد ٢، السنة ١٢ (١٩٨٦)

٣٨- مقتبس في نظام العباسي، *مرجع سابق*، ص ٢١٢.

٣٩- مقتبس في: *المرجع السابق*، ص ٢١٤، ٢١٥.

٤٠- مقتبس في: *المرجع السابق*، ص ٢١٦.

٤١- حافظ وهبة، *خمسون عاما في جزيرة العرب*، ص ١٠٧.

42- Conclusion of article written by Ismail Ghuzuavi during 1932 pilgrimage season for publication in India Ryan's Private Papers, VI/8, St. Antony's College, Ofxord University.

الخاتمة

تميزت الأيديولچية السوڤيتية بأنها كانت ذات طبيعة دولية، لها جذور قديمة فى تاريخ روسيا، تتمثل فى فكرة الرسالة التاريخية، فروسيا كانت تسعى نحو تبوء مركز خاص فى العالم المسيحى بحمايتها للكنيسة الأرثوذكسية (الشرقية) والاتحاد السوڤيتى، الذى ورث روسيا القيصرية، كان يرى أن له رسالة علمانية عالمية، وعلى ذلك فالتنافس البريطانى - السوڤيتى ليس وليد الثورة الروسية فى عام ١٩١٧، وإنما هو إرث مبنى على خلفيات دينية وچيوبوليتيكية، غذته الثورة الروسية بأسباب ودوافع أيديولوچية جديدة.

لقد بنت روسيا القيصرية امبراطوريتها فى آسيا بطريق الضم والدمج، وشكلت أجزاؤها كيانا متصلا من الأرض أكسب الامبراطورية عمقا استراتيجيا وقوة اقتصادية وبشرية وسياسية، ولكن جهود الروس اصطدمت بطموحات البريطانيين، الذين سعوا إلى تكوين إمبراطورية فى آسيا بطريق القسم دون الدمج. ومع أن قوة الامبراطورية الروسية كانت أقل شأنا من قوة الامبراطورية البريطانية، إلا أن قدرة الروس على مواصلة سياستهم فى تحدى بريطانيا كانت كبيرة، واتسمت بالمثابرة.

وقد ورث السوڤيت عن روسيا القيصرية عداوة مريرة لبريطانيا، فواصلوا سياستهم تجاهها على النهج نفسه بدأب ومثابرة كما كان يفعل أسلافهم. ولكن قدرة السوڤيت على مواجهة بريطانيا عسكريا كانت أقل شأنا من قدرة أسلافهم، فلجأوا إلى استخدام أساليب غير مباشرة فى تحدى الوجود البريطانى فى الشرق عن طريق مساندة الحركات الوطنية، والحركات القومية، والحركات الإسلامية، المعادية للاستعمار البريطانى. ومع أن الأفكار الشيوعية تصطدم صراحة مع الأفكار القومية والإسلامية، إلا أن السوڤيت لم يجدوا بأسا فى مناصرة هذه الحركات مرحليا «للإمبريالية»، اعتقادا منهم أنها ستكون بالضرورة معادية «للرأسمالية» وهكذا كانت مساندة هذه الحركات وسيلة إلى غايتين، الأولى ضرب الامبريالية، والثانية ضرب الرأسمالية، مما أدى إلى أن يعتقد بعض الكتاب الغربيين أن السياسة السوڤيتية مبنية على أساس اقتناص الفرص واستغلال

الظروف، والاستفادة من أخطاء الغير، أكثر من اعتمادها على أى شئ آخر.

ومن المنطلقات السابقة دخل العالم الاسلامى وبالتحديد المشرق الإسلامى فى دائرة التخطيط الاستراتيجى السوفيتى منذ اليوم الأول للثورة. فقد كان للمسلمين الروس دور ريادى فى إسقاط الحكم القيصرى، ودور إيجابى فى مساندة الثورة. ولم يشأ السوفيت إلا أن يتركوا مثل هذه العناصر الإسلامية النشطة تلعب أدوارا أخرى فى العالم الاسلامى لصالح الثورة الروسية، فتبنى الروس الدعوة إلى «وحدة الشرق» لما لها من مظهر براق أمام المسلمين، ولما يترتب عليها من نتائج سلبية على الإمبريالية العالمية متمثلة فى بريطانيا، وخاصة فى مناطق الضعف البريطانى فى الشرق.

وهكذا يمكن فهم دوافع محاولات السوفيت المتكررة والدؤوبة للتقرب إلى الملك عبد العزيز آل سعود. فقد كشفت هذه الدراسة عن أن صداقة الملك لم تكن مطلبا سوفيتيا، ولا كانت بلاده المترامية الأطراف هدفا للسياسة السوفيتية، وإنما كانت مكة على وجه الخصوص دون غيرها من الأراضى السعودية وسيلة إلى غاية كبرى هى الشرق الإسلامى إن لم يكن العالم الإسلامى، فمنها فى موسم الحج السنوى يمكن للحجاج السوفيت أن يخاطبوا المسلمين جميعا ويؤلبونهم ضد الاستعمار البريطانى. وقد نجحت هذه المحاولات خلال السنوات العشر الأولى للثورة، حين كان موقف السوفيت من المسلمين الروس موقفا مرنا، وحين كان التجاوب مع السوفيت فى العالم الإسلامى أكثر وضوحا.

وقد حاول الملك عبد العزيز أن يستثمر روح التنافس الجديدة بين السوفيت والبريطانيين لصالحه، فاتهمه بعض الكتاب بأنه كالسوفيت نهاز للفرص. والواقع أن عبد العزيز آل سعود ما كان يسعى لتوثيق علاقاته مع السوفيت، وهناك أدلة كثيرة أوردناها تؤكد على هذا المعنى، ولكنه كان حريصا كل الحرص على توثيق علاقاته ببريطانيا مستخدما «ورقة السوفيت» بمعنى أن السوفيت كانوا وسيلة إلى غاية، ولم يكونوا غاية فى حد ذاتهم. وحين يئس السوفيت من استقطاب عبد العزيز أعطوه ظهورهم وولوا وجوهم شطر اليمن، ووثقوا

علاقاتهم مع الإمام، ولكن ذلك كان يتم فى إطار من التنافس الدولى فى البحر الأحمر، ولذلك لم يكتب لهذه العلاقة أن تدوم طويلا، فقد تولى الايطاليون مهمة إنهائها.

أما البريطانيون فقد كانوا أكثر هدوءا تجاه ما كان يجرى من محاولات للتدخل السوفيتى فى الحجاز، لأنهم كانوا واثقين من أن البلاد الإسلامية المقدسة محصنة حصانة طبيعية ضد الشيوعية، وبالتالى ضد النفوذ السوفيتى. وهذا يفسر لنا أسباب غياب صدام بريطانى سوفيتى فى شبه الجزيرة العربية على غيرما شهدناه فى مناطق أخرى من المشرق الإسلامى، كما يفسر أسباب تراجع السوفيت عن الحجاز ببطء شديد ودون إعلان ، سواء أكان ذلك من جانب الملك عبد العزيز أو من جانب السوفيت أنفسهم، وهكذا تركت العلاقات السعودية - السوفيتية فى العراء بغير حماية من طرفيها، فقد كشف الشيوعيون منذ عام ١٩٢٨ عن حقيقة نواياهم تجاه المسلمين والاسلام، وأدرك عبد العزيز استحالة التعامل مع أناس ليسوا أهل كتاب، ومن جهة أخرى ساعدت الظروف الدولية على إحداث تقارب بريطانى - سوفيتى هدأ من حدة التنافس بينهما، وتصادف ذلك مع انصراف عبد العزيز آل سعود عن السوفيت، وما أن جاء عام ١٩٣٨ إلا وأمست العلاقات السعودية - السوفيتية بغير نبض. وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية سعى السوفيت إلى إعادة الحياة إلى تلك العلاقات دون جدوى.

لقد كان البريطانيون مترددين أول الأمر فى التصدى المباشر للدعاية السوفيتية فى المشرق الإسلامى انطلاقا من الحجاز، بحجة أن الإسلام قادر على صد الدعوة إلى الشيوعية دون تدخل من بريطانيا. ففى الحرب العالمية الثانية شغل كل من الروس والبريطانيون بالصراع مع النازية والفاشية فى أوربا، وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى أفاق البريطانيون على ضرورة التصدى للمد الشيوعى فى الشرق من خلال وضع خطة تتضمن إجراءات مضادة للدعاية السوفيتية الساعية للوصول إلى قلب المشرق الإسلامى بأسلوب يتفوق على

أساليب الإتصال المباشر، التى قد تثير الشكوك حول طبيعة النشاط السوفيتى خاصة وأنه قد أصبح من المؤكد أن السياسة السوفيتية فى المشرق الإسلامى قد أخذت تعمل بانتظام من أجل إجهاض النفوذ البريطانى والنفوذ الأمريكى فى المنطقة، وزيادة النفوذ السوفيتى الفعلى، مع التأكيد على تطور الشيوعية.

فقد صار جليا للبريطانين أن السوفيت استخدموا وسائل دعائية صارت أكثر وضوحاً بعد الحرب العالمية الثانية، ولعل أهم هذه الوسائل:

أ- تكوين أحزاب شيوعية فى البلدان الإسلامية للحد من سطوة ونفوذ الاستعمار الغربى.

ب- تكوين جمعيات فى البلدان الإسلامية لتأسيس علاقات ثقافية مع الاتحاد السوفيتى، تحدث توازناً بين ايديولوجيات هذه المجتمعات من جهة والأيديولوجية الغربية والفكر الإسلامى من جهة أخرى.

جـ- تكوين أحزاب سياسية يسارية والتداخل فى اتحادات العمال والمنظمات الثقافية التى تساعد الشيوعين فى الوصول إلى أهدافهم.

د- المشاركة فى إصدار الصحف والدوريات سواء أكانت تحت الاشراف الشيوعى المباشر، أم كانت متعاطفة مع الفكر الشيوعى.

هـ- توظيف الاذاعة السوفيتية والنشرات الخاصة المعدة للتوزيع خارج الإتحاد السوفيتى فى نشر الأفكار الشيوعية

و- توظيف العناصر السوفيتية المسافرة والمهاجرة، فضلاً عن رجال الدين فى نشر الدعاية للأفكار الشيوعية، وهى فى هذه الناحية أفكار سياسية فى المقام الأول لاستحالة أن يدعو رجل دين إلى الشيوعية الأيديولوجية

وفى سبيل تحقيق أهدافهم فى المشرق الإسلامى وظف السوفيت أفكاراً تلقى القبول على النحو التالى:

أولاً: ركز السوفيت عى إثارة الروح القومية ضد بريطانيا بالتأكيد على أن بريطانيا دولة استعمارية تستنزف موارد الشرق الإسلامى لمصالحها الخاصة، وتعتزم الإبقاء على المنطقة العربية تحت الوصاية، ولاتعترف لها بالحقوق السيادية بل تتدخل فى شئونها الداخلية. وأن منح الهند استقلالها على سبيل المثال ليس أكثر من ذر للرماد فى العيون.

ثانياً: استخدم السوفيت وسائل مماثلة لضرب المصالح الأمريكية فى المنطقة باعتبار أن استخدام الغرب لهذه المنطقة إنما هو موجه ضد السوفيت كالاستعباد الأمريكى للإقتصاد التركى economic enslavement والاتجاه الأمريكى نحو الاستحواذ على موارد البترول فى الشرق الأوسط والاحتكار الأمريكى للنشاط التجارى فى المنطقة

ثالثاً: استثمر السوفيت كافة الفرص للإيقاع بين البريطانين والأمريكين، فضلاً عن سعيهم الدائم لتلويث سمعة الولايات المتحدة عن طريق إثارة موضوعات تشغل الرأى العام الأمريكى مثل المحاكمات غير القانونية، أو قضايا الزنوج والبطالة ، وغيرها.

رابعاً: فى مقابل ذلك كله تعرض الدعاية السوفيتية فى الشرق الأوسط كافة الشئون الداخلية السوفيتية أو السياسة الخارجية السوفيتية على أحسن صورها، وأكثر من ذلك أنها تصور الحياة السوفيتية على أنها ديمقراطية سعيدة حرة مريحة ومضيئة، وتحكم فى مجتمع مثالى. وفى السياسة الخارجية تظهر الحكومة السوفيتية نفسها على أنها بطلة السلام والديمقراطية والتعاون الدولى، وأنها القوة الوحيدة المدافعة عن حقوق السيادة للدول الصغرى، وأنها المعارض الوحيد القادر على الوقوف ضد الإستعمار والرجعية بل أن الاتحاد السوفيتى الصديق الوحيد الذى تعتمد عليه حركات التحرر فى البلدان الخاضعة للاستعمار والسيطرة.

وعلى ضوء العرض السابق لاستراتيجية الدعاية السوفيتية فى المشرق

الإسلامى، اتخذت بريطانيا بصفتها زعيمة للعالم الغربى مجموعة من الاجراءات المضادة، تعتمد بالدرجة الأولى على كشف وتفنيد وسائل الدعاية السوفيتية.

لقد نجح السوفيت فى كسب ود كثير من الشعوب الإسلامية وناصروا كثيراً من حركات التحرر ضد الاستعمار الغربى، ولكن بريطانيا التى هزمت فى كثير من مناطق الشرق الإسلامى، لم تكن لتغفر للسوفيت فعلتهم، فاحتدت الحرب الباردة التى قادتها بريطانيا ثم الولايات المتحدة ضد السوفيت حتى أسلم الاتحاد السوفيتى الروح فى مطلع التسعينات واختفت ملامح الحرب الباردة، وانتهى توازن القوى ، وحل محله احتكار الغرب للقوة، ولم يعد المشرق الإسلامى مطلباً بذاته، وإنما أصبحت هناك أسس جديدة للسياسة الدولية لاتعتمد على الدعاية وإنما تعتمد على المصالح.

الملاحـــق

الوثيقة الأولـــى

موضوعها : إعتراف الاتحاد السوفيتي بالملك عبد العزيز.

تاريخها : ٩ مارس ١٩٢٦

رقمهـــا : E 2069/7/91, F.O. 371/11431

مصدرهـا : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.



Acting Consul Jordan to Sir Austen Chamberlain.—(Received March 29.)

(No. 28.)

Sir,

Jeddah, March 9, 1926.

I HAVE the honour to enclose herewith an extract from the Mecca paper "Umm-al-Qura," giving the text of the letter received from the Soviet representative in Jeddah communicating the Soviet Government's recognition of Sultan Abdul Aziz as King of the Hejaz, and which was notified in writing to His Majesty on the 16th February last.

2. I am informed confidentially that the Soviet representative verbally requested Ibn Saud to consider the Soviet Government's recognition as confidential until His Britannic Majesty's Government had notified him of their recognition of His Majesty.

3. This arrangement, however, no doubt caused the anxiety to Ibn Saud as reported in my telegram No. 23 of the 24th February.

4. The French consul in Jeddah also informed Ibn Saud verbally of the recognition of the French Republic on the 2nd, as did also the Italian consul, but neither of which to date have been confirmed in writing.

I have, &c.
S. R. JORDAN.

Enclosure in No. 1.

Extract from the Mecca Newspaper "Umm-al-Qura."

RECOGNITION FROM FOREIGN POWERS FOR ABDUL AZIZ AS KING OF THE HEJAZ AND SULTAN OF NEJD AND ITS DEPENDENCIES.

THE King has received on 3.8.1344 the following letter from the Russian agent and consul:—

"His Majesty the King of the Hejaz and Sultan of Nejd and its Dependencies.

"(After greetings and respects.)

"Supported by the order of my Government, I have the honour to inform your Majesty that the Government of the Soviet Republic, according to the fundamental principle regarding the independence and the freedom of nations, and in regard to the will of the Hejaz people shown in their 'bayat' to your Majesty as King over the Hejaz, recognise your Majesty as King of the Hejaz and Sultan of Nejd and its dependencies.

"Therefore the Soviet Government consider themselves in suitable convenient political state with your Majesty's Government.

"In conclusion, please accept my best respects.

"KARIM KHAKIMOFF,
"*Soviet Agent and Consul-General, Jeddah.*

"3.8.44 (*February 16, 1926*)."

الوثيقة الثانيـــــة

موضوعها : نشاط كريم حكيموف ، الوكيل السوفيتي .

تاريخها : ١٠ أبريل ١٩٢٦

رقمهـــا : E 2917/426/91, F.O. 371/11446

مصدرهـا : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

No.42. SECRET.

(30/30). E 2917/426/91

BRITISH AGENCY,
JEDDAH.

April 10th, 1926.

Sir,

With reference to Foreign Office despatch No.32 (E 1426/1426/91) of the 11th March last, relative to the activities of the Soviet Agency in Jeddah and the desirability of securing its suppression, I have the honour to state that owing to the fact that Bin Saud has not visited Jeddah for some time past I have been unable to take any action in this matter to date.

2. Before doing so I should like to point out the following facts from which it might appear undesirable to suppress the Soviet Agency at Jeddah as it is always an advantage to deal with a known factor than with a series of soviet agents in the Hejaz directed from Persia or some country not far removed.

3. The present Soviet Agent in Jeddah is a confirmed drunkard and as far as can be ascertained in no sense a brilliant propagandist. His own behaviour is sufficient to warn off any but the most bigoted or stupid and he is I am inclined to believe doing the Soviet cause more harm than good.

4. Some days ago my Dutch colleague called on him and finding him in an inebriated state wished to leave as soon as possible, but was unable to do so until Khakimoff had related with great pride that he habitually drank six or seven litres of wine per day, Besides liqueurs, etc. Continuing Khakimoff informed my Dutch colleague that he had recently received a visit from the American journalist Mr Ellis, whose

His Britannic Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs,
Foreign Office, S.W.1.

presence in Jeddah I have already reported, who asked him if he was doing propaganda work in the Hejaz to which Khakimoff states that he replied with great cunning "But why should I make propaganda in the Hejaz. I have no interests here. It is the British who need to propaganda here not Soviet Russia". But continued Khakimoff to my Dutch colleague "the man insulted me. What does he think I am here for if it is not to spread communistic ideas".

5. Khakimoff, as reported previously, recently obtained a medical certificate to the effect that he required a change from the heat of Jeddah and has I believe sent this to Moscow but states that he does not intend to leave Jeddah until after the pilgrimage. On the other hand there are rumours of the possibility of his proceeding to Asmara, in Italian Eritrea, shortly to attempt to establish a communistic centre in that country from where it would be easy to spread into the Sudan, and the certificate may have been procured with this object in view.

6. My Italian colleague informs me that when Khakimoff and his wife is in Asmara they are continually shadowed and that for the present they have been unable to do anything. Also that there, as in Jeddah, they indulge in periodical bouts of drunkenness and are not well regarded by the natives. Against this there is always the possibility of a really able and capable propagandist being sent to replace Khakimoff and in this respect the abolition of the Soviet Agency would appear to be desirable. But against this Bin Saud would appear to have tied his own hands by his recent ready acceptance of the Soviet recognition of his kingship over the Hejaz,

and also by the fact that his declared policy of the brotherhood of the world's moslems would be seriously compromised if he were to refuse representation in the holy land of the millions of Moslems under the Soviet yoke.

7. At present as far as can be ascertained there is no great sovietic activity in the Hejaz and most of the so-called agents are merely agents in name only for the purpose of drawing any money that may be attached to that privilege.

8. Khakimoff confidently states that there will be a number of pilgrims coming from South Russia via the Dardanelles and Suez Canal this season. The number is variously stated to be anything between 30 and 6 thousand largely depending upon the Soviet Agent's state of inebriation at the moment.

9. None have put in an appearance so far and I doubt if even one shipload will arrive. But it is from these people that the greatest danger is to be anticipated and the abolition or otherwise of the Soviet Agency in Jeddah would not materially reduce the number of pilgrims coming from Russia, but might on the other hand draw their attention to this very easy and effective way of introducing agents in numbers into the Hejaz.

10. On the whole I am inclined to consider that the possibility of Bin Saud being willing to dismiss the Soviet Agency from his Court is problematical, and in view of the above facts not altogether desirable as in the event of a refusal on his part the fact of an attempt having been made by His Majesty's Government would certainly become known and probably lead to

complications in other spheres. Any pilgrims coming from Russia should be made to a full quarantine.

(Jordan)

الوثيقة الثالثة

موضوعها : نشاط الوفد السوفيتي فى المؤتمر الاسلامي بمكة .

تاريخها : ٣ يوليو ١٩٢٦ /

رقمها : F.O. 371/11446 , E 4319/1426/91

مصدرها : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

Vice-Consul Jordan to Sir Austen Chamberlain.—(Received July 19.)

(No. 82. Secret.)

Jeddah, July 3, 1926.

Sir,

I HAVE the honour to enclose herewith a report on the activities of the Soviet delegation to the Moslem Conference in Mecca as far as I have been able to ascertain to date.

2. I am indebted for the greater part of this information to the Indian and Malayan pilgrimage officers and a certain Mr. Ikbal Ali Shah, until recently editor of the "Spectator," of Delhi.

3. This latter also succeeded, in his capacity as editor of the above newspaper, to attend several meetings of the conference prior to the Haj, and was good enough to give me some of the details which figured in my report forwarded under cover of this agency's despatch No. 70 of the 23rd June last.

4. Copies of this despatch and of its enclosures are being sent to India, Jerusalem, Bagdad, Singapore, Cairo and Khartum.

I have, &c.
S. R. JORDAN.

Enclosure in No. 1.

Report on the Activities of the Soviet Delegates to the Moslem Conference held in Mecca, June 1926.

THIS delegation, consisting of six members under the leadership of one Ziaeddin-bin-Qawameddin, with Musheheddin-bin-Halil, Abdul Wahid-bin-Abdul Raouf, Mahdi-bin-Maqsoud, Abdul Rahman-bin-Ismail, and Taher Elias as the other five members, were known officially at the conference as the Russian and Turkestan delegation.

2. Their conduct during the proceedings of the conference was exemplary, and they unfailingly supported the Saudists throughout the proceedings. They seldom gave voice to their views on any particular question, and restricted themselves to voting with the Hejaz party.

3. Outside the conference they were more active, and their house was always open to receive the many guests that presented themselves thereat.

4. The Ali brothers and the majority of the other delegates visited them on various occasions, and the Java representatives, Mohammed Said Tjokorominato, Haji Mansur and Jeran Taib, were constant visitors.

5. A certain Afghan who visited them at the instigation of this agency, and afterwards related the ensuing conversation to me, stated that the leader was an expert propagandist from Turkestan and a clever man.

6. My informant, who was dressed as an Afghan and pretended to be in search of the truth of the Soviet doctrines, discussed with them at some length, and, after a slow beginning, they enlarged upon their hopes in the Hejaz and all Moslem countries in general.

7. When asked why they preferred Bolshevism to their own laws and doctrines, the leader replied that the Emir of Turkestan was a despot and treated them badly, but that since the advent of Bolshevism there was at least some security and order in their country. As an example, he said that, if the Emir wanted to give a picnic for any of his friends or family, he commandeered all he required from right and left without paying for it and without taking the trouble to return it.

8. After further discussion, the leader stated that there seemed little hope for the present of establishing Bolshevik principles in the Hejaz, as the country was but sparsely populated and the people mostly ignorant and ill-fitted to assimilate the advanced Sovietic ideas.

9. With regard to India, they stated that that country was already thoroughly organised and worked from the central organisation in Bokharistan, but that, whilst

they experienced no difficulty in getting at the poorer classes, they had not been able up till the present to capture the more intellectual minds.

10. In the Federated Malay States and Dutch East Indies, he said, they realised that there was a great field ready to receive their principles, and that they were now about to concentrate on that part of the world. They had had few opportunities or facilities for spreading propaganda in these States in the past, but now, however, the Hejaz offered an excellent means to this end and would be used to the fullest extent, as, although they could not do much in the Hejaz itself, they, nevertheless, had here, during the pilgrimage, facilities for coming into contact with some of the most influential persons in the Moslem world, and by this means they hoped to be able to reach the minds of people who in their own country would be almost unapproachable. Thus, they hoped to influence these people whilst in the Hejaz and so have their (Soviet) principles carried back by them to their respective countries.

11. In this respect I should add that Shaukat Ali declared openly in Mecca that, though little had been gained by the conference, yet a great and useful work had been done for Islam in Mecca this year, and that was that the unity of Islam had at last been accomplished and the help of the Soviet Moslems and nation assured.

12. Referring to the Sudan, they stated that there also the folk were as yet too ignorant as a whole, but that they never lose an opportunity of approaching the more intellectual.

13. It is a fact that during the whole of the present Haj season the Bolshevik delegation has been endeavouring to captivate the fancy of the leading spirits at the conference, and they have spent little or no effort amongst the lower classes of pilgrims. To date, not a single pilgrim approached by members of this agency staff has been able to assert that they had been subjected to any form of Bolshevik propaganda, and this fact brings home to one how the Soviet intend to use this Moslem Conference for the propagation of their doctrines in future.

14. The election of the Soviet delegate as Vice-President of the Conference and the visit of the Kaimakam of Jeddah to this office, as reported in my despatch No. 79 of the 23rd June last, coupled with the several visits in quick succession of the Soviet agent and consul-general to Mecca to interview Ibn Saud just prior to the conference, together with the refusal of the Bolshevik delegates to take part in the Cairo Conference, would serve to show that they are making a determined effort to spread their ideas to the countries represented at the conference through the various delegates and to secure the support of Ibn Saud.

15. They have never lost an opportunity of holding up the great successes of Turkey as an example of pure Bolshevik philanthropy, in which they gave money and ammunitions and received absolutely nothing in exchange.

16. And what they did for Turkey they are prepared to do for any other down-trodden nation in the world. This statement has naturally captivated the fancy of many and been a great asset in propaganda.

17. Ibn Saud, whilst receiving them in a very friendly spirit and listening to their blandishments, would for the moment appear to be running with the hare and the hounds.

18. A further representative of the Soviet Union arrived three days after the completion of the Haj and complained most bitterly of the difficulties he encountered in Egypt and which prevented him from arriving in the Hejaz in time to make the pilgrimage. His name I have not been able to ascertain to date.

S. R. JORDAN.

الوثيقة الرابعة

موضوعها : أهمية وجود تمثيل سوفيتي في الحجاز لبريطانيا.

تاريخها : ١٨ مارس ١٩٢٧

رقمها : E 1606/323/91, F.O. 371/I2248

مصدرها : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

Acting Consul Mayers to Sir Austen Chamberlain.—(Received April 5.)

(No. 26. Secret.)

Sir,

Jeddah, March 18, 1927.

IT has been my intention for some time past to attempt a summary of the information now available regarding the Soviet diplomatic agency in Jeddah. The approaching departure of M. Khakimoff, to which reference was made in my despatch No. 263 M of the 10th instant to the Governor-General of the Sudan, copy of which was forwarded to the Foreign Office in despatch No. 24 of the same date, affords a suitable occasion for making such a report.

2. From the point of view of general British interests, it is evident that some importance must be attached to the presence in the Hejaz of an active Soviet mission. The Director of Intelligence at Khartum, when he was here in January, described to me the interest which the Sudan Government might have to take in the agency's activities, and subsequently commented on them in paragraphs 151 and 152 of his Secret Intelligence Report No. 11 of the 2nd February. I agree with Mr. Davis that there is, in the frequency with which members of the Soviet Agency visit Eritrea, a potentiality for mischief which ought not to be overlooked.

3. It is at least strange that M. Tuimetoff, M. Khakimoff's second in command, should have been allowed to spend so long away from his post. At the same time it should be borne in mind that there is much boredom and lack of work at the agency, and that he went to Asmara with the two ladies of the agency and their children; so that the reasons of health advanced may be genuine, especially as M. Tuimetoff will be left in charge here when M. Khakimoff goes shortly on leave. Khakimoff is capable of making the sacrifice of part of his staff in that way. On the other hand, even if the use of Asmara was primarily to alleviate the catastrophic effects of the dumping in Jeddah of this uninformed and now disillusioned party, Tuimetoff no doubt used his opportunity to extend his knowledge of Colonial Africa, reporting to his chief in Jeddah thereon.

4. Similarly, the Intelligence Department of the Government of India have been interested in the theory, suggested to them in the letter No. 777 M copy of which was enclosed in my despatch No. 139 of the 28th November last to the Foreign Office, that the mutawwifs (pilgrim agents) who travel between the Hejaz and Bombay in order to collect clients may be a possible channel for subversive propaganda between this country and India. So far, it is important to note, no substantiation of the theory is forthcoming.

5. The advantages of Mecca and the Hejaz generally as a headquarters for anti-European agitation in the Near and Far East need hardly be dwelt upon. Not only do Moslems from all over the world come to the Hejaz for the pilgrimage, but they also settle for religious study at Mecca and Medina during periods varying from six months to several years. Among these pilgrims and students there must be many who, by their contemplative and theorising natures, afford excellent material for the inflammatory half-truths of the propagandist. In Mecca malcontents from Morocco can meet refugees from Syria, and agitators from India can compare grievances with their sympathisers from Java and Sumatra. It ought to be easy for Soviet agents in Mecca to get into touch with people like the Ali brothers and with the type of migratory agitator whose flight is Kabul, Moscow, Berlin and Constantinople. To the latter class belongs Moulvi Obeidullah, the Indian, now attracting modest notice in Mecca for his lectures expounding the Traditions.

6. The atmosphere of the Hejaz is different from that of ordinary countries. The air does not blow freely here. There are no free newspapers, no easy means of communication with the outer world; the Hejaz is an enclosed space in which prejudice and misconception would spring up rapidly. Religion and the jealous conservation of religious exclusiveness accentuate the difference between the Hejaz and the rest of the world. There are old ladies in Florence who conceive occult affinities with Botticelli, and cranks in Jerusalem who multiply theories of mystic numbers. So much the more

does the climate of the Hejaz foster men on whose sharpened nerves the suggestion of Islam in danger from the West would produce jarring chords with immeasurable reverberations. Even in Jeddah one gets glimpses of the artificiality of the atmosphere, and nature has done all in her power to accentuate it.

7. There is, then, excellent ground here for suggestive propaganda. The question is, what has the present Soviet Agency have made of it.

8. I have been struck by the fact that no tangible or definite knowledge h reached me of Soviet propaganda of a direct kind exercised on residents, permanent or temporary, in the Hejaz. My Dutch and my French colleague similarly have had no indication which could give them grounds for complaint against M. Khakimoff and his staff. In this country, where something at least is known of everything, this is important. The Hejaz is too small a community to keep a secret. If M. Khakimoff were engaged in a definite attempt to further the political ends of his Government here by betraying the other European Powers, some echoes of his action would have reached us.

9. Looking at the question from the point of view of Soviet strategy, and supposing that the Soviet Foreign Department consider the Hejaz as a promising post from which to encourage a cleavage between East and West, it would have been a bad plan for M. Khakimoff to plunge into active propaganda immediately the Russian mission was established here. The present ruler of the country is friendly rather than antagonistic to the great colonial Powers, and finds that his business is very much with them. On Great Britain, Holland and France depend to some extent the survival and the prosperity of the Hejaz. Ibn Saud could not afford to view with indifference any tampering with Indian, Javanese or Moroccan pilgrims while on Haj. The Russians know this, and realise that their cue, at the beginning, is to avoid arousing suspicion. Their best plan is to impress upon the people and authorities of the Hejaz that they represent their country in the ordinary consular (or diplomatic) way, that they eat, drink, joke and grow weary as do other mortals, and that they are expecting a pilgrimage from the Moslem portions of the Russian Empire to supply them with considerable work in the future. The idea of 10,000 possible Russian pilgrims from Central Asia is music enough in Hejaz ears.

10. It is very likely that the two or three years during which the agency has been in the Hejaz have been mainly a time of study, a period of observation and due consideration, in Eritrea perhaps as well as in Jeddah and Mecca.

11. That period of observation should now be at an end. M. Khakimoff will know by this time what is possible and what is impossible. As a matter of fact, if anything more vigorous is to be done in the future, M. Khakimoff hopes that it will be the work of a successor of his. He is now going on leave to Italy, but his set purpose is to get into personal touch from there with friends in Moscow, and to arrange that the Hejaz, which he abhors, shall see him no more. Belkin, too, declares that he has no intention to return, even if he has to leave the employ of the Moscow Foreign Department as a result. Tuimetoff, a queer unprepossessing fellow, will be left in charge of the diminished staff, which will now consist simply of M. Axelrod. An instance of the latter's ambition to supplement his livelihood by journalism was furnished by His Majesty's High Commissioner for Egypt in his letter No. 10 M., Secret, of the 28th January, 1927, copy of which was sent to the Foreign Office. It is interesting to see how many of the threads of the Arabian situation Axelrod has got hold of, and how skilfully he has managed to tangle them.

12. M. Khakimoff's departure will thus very probably mark the end of the first stage in the existence of the Soviet Agency at Jeddah. From all appearances, that stage has been mainly a passive one. If the agency is to awaken to a more militant new life, signs of the change may be expected towards the end of the present year.

Copies of this despatch have been sent to Cairo and Khartum.

I have, &c.

NORMAN MAYERS.

الوثيقة الخامسة

موضوعها : جمعيات أندونيسية في الحجاز .

تاريخها : ١٧ يونية ١٩٢٧ .

رقمها : E 3742/323/91, F.O. 371/12248

مصدرها : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

From Dutch Consular Representative at Jeddah to the Governor-General of the Netherlands East Indies.

TRANSLATION.

201

SECRET.

Soviet Activities

Jeddah,
June 17th, 1927.

In continuation of the exchange of letters and telegrams concerning presumed communistic propaganda at Mecca, I have the honour to inform Your Excellency as follows.

Shortly before the Hadj it was discovered here that two societies had been formed among our pilgrims at Mecca, with the object of furthering communist activities in the Netherlands East Indies. The investigation into this matter is still far from being completed, because shortly after the discovery there came the overwhelming pressure of business arising out of the pilgrimage.

We now know that at Mecca during this season two organisations were formed, both under the presidency of the communist MAHDAR, a native of Tjangkoeng, Garoet (in Java), who took to flight after having participated in the disturbances at Tjiamis (Java). He reached Jeddah, without passport or steamer-ticket, as a stow-away on board the S. S. "Armanestan" belonging to the firm of Namazi.

The first of these two organisations, which only aims indirectly at furthering the communist cause, is the S. B. I. (Sjeich Bond Indonesië - i.e., Society of Sheikhs of Indonesia). The pilgrim-sheikh ABAS IRAGI covers this organisation with his name, and the pilgrims concerned state that they place themselves under his

guidance. As a matter of fact, this man has given a pledge to the committee of the S. B. I. that he will not occupy himself further with the pilgrims who are recruited by and destined for the organisation. He receives two guilders and fifty cents per man, after payment of which sum the pilgrims pass into the charge of the committee of the S.B.I. This committee is composed entirely of communists. The society makes preliminary preparations on behalf of communism. It is a sort of selecting institution. Those who are found to be suitable and willing are persuaded to become members of the second organisation, the P. I. I. (Perserikatan Islam Indonesiä - i.e., Islamic Association of Indonesia). It was decided that, after the close of the season, three members of the committee of the S. B. I. should return to the Dutch East Indies in order to recruit pilgrims there for their society. Not only would a new centre of organisation for communism be obtained in this way, but it was also proposed by means of the S. B. I. to collect the funds necessary for the action of the P. I. I. For there is money to be earned by exercising the profession of a "sheikh" (i.e., pilgrim-broker). Moreover, for a long time past plans have been under consideration by certain persons in Java for the establishment of a "haji" (i.e. pilgrim) organisation of their own, in order to shut out the pilgrim-sheikhs in the Hedjaz. It was thought that propaganda for the organisation (the S. B. I.?) could be carried on in Java without exciting suspicion.

The P. I. I. (Persorikatan Islam Indonesiä) has chosen the form of a religious association.

DJANAN TAIB, a native of the West Coast of Sumatra and a graduate of the Azhar University at Cairo, is the society's religious instructor. The above-mentioned MAHDAR

is its President. The S. B. I. must provide this association with the requisite funds (estimated at £2,000). DJANAN TAIB will act as correspondent at Cairo, and will also supply information from that place as to the importation of fire-arms. It is also intended to send a committee-member to Canton in order to get into contact with ALIMIN and TAN MALAKA (two notorious communist leaders, natives of the Netherlands East Indies). Another committee-member is to be despatched to Russia to consult with SEMAOEN (the most prominent of the native communists from Java, said to be now at Moscow).

The S. B. I. tried at Jeddah to borrow the money required for the despatch of its committee to Java or Singapore (£30 for each man). Further, the P. I. I. intends to send letters to its confederates in Java through the intermediary of the "Kiyais" (i.e., religious teachers, "maulvis"). The "Kiyais" are the great recruiters of pilgrims. The correspondence will thus not arouse suspicion. The object of the letters is, it is said, to inflame once again, and to put new heart into, the brothers who have become fearful or dejected. In this fashion a centre will be created for the education of the Dutch East Indies in a communist sense. So much for the attitude as regards Dutch India.

The P. I. I. has also expressed its opinion that the Government of King Bin Sa'oud is worse than that of Hussein.

King Hussein made the roads in the Hedjaz unsafe because he wanted money. For the rest, he allowed perfect liberty to the pilgrims in the matter of their religious views. Bin Sa'oud made the roads safe in order to be able to impose more taxes on the pilgrims. Moreover, he oppresses the pilgrims where their religious opinions are concerned. The P. I. I. will endeavour, therefore, to come into contact

with the Persians and with the natives of British India who are opposed to Bin Sa'oud.

The P. I. I. has also observed that the latter's Government collects from the saqas (water-carriers) a tax of 15 gruaj per month. By hard work these men do not earn much, and, indeed, this tax appears heavy if comparison be made with the wealthy residents of Mecca. The saqas must be persuaded to strike at a favourable moment. The local Government knows that the choice of Mecca as a point of departure for communist action is to be expected. It decided not to occupy itself with what persons affected might have exported to the land from which they came. The promise was merely made that no propaganda would be tolerated in this country. The Government has kept its word by arresting the committee-members of the two above-mentioned organisations.

The president MAHDAR has escaped.

The persons arrested are:-

1. Soetan Loentjak of Padang Pandjang (West Coast of Sumatra). This man was one of the leaders in the Province of Sumatra's West Coast. He took part in the disturbances at Padang Pandjang and Solok.

2. Fakih Ripat of Solok, leader of the disturbances there.

3. Marhoem of Padang (West Sumatra), treasurer of the P. I. I. He sold the cards of membership.

4. Abdullah Kamil, of Priaman Padang (West Sumatra), Secretary of the P. I. I.

5. Soemadisastra, Secretary of the S. B. I. Was arrested previously in Java on suspicion, but was afterwards released.

6. Ganda, of Oedjoeng Broeng, Bandoeng (in Java). Was in custody there for two days, but was released subsequently. He is treasurer of the S. B. I.

The six men now arrested will be sent to Java as

quickly as possible.

Syrians sympathise in their hearts with all those who oppose western supremacy.

الوثيقة السادسة

موضوعها : مقاطعة تجار الحجاز للبضائع السوفيتية .

تاريخها : ٢٢ نوفمبر ١٩٢٧

رقمها : E 5309/323/91, F.O. 371/12248

مصدرها : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

Acting Vice-Consul Jakins to Sir Austen Chamberlain.—*(Received December 12.)*

(No. 125.)

Sir,

Jeddah, November 22, 1927.

WITH reference to my telegram No. 66, I have the honour to submit the following report on the recent stay in this port of the Soviet steamship "Tomp."

2. My intention was first drawn to the intended visit by Haji Abdullah, Kaimakam of Jeddah, when he returned the call I had paid him on my arrival here. He appeared to have heard of a paragraph in the "Times" to the effect that a Russian ship was bringing pilgrims, flour and sugar to Jeddah, and that it was hoped to establish a regular commercial service between Odessa and the Hejaz. Haji Abdullah reminded me that last year a Russian vessel had called at the height of the pilgrimage season when, apart from a little natural curiosity, she had attracted no great attention. The flour she had brought had been easily absorbed. The kaimakam went on to say, however, that the question of establishing a regular service was a very different proposition, and if, as was rumoured, the Russians intended to undersell the current market price, the Jeddah merchants would sustain heavy losses on the stocks in hand and would be compelled to place future orders in Russia instead of India. I agreed with him that such a step would be lamentable but could suggest no remedy. I pointed out the parallel case of petrol in England and the matter was soon dropped.

3. It was next mentioned by the manager of Messrs. Gellatly Hankey (Sudan) (Limited), who informed me that his firm had been asked to act as agents to the "Tomp," and wished to know whether there was any objection to their accepting. I assured him that I saw none, and he therefore notified the Soviet agency of his willingness to undertake the agency on the distinct understanding that no petrol was to be landed, a co[illegible]tion which is explained by the fact that Messrs. Gellatly Hankey represent the Shell Company in this country.

4. Almost immediately following came the disturbing news that a member of the Soviet agency had been touting the market for buyers, freely offering flour and sugar at £1 a ton less than the current price, and adding that he was prepared to undercut the market at any price.

5. As soon as this news reached the kaimakam's ears he acted quickly. Calling together the chief merchants of the town, he drew up a memorial for their signature and sent it off to Mecca, begging for protection. As a result a meeting was arranged at Bahra, on the Mecca road, at which the Amir Feisal, the Acting Assistant Viceroy and the Director for Foreign Affairs met for discussion with the kaimakam and another representative Jeddah merchant.

6. As a consequence of this meeting the Director for Foreign Affairs burst into Jeddah on the morning of the arrival of the ship, the 11th November, to inform the consuls concerned that the plan, of which there had been vague rumours in the town, of levying some sort of discriminative tax on Soviet goods which would bring their prices up to market level had been abandoned, and it had been decided to impose a boycott on the goods. He therefore asked for our co-operation.

7. My Italian and Egyptian colleagues, who had followed the course of events with considerable anxiety, readily agreed to this proposal and immediately had their merchants warned. I was saved from an obvious embarrassment by the fact that Messrs. Gellatly Hankey's nervousness on the subject of petrol served to them as a check as regards the other commodities, and the local Indians, the only other British merchants, had, both in Mecca and Jeddah, voluntarily met and resolved not to touch the Soviet goods. The only doubtful supporters of the scheme were therefore the Turks, the Bokharis and a few Syrians over whom the French consul seems to exercise very slight authority. With characteristic vigour, however, the kaimakam had had these waverers informed in unmistakable terms of the course they were to adopt if they wished to continue in his favour.

8. The 12th November, therefore, heralded a series of skirmishes between the kaimakam and the Bolsheviks, who, in the face of such opposition, were straining every nerve to prevent their venture ending in failure and passed in their interminable squabbles with lightermen, customs and municipal officials, all of whom had been instructed to place every conceivable obstacle in the way of the new traders.

9. The 13th November gave a more serious turn to the situation. On that day it became generally known that six Russians had arrived by the vessel to take over the direction of Soviet commercial interests in the Hejaz. My Italian colleague was immediately up in arms. Obviously, if the Russians had brought their own commercial personnel they could themselves sell the wares. He therefore asked me to join him in an official protest. Permission had been refused, he said, to certain Italians who had wished to establish themselves in Jeddah, and in view of the grave political interests involved he was not going to stand by and meekly see the country thrown open to the Bolsheviks.

10. I assured him that I appreciated the possibilities of the situation, but I regretted that, in the absence of definite instructions, which I had had no time to seek, I could not join him in an official protest. Happily, I added, a case such as he could present needed no support of mine. Dr. Cesano therefore went alone.

11. He had, however, barely lodged his protest when it was reported to the kaimakam that the newcomers had no Hejazi visas on their passports. The explanation is the simple one that these visas are only obtainable in Cairo and Suez, and landing in Egypt had been forbidden to the passengers of the "Tomp."

12. But the opportunity which now presented itself was too good for Haji Abdullah to miss, and he issued an order that the Bolsheviks were to return to their ship at once. At this the unfortunate individuals not unnaturally took refuge in the Soviet agency, and when, later in the day, two ventured into the street, they were promptly seized by the police and clapped into gaol.

13. In the face of this affront the Bolshevik representative set off for Mecca to see the Amir Feisal, threatening that if he received no satisfaction he would go to Riyadh and see the King himself.

14. He does not appear to have effected any material change for the better by his threats or his persuasions. While the ship was being unloaded and buyers again being sought in vain it was decided that two of the six, one a doctor and the other a consular secretary, should be allowed to remain. The other four must return whence they came. Consequently, when the "Tomp" steamed out of Jeddah harbour on the 16th November, the staff of the proposed Soviet commercial bureau went with her.

15. With the departure of the ship, however, a further problem arose. What was to happen to the cargo which was still lying in the customs uncleared? Rumour was not slow in fixing on Husein Lary, the local Persian trading consul, as the only man who had the means and would dare to buy. The kaimakam therefore sent for his compatriot and told him quite clearly what was required of him. Lary seems to have been non-committal, but when, later, the rumour crystallised into the form that Lary had bought at the rate of £17 10s. 0d., duty paid, as against the current price of £20, the kaimakam did not hesitate to summon Lary again. What passed at this second interview is not known, but if the consul was the buyer he is too scared to take delivery, for the goods are still lying in the customs while the Soviet agency tries to arrange warehouse accommodation. In the meantime, the kaimakam has taken the further precaution to announce that no camels will be available for transport into the interior of goods of Soviet origin.

16. The cargo of the "Tomp" consisted chiefly of oak planks, sugar and two qualities of flour from Russia. In addition, some conserves of Turkish origin and a certain amount of brass trays and vessels such as samovars were carried. The name of the company chartering the ship is said to be the Russo-Turkish Company, whose head office is in Moscow and whose vice-president is, I understand, Ghaleb Kemali Bey, who formerly held diplomatic appointments in Greece and Italy. The names and some particulars which I have been able to gather concerning the six Bolsheviks who were on board are as follows:—

Belkin, Naum.—Managing director of the company to promote the commercial service between Odessa and the Hejaz.
Stancebitz, Alexandre.—Diplomatic courier.
Ozetrov, Vladimir.—Sub-director of Near Eastern Affairs at Moscow. Formerly secretary at Tehran.
Babadjan, Benjamin.—Described as a Tartar from the Crimea. Holds a doctor's diploma of Petrograd. Formerly at Kabul.
Bilz, Rudolf.—Intended Jeddah manager of the company.
Stupan.—Consular secretary, formerly attached to the Soviet Embassy at Angora.

Of these, the doctor, Babadjan, and Stupan have been allowed to remain.

17. It may be of interest in this connexion to note the attitudes adopted by various colleagues. The Italian consul, who has not hesitated to label the incident as one of the most important in the recent history of the Hejaz, acted throughout with great vigour

and determination. In view of the proximity of their colonies, his Government evidently view the possibility of the Bolsheviks obtaining a foothold in the Hejaz with considerable apprehension. Consequently, Dr. Cesano is not a little pleased with the part he played and accordingly credits himself with no small share in the success achieved. He has been very communicative to me throughout. My Egyptian colleague has also apparently received strong instructions from his Government and, during the period under review, he fully maintained his habitual close relations with Dr. Cesano. I found him very willing to impart his version of the day's news. I have not been able to measure my French colleague's interest. He seemed somewhat remote from the available sources of information and created for himself a further handicap in refusing to talk in the presence of his vice-consul, of whom he openly declares his suspicions. M. Gault commits the error of seeking the easiest available society, that of the Turk, to escape from his consul's hypochondria. The Turkish representative, in anticipation of the trade exhibition, supposed to be on board, arranged his rooms, it is said, and brought out and dusted some odd tins of preserves which remained from a former exhibition. On learning, however, of the attitude of the local authorities, he telegraphed to Angora for instructions and, receiving none, promptly took to his bed, where he remained until the "Tomp" sailed. His first public remark on his reappearance is noteworthy; it was to the effect that if Russian ships were not acceptable, Turkish ones would be tried.

18. The attitude of the Hejaz Government is interesting. It is generally admitted that in internal politics the present Government has little to fear from the Bolsheviks. It is highly unlikely that the Soviet Government will waste time upsetting this primitive monarchy while the Mecca pilgrimage gives them unique opportunities for easy propaganda in the East. Their interests are best served by a stable Government in the Hejaz to guarantee a regular influx of pilgrims. It is, therefore, difficult to imagine that the Hejaz Government took drastic action to oppose the consolidation of Soviet interests through nervousness of its own immunity from attack. It is true that the Minister for Foreign Affairs talked to me very largely of what the Government, as represented by himself, did, and went so far as to say that if the Bolsheviks had not given themselves up he would have sent in to their agency and had them brought out. I suspect Dr. Damluji, however, of an attempt to steal another's glory, particularly as when opposition was first mooted, the cardinal principle laid down, and subsequently applied in the boycott, was that there should be no direct Government intervention. Moreover, I am assured that when the Bolshevik representative saw the Emir Feisal at Mecca he was informed that the Government had no knowledge of the matter, and it is clear that the King in Riyadh was not consulted. Indeed, I should not be surprised if the boat sailed before His Majesty was aware of its arrival.

19. All the evidence, in fact, points to the kaimakam as the hero of the piece. It must be remembered that not only is he the leading authority in the town but he is also its biggest merchant. It was he who was first alarmed at the news of the coming of the "Tomp," and I have little doubt that, realising that if Russian products gained a hold in the Hejaz, he would not only lose heavily on his stock in hand, but also, with the diminution of imports from India, his commission as a leading shipping agent and his share in the profits of his Bombay house, Haji Abdullah went up to Bahra with his mind fully made up and presented his case with such conviction as to bring away almost absolute authority to act in the emergency. After all, excess of zeal on the part of the local authorities would serve as an excellent excuse if ever one were required.

20. There is, however, no reason to suppose that any query will be raised, for I am credibly informed that the Bolshevik representative has already apologised to the Government for the technical breach of the regulations regarding entry of foreigners into the Hejaz. This, in itself, is a significant indication of the attitude which the Soviet Government is likely to adopt. I believe the kaimakam imagines that he has frightened the Bolsheviks away for good and all. It is to be feared that he underrates their persistency. A single rebuff will not cause the Bolsheviks to abandon their scheme for a regular commercial service extending down the eastern coast of the Red Sea as far as Aden. Next time they will be better prepared, and it will then remain to be seen what effective measures can be taken to oppose them. One thing, at any rate, seems certain; that the second stage of Soviet activities in Jeddah, foreshadowed by Mr. Mayers in his despatch No. 26 of the 18th March, 1927, has begun.

21. I have sent a copy of this despatch to His Majesty's Ambassador at Constantinople, His Majesty's High Commissioner at Cairo and the Political Resident at Aden.

I have, &c.

H. G. JAKINS.

الوثيقة السابعة

موضوعها : مخاوف لورد لويد من النشاط السوفيتي .

تاريخها : ٢٨ يناير ١٩٢٨.

رقمها : E 612/332/91, F.O. 371/13008

مصدرها : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

No. 82.
(8000/111).

THE RESIDENCY,
CAIRO,
28th. January, 1928.

Confidential.

Sir,

With reference to my telegram No. 464 of November 19th., 1926 and your despatch No. 1305 (E 6429/1426/91) Confidential of November 29th. 1926, I have the honour to report that Amin Bey Tewfiq, the Egyptian Consul at Jeddah who has just been transferred to Beyrout, recently called on a member of my staff and spoke at some length on the subject of Russian activities in the Hejaz. In view of the eccentricities of his chief, Morcos Hanna Pasha, it is necessary that his statements should be treated as strictly confidential.

The Right Honourable
Sir Austen Chamberlain, K.G.,
etc., etc., etc.

2. Amin Bey Tewfiq said that, not discouraged by the unfriendly reception of the S.S. "Tomp" at Jeddah (see Jeddah despatch to you No. 125 of 22nd. November 1927), the "Russo-Turque" Company has now obtained permission from Ibn Sa'ud to establish an agency at Jeddah. A Turkish subject of Bokharan origin, resident at Mecca and named Ahrar Khoja, had been appointed head of the Jeddah office. Several subordinates, who had previously held political appointments, were being sent to work under him in this nominally commercial organisation. Further visits in the near future of Soviet ships could be expected at Jeddah, with cargoes of sugar and flour to be sold at obviously uneconomic prices with the object of ousting other foreign and mainly British trade. Amin Bey Tewfiq thought that the Turkish representative in the Hejaz had lent his support to his Russian colleague in securing the Government's

permission ..

permission for the establishment of the Russo-Turque agency at Jeddah.

3. The Egyptian Consul went on to say that, in his opinion, the whole Russian organisation in the Hejaz constituted a real danger to those Powers whose nationals flocked yearly to the pilgrimage and could be easily infected by the Bolshevik virus. From such an ideal distributing centre Bolshevik propaganda could be scattered through the Islamic world.

4. Amin Bey Tawfiq also thought that the Soviet agents would have an easy task in their corruption of Hejaz officials, more especially of the Syrians in the administration. These Syrians were adventurers and would be easily amenable to corruption. In this connection, I would invite a reference to Hafez Wahba's remarks in his recent conversation with me (see paragraph 5 of my despatch No. 39 of January 14th.).

5. His Majesty's Agent and Consul at Jeddah will no doubt report to you the progress of the Russo-Turque agency's enterprise and other Bolshevik activities in the Hejaz. I venture, however, to suggest that we should without delay consider how we can best co-operate with Ibn Sa'ud to check this Bolshevik infiltration, the dangers of which to all Muslim countries under our aegis, especially to the Sudan and Egypt, nearest to this centre of infection, are too obvious to require emphasis. Ibn Sa'ud had expressed a desire to co-operate with us in this matter, in return, it would seem, for assistance from us in S.W.Arabia (see my despatch No.39 of January 14th.). I do not think that we should treat this offer lightly. It is doubtless not to his interest that

Bolshevism ...

Bolshevism should find a centre of propaganda in the Hejaz. From a remark let drop by Amin Bey Tewfiq it would seem that some Hejaz officials at any rate were apprehensive lest Bolshevik propaganda in the Hejaz might induce the foreign Governments concerned to discourage their subjects from making the pilgrimage. It seems, anyhow, possible that Ibn Sa'ud and his Government might co-operate with us to circumscribe Bolshevik activities in the Hejaz, even if they are not yet ready to resort to drastic measures of expulsion. It is, therefore, of importance to us that we should as far as possible by our policy in general and by our particular attitude in S.W. Arabia give Ibn Sa'ud reason to apprehend advantages from his co-operation with us, especially against a Bolshevik offensive.

I have the honour to be,

With the highest respect,

Sir,

Your most obedient, humble servant,

HIGH COMMISSIONER.

الوثيقة الثامنـــــة

موضوعها : موقف الملك عبد العزيز من النشاط السوفيتي .

تاريخها : ١٥ فبراير ١٩٢٨

رقمهـــا : E 612/332/91, F.O. 371/13008

مصدرهـــا : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

E 612/332/91.

S.W. 1.

CONFIDENTIAL.

11th February, 1928.

Sir,

With reference to Foreign Office letters numbered E 6429/1426/91 of November 26th and December 2nd, 1926, I am directed by Secretary Sir Austen Chamberlain to transmit to you the accompanying copy of a despatch from the High Commissioner in Egypt, relative to Bolshevik activities in the Hejaz.

2. As Mr. Secretary Amery will observe from the enclosure in Foreign Office letter No. E 304/80/91 of February 13th, the question of the danger of Bolshevik propaganda in the Hejaz has been raised by Ibn Saud himself in his recent letter to Lord Lloyd. It is not clear from that document whether His Majesty has any definite ideas or proposals on the subject, but his references to possible Bolshevik offers of assistance suggest that he is prepared effectively to control Bolshevik trade activities and combat Bolshevik propaganda in his dominions in return for assistance from His Majesty's Government.

3. In the opinion of the Secretary of State, comparatively little danger to British interests is to be anticipated from Bolshevik commercial penetration in Arabia; but the opportunities offered by the Pilgrimage for the infiltration of anti-British propaganda among the pilgrims constitute, as Lord Lloyd points out, a serious menace. They are

moreover,

The Under Secretary of State,
Colonial Office.

moreover, as His Lordship intimates, a danger to Ibn Saud himself.

4. There seems little reason to doubt the ability of Ibn Saud to control Bolshevik activities in his dominions, should he find it in his interest to do so. The question remains, therefore, of what inducement His Majesty's Government can properly offer him. A decision on this matter must however in the first instance be dependent on that reached on the other points raised in Ibn Saud's letter to Lord Lloyd referred to above, i.e. his apprehensions regarding Italian ambitions in Arabia and his difficulties in his relations with the rulers and governments of Iraq and Transjordan. It may conceivably prove possible eventually to offer Ibn Saud some form of commercial and financial facilities, especially in connexion with military supplies, which would constitute a further inducement to him, if such should be needed, to take action to check Bolshevik activities in his dominions.

5. Before, however, considering the matter further I am to request that Sir Austen Chamberlain may be furnished with the views of Mr. Amery on the question.

I am,

Sir,

Your obedient Servant,

[illegible]

الوثيقة التاسعة

موضوعها : موقف وزارة الهند من النشاط السوفيتي في الحجاز .

تاريخها : أول مارس ١٩٢٨

رقمها : E 1105/332/91, F.O. 371/13008

مصدرها : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

It is requested that in any further communication on this subject the under-mentioned letter and number may be quoted, and the reply addressed to—
The Under Secretary of State for India,
Political Department,
India Office,
London, S.W. 1.

P. 760.

E 1105
MAR 1928

INDIA OFFICE,
WHITEHALL,
LONDON, S.W. 1.
1st March 1928.

Russian Activities

Sir,

I am directed by the Secretary of State for India to reply to your letter No.E.612/332/91, dated the 15th February, with reference to Bolshevik activities in the Hedjaz.

The Earl of Birkenhead agrees that it is desirable to take all possible steps to minimise the utilisation of the Hedjaz pilgrimage as a means for the dissemination of Bolshevik propaganda, and to prevent Ibn Saud himself (if there is any risk of this) from falling under the influence of the Soviet Government.

The Under Secretary of State,
FOREIGN OFFICE.

His Lordship does not however feel that he is at present in a position to add anything in the way of detailed proposals to the general lines of policy already suggested in the correspondence. He assumes, as regards any question of explicitly requesting or encouraging Ibn Saud to take measures against the Soviet Government, that if it be not thought possible in present circumstances to urge upon him the complete exclusion of the Bolsheviks the policy laid down in the telegram to Mr.Jordan No.2 of the 27th November 1926, still holds good, viz. that, if and when the activities of Soviet agents give specific cause for complaint, Ibn Saud might be informed accordingly and told that His Majesty's Government would appreciate it if he should find it possible to curb their activities.

The question appears (to) Lord Birkenhead to resolve itself at present . . .

الوثيقة العاشـــرة

موضوعها : موقف الملك عبد العزيز من السوفيت .

تاريخها : ٩ أبريل ١٩٢٨

رقمهـــا : E 2263/332/91, F.O. 371/13008

مصدرهـا : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

Consul Stonehewer-Bird to Sir Austen Chamberlain.—(Received April 30.)

(No. 42.)

Sir,

Jeddah, *April* 9, 1928.

I SEE from Lord Lloyd's despatch No 39 of the 14th January, a copy of which you were good enough to forward to me under cover of your despatch No. 26 of the 24th February, that King Ibn Saud is seeking to make capital out of his attitude towards bolshevism by giving the impression that the strong action recently taken by the Hejaz authorities was taken in British interests.

2. Though undoubtedly actuated by a desire not to act in direct opposition to the interests of His Majesty's Government by allowing Bolshevik influences to work in the Hejaz, the King has good and sufficient reasons of his own for so acting.

3. In the first place, as I had the honour to state in my immediately preceding despatch, the natural market for the Hejaz is British India. Hejaz merchants, who, largely owing to their readiness to replenish at need the depleted coffers of His Majesty, exercise considerable influence, have in most cases their head offices in Bombay. They have, therefore, everything to lose by a diversion of commercial traffic from India to any other country. The attempt of the Soviet to introduce commodities such as flour and sugar at prices competing with those quoted for Indian imports met with the stoutest opposition on the part of local merchants. The position of the latter was greatly strengthened by the fact that the most important of their number is also the Governor of Jeddah.

4. A second reason why Ibn Saud must at all costs prevent the dissemination of Bolshevik propaganda in the Hejaz is the fear that pilgrims may be contaminated. It may appear at first glance that this danger is one to cause alarm to the Governments of India, the Dutch East Indies, Malaya and Egypt rather than to Ibn Saud himself. The suspicion, however, that pilgrims were imbibing in the Hejaz the poison of communistic doctrines would be quite sufficient to justify the Governments affected in withdrawing from the pilgrimage their special sanction and support. I have continually urged this consideration on the Hejaz Minister for Foreign Affairs and the King is, I am convinced, fully alive to the dangers of rendering the pilgrimage less popular. Not only the prosperity but the very existence of the Hejaz depends on the pilgrimage.

5. As I had the honour to state in my last Jeddah report, the Soviet representative does not hide his disappointment at the meagre results obtained by his agency during their four years' stay in the Hejaz. The open attempts to influence Ibn Saud in which Khakimoff appears to have indulged on his first appointment here met, I gather from the reports of my predecessors, with definite snubs. The Soviet's latest endeavour to gain favour and influence by the introduction and distribution of cheap food-stuffs has met with an equally decided check.

6. It is more difficult than would appear to "get at" pilgrims. From the moment of their arrival at Jeddah they pass according to their nationality under the control of the mutawifs or their agents and no person of other nationality may attach himself to any party. Any attempt by an unauthorised person to visit these parties of pilgrims would be immediately detected in Mecca, where, owing to the concentration of all pilgrims in houses in the proximity of the mosque, close surveillance is easily effected.

7. The Soviet agency may, of course, endeavour in other ways than by poisoning the minds of pilgrims to take a hand in disturbing the peace of the world. I cannot think that they are in any way connected with the recent troubles on the Iraq frontier, though it is a supposition which I have heard advanced by intelligent observers, and the idea appears to underlie Signor Gasparini's recent remarks to the Governor-General of the Sudan. My Italian colleague is fully convinced; he has, indeed, proof that Ahmed Senussi is in correspondence with the Soviet agency. Though he is unaware of the subject matter of the correspondence, he suspects that the Senussi is seeking pecuniary assistance to carry out his plan of return to his country.

I have, &c.

F. H. W. STONEHEWER-BIRD.

JEDDA,
June 2, 19[illegible].

Sir,

With reference to your telegram No.5 of March 5, I have the honour to transmit herewith a copy of a Note which I addressed to the Ministry for Foreign Affairs on the 19th ultimo on the subject of Leon Elkonin together with a translation of their reply.

2. On the receipt of your telegram under reference I duly informed the Minister for Foreign Affairs orally of Elkonin's record, adding that His Majesty's Government and the Egyptian would view his appointment with apprehension.

3. On the 19th instant, when information reached me that two Soviet ships would shortly be arriving at Jedda, I thought fit to address a Note to Dr. Damluji reminding him of our conversation.

4. Dr. Damluji came to see me on the 21st instant and informed me that my Note had been discussed by the King's counsellors in the presence of His Majesty and had aroused a certain amount of resentment. I expressed great surprise, as I failed to see on what grounds exception could be taken. Dr. Damluji replied that the last sentence might be read as an instruction to the Hejaz Government to reject Elkonin. He then read me his proposed reply which laid stress on the Government's right to allow Elkonin to land and only to eject him if his actions in Jedda merited that

course

His Majesty's Principal Secretary of State
for Foreign Affairs.

course. I said that there was no question of an instruction to the Hejaz Government. Elkonin was an undesirable and it was the obvious duty of a friendly Government to warn Ibn Saud of the possible danger of his presence in the Hejaz. The expression "His Majesty's Government view with apprehension" would be used in similar circumstances in a Note addressed to any great Power and I failed to see how the friendly warning of His Majesty's Government could be interpreted as he pretended it had been, as an attempt to dictate a certain line of action.

5. Damluji replied that the Hejaz was a very youthful nation with a weak digestion and that the Note digestible no doubt by France or Italy was too strong meat for them. I implored Dr. Damluji not to be so excessively touchy. There were signs that certain of the King's counsellors were continually on the look out for attacks on Hejaz independence and freedom of action, whereas, I did not need to assure him, we were merely anxious to help, not to interfere.

6. Damluji agreed and promised to discuss the matter of Elkonin again with the King's counsellors before sending his reply. I duly received his Note on the 26th ultimo. The Note as received means little or nothing. Elkonin was not a passenger on either of the Soviet ships. In spite of the queer wording of Dr. Damluji's Note I have every confidence that the Hejaz Government would refuse permission to this or any other notorious undesirable to take up a post in the Hejaz.

7. Dr. Damluji himself is feeling the strain of his position. His influence, never great, appears to have decreased largely in favour of Yusuf Yassin's.

.... (Bird)

الوثيقة الثانية عشـــرة

موضوعها : الملك عبد العزيز يعرض مساعدته على بريطانيا لمقاومة السوفيت .

تاريخها : ٥ فبراير ١٩٢٩

رقمهـــا : E 886/381/91, F.O. 371/13731

مصدرهـا : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

Lord Lloyd to Sir Austen Chamberlain.—(Received February 19.)

(No. 106.)

Sir, *Cairo, February 5, 1929.*

YOU will recall that in the closing paragraphs of his letter enclosed in my despatch No. 39 of the 14th January, 1928, Ibn Saud raised the question of Soviet economic influence in Arabia, with the implicit suggestion that his resistance to Bolshevik penetration should be acknowledged in some practical manner by His Majesty's Government. In the reply then returned to him (see your telegram No. 67 of the 23rd February, 1928), this point was not specifically discussed; but, during the Jeddah conversations of last summer, I understand that His Majesty mentioned the subject to Sir Gilbert Clayton. More urgent matters, however, then pressed for settlement, and the reference was, I gather, no more than casual. Ibn Saud has now returned to the charge, in a letter translation of which I have the honour to enclose. This letter was delivered by Sheikh Hafez Wahba, who has been living for some months in Cairo.

2. It will be observed that Ibn Saud enquires what return His Majesty's Government are prepared to make for preferential treatment by him of British trade, as against Soviet [illegible]ssia. It is difficult to see how any commercial treaty could be concluded with His Majesty in this sense without arousing considerable hostility among foreign Powers, or, if the suggestion is that preference should be given to all foreign countries over Soviet Russia, how His Majesty's Government could appear as the sponsor of so unusual an arrangement.

3. It is, however, probable that, behind this letter, lies more than a desire for commercial accommodation. Sheikh Hafez Wahba, to whom His Majesty would appear to have written at some length, confirmed this impression, and suggested that Ibn Saud, resentful of what he represents as incessant and provocative raiding from Transjordan and other manifestations of shereefian hostility both there and in Iraq, desires some tangible evidence of British sympathy a[illegible]ort, whether in the shape of a subsidy, the supply of arms and munitions, more eff[illegible]ve restraint of shereefian activities at Amman and Bagdad, or otherwise. While disposed to credit His Majesty's Government with goodwill, and to appreciate their frequent expressions of friendliness, Ibn Saud would yet seem to be anxious for some solid proof of the reality of these sentiments. It is possible, therefore, that from the reception accorded to his present rather vague proposals, he may estimate the possibilities of some more comprehensive *entente*.

4. In conversation with Sheikh Hafez Wahba on the 3rd January, I confined myself to a statement of the obvious difficulties in the way of any uniquely discriminating commercial agreement and to a request that the sheikh should endeavour to ascertain rather more precisely what was in His Majesty's mind. I added that any concrete suggestions for Riyadh would be at once submitted for consideration in London. I also suggested that any Bolshevik activity in Arabia was perhaps a matter of more concern to Ibn Saud than to ourselves.

5. Sheikh Hafez Wahba undertook to communicate with Ibn Saud on these lines, but on the morrow of his visit he fell ill and was compelled to undergo an operation. He has since been confined to his bed, and further developments must await his convalescence. Meanwhile, I have thought it advisable not to delay any longer in bringing Ibn Saud's letter to your notice.

6. I am sending a copy of this despatch to His Majesty's agent and consul, Jeddah.

I have, &c.

(In the absence of the High Commissioner),

R. H. HOARE.

Enclosure in No. 1.

Ibn Saud to Lord Lloyd.

(Translation.) *The Kingdom of the Hejaz, Nejd and their Dependencies, Gamad Thani 26, 1347, of the Hegra.*

Excellency,

WE avail ourselves of the opportunity to congratulate you on your safe return to Egypt, and to wish you every success in your work there.

1. The friendly relations which exist between us and our knowledge of your desire to consolidate these relations between our kingdom and His Britannic Majesty's Government encourage us to lay before you such matters of interest to both countries as have existed in the past, in the hope that you would be the best intermediary to explain the exact situation to His Britannic Majesty's Government, with a view to facilitating the solution of the present difficulties which both parties desire to achieve.

2. We have replied to the request of His Britannic Majesty's Government to have the question of the ill-omened fortresses in Iraq referred to a commission of arbitration; but we hope that His Britannic Majesty's Government will themselves find a solution to this question, in order to avoid the delays involved in having it referred to arbitrators or the like. We are awaiting their reply on this subject.

3. We are faced to-day with a question of great importance, to which we referred in our previous letter to your Excellency; but, so far, we do not see that His Britannic Majesty's Government is showing any interest in it, and we therefore request you to draw the attention of His Britannic Majesty's Government to its importance and to lay it before them in detail, so that, in case His Britannic Majesty's Government is interested in the matter, we might be informed of its views in regard to it. Many foreign Powers are actively occupied in the Hejaz in ousting British trade and securing our market; the most active among these Powers are the Soviets. As we have already informed you last year, we have tried to defeat their activities and prevent them from attaining their object, in the hope that His Britannic Majesty's Government might conclude with us a commercial treaty whereby our Government and our people might obtain certain advantages in exchange for their resistance to the Soviet activities, but His Britannic Majesty's Government has given no heed to the matter and has not entered into any consultation with us. This year the Soviets have returned to the charge, and their object is merely to oust British goods not only in the Hejaz, but also in the Yemen, and perhaps even beyond that, and we have so far resisted them. We would therefore like to know quite frankly what His Britannic Majesty's Government is prepared to concede to us in exchange for our protection of British trade in our country and for our obstruction to other countries' trade, and more particularly to that of the Soviets. If, therefore, His Britannic Majesty's Government is interested in this matter, we would request that they might give to it their attention, and open negotiations with us through their commissioner when we return to the Hejaz. And if the matter does not interest them much, we do not wish to worry His Britannic Majesty's Government about anything unless there is an interest for them.

4. We have therefore informed your Excellency of these facts in this letter, and we are always anxious that perfect agreement should exist in our communication.

We have, &c.

(Seal.)

الوثيقة الثالثة عشـــرة

موضوعها : معونة مالية للملك عبد العزيز

تاريخها : ٢٦ مارس ١٤٠٩

رقمهـــا : E 1668/381/91, F.O. 371/13731

مصدرهـا : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

Lord Lloyd to Sir Austen Chamberlain.—(Received April 2.)

(No 243.)

Sir,

Cairo, March 22, 1929.

WITH reference to my despatch No. 163 of the 22nd February regarding Ibn Saud's overtures with a view to anti-Bolshevik action in the Hejaz, I have the honour to report that Sheikh Hafez Wahba has received a letter from Ibn Saud in reply to my suggestion that His Majesty should state more precisely what he had in view. Ibn Saud's letter is brief and vague. The King states that he had expected His Majesty's Government to examine the question with a view to devising means of co-operation.

2. Sheikh Hafez Wahba, in conversation with the oriental secretary, intimated quite frankly that it was a subsidy which Ibn Saud had in view. The King's position in the present Arabian scheme of things was growing more difficult. From time immemorial the Bedouin had freely indulged in razzias on each other. Before the war there were no insurmountable difficulties to the indulgence of this habit. Arabia was in the hands of various contending Powers—Turks, Ibn Rashid, Ibn Saud, the Shereefians, &c. The adherents of any of these different Powers had no scruples about raiding those of another. Now a great part of Arabia was unified under Ibn Saud, and the Arabs within that region could not raid one another. Iraq and Transjordania were under the British Government, and raids into those territories were not treated as normal romantic incidents of desert life. Something had to be done to content the unruly and hungry tribal elements. It was largely by presents and by lavish hospitality that the tribes could be kept in order. Unfortunately, the financial resources of Ibn Saud and his Government were meagre, and there was no doubt that he was faced with considerable financial stringency. The sheikh concluded that the former annual subsidy paid to Ibn Saud would cost His Majesty's and mandatory Governments less than the expenditure involved in movements of troops, aeroplanes, armoured cars, &c., and other defensive measures against unruly Nejd tribesmen whom Ibn Saud at present had great difficulty in controlling.

3. In spite, however, of these difficulties, Ibn Saud was, according to Sheikh Hafez Wahba, doing his utmost to keep the tribes in order. He had recently gone to Kassim in order to collect forces with a view to punitive action against Faisal-ul-Dawish, Ibn Hithlein and Ibn Humeid, who appeared to be definitely out of hand.

4. No encouragement was, of course, given to Ibn Saud's representative to expect that His Majesty's Government would be likely to renew the subsidy. I think, however, that the sheikh's picture of the Arabian situation is worth sympathetic study, for the position of Ibn Saud between his own unruly tribesmen and his Shereefian enemies in our mandated territories is one of considerable difficulty.

5. I am forwarding a copy of this despatch to His Majesty's agent and consul at Jeddah.

I have, &c.

LLOYD, *High Commissioner.*

الوثيقة الرابعة عشـــرة

موضوعها : رأى لندن فى تجديد معونة مالية للملك عبـــد العزيز لصد النشاط السوفيتى .

تاريخها : ٦ مايو ١٩٢٩

رقمهـــا : E 2222/381/91, F.O. 371/13731

مصدرهـا : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

The suggestion for a renewal of the subsidy was only put forward by Hafiz Wahba in a very tentative form in reply to our enquiry what Inb Saud really wanted. Such a renewal is, of course, out of the question, and I cannot believe that Ibn Saud ever expected anything to come of the suggestion, which certainly cannot be followed up. In the unlikely event of Hafiz Wahba reverting to the question here, he can be told quite definitely that there is no chance of its being considered.

I think it is clear, however, from paragraph 3 of Ibn Saud's letter to Lord Lloyd in E.896 and from paragraph 4 of Mr. Bird's despatch No.45 in E.1035, that there is a close connexion between Ibn Saud's proposals for a commercial agreement and his suggestions for combatting Bolshevik influence in Arabia. The difficulty is that what Ibn Saud wants is some commercial concession as a reward for his efforts to counteract Bolshevik influence. Merely to offer to help him in his campaign against the Bolsheviks, therefore, will hardly meet his point; and, although he may possibly be willing to accept our assistance, I do not think the offer likely to affect the main issue. It may merely make him think that we attach even more importance than we do to combatting the Bolshevik activities and that he is, therefore, entitled to ask an even higher price for anything he may do himself in this direction.

I think, therefore, that, before going any further with the suggestion contained in this letter, we should ask Mr. Jakins for his views, and enquire whether he considers that the Hejazis would welcome the proposal, or that the situation would be in any way improved if it were made.

Further, it should be noted that Sir G. Clayton, who was authorised to raise the question (unofficially) a year ago if a suitable opportunity should present itself, did not do so. It is possible that he came to the conclusion that such an offer would merely do harm, and I think we should be well advised to ask the Colonial Office to obtain his views on the point before a final decision is reached.

Finally, as the present proposal is closely bound up with the question of the pilgrimage from India, it would be well to hear what the India Office has to say.

In these circumstances

Qy. Reply to the Colonial Office in the above sense, suggesting that they should obtain the views of Sir G. Clayton and of the India Office, but say that we are ~~proposed~~ meanwhile ~~should they think it desirable, to consult~~ ask the Acting British Agent at Jeddah for his personal views on the question how far the present proposal is likely to meet the situation or to prove acceptable to the Hejaz Government.

G. W. Rendel.
6th May, 1929.

Monteagle 6/5

L.O. 8 May

الوثيقة الخامسة عشرة

أ

موضوعها : النفوذ السوفيتي في شبه الجزيرة العربية ٠

تاريخها : ٢٢ مايو ١٩٢٩م

رقمها : F.O. 371/13731 ; E 2631/381/91,

مصدرها : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

MEMORANDUM.

Bolshevik Influence in Arabia.

During the last six months we have received many hints that if Ibn Saud is to continue his present anti-Bolshevik policy he desires some definite and tangible quid pro quo (see especially E.311, E.826, E.1035 and E.1448) (E.1800, Flag E). Beyond telling him that we would be prepared to conclude a commercial treaty, we have not been able to think of any attractive quid pro quo which [illegible] could prop[illegible]ly offer; [the suggestion of the Colonial Office [illegible]at we should in addition offer to help Ibn Saud to counteract Bolshevik influence by supplying information regarding agitators (see E 2222, Flag F) is hardly likely to appeal to His Majesty] and it must be remembered that, once he realizes that the suggested treaty will be merely on the lines of the recent Polish-Indian ~~agreement~~ convention (see E 2167, Flag G), he may not regard even this as particularly valuable. A subsidy (which is no doubt what His Majesty would prefer) is for obvious reasons out of the question.

2. We must therefore, I think, seriously consider whether Ibn Saud is bluffing (in which case we can call his bluff by simply continuing our present attitude and eventually proposing a quite innocuous treaty), or whether there is any real chance of his (a) permitting the Bolsheviks to sell their shiploads of goods in Jeddah and elsewhere (see E.838, Flag H), (b) concluding a definite commercial treaty with them on the lines of that recently signed by the Imam Yahia of the Yemen, and (c) giving a free [illegible] to Bolshevik agents and agitators in the Hejaz, [illegible]ere they would be in a position to contaminate India and the East by perverting the pilgrims to Mecca.

3. It is difficult to be dogmatic in regard to any of



exercise that strict surveillance over Bolshevik agents that he has hitherto maintained. While there is no reason to suppose that he would welcome any extension of Bolshevik - more especially Communist - intrigues as such, he might nevertheless find himself in a weak position for resisting them. All things considered, we should probably be unwise to discount the possibility of any of the eventualities mentioned in paragraph 2 of this memorandum, and we should in any case reinsure against them, if possible, by offering Ibn Saud something more attractive than a jejune treaty and our continued goodwill.

5. It so happens that at this moment we are in a position to supply Ibn Saud with something that he wants very badly indeed, namely arms and ammunition for use against the rebellious Ajman. I do not for one moment suggest that we should bring any pressure to bear by refusing to produce these arms save in return for some guarantee of a continued anti-Bolshevik policy in the Hejaz. This would, rightly, antagonize Ibn Saud, and produce the impression that we were failing him in his hour of need. On the contrary, we must make every effort to get the arms to Uqair with the least possible delay. But it will be remembered that the Government of India are asking Ibn Saud [illegible] to pay no less than £34,000 for two thousand second-hand rifles and one million rounds of ammunition. This, unless I am mistaken, is a stiffish price to ask anybody for second-hand material, which might never be disposed of otherwise, let alone some one whom we are particularly anxious to help.

6. There seems, therefore, to be a valuable card that we can now play. No harm has been done by asking in first place a high price for the arms and ammun[illegible] indeed, will very probably accept this. But if

and even if he does not) the Government of India should, I think, agree to waive all, or at any rate part of the £34,000, leaving Ibn Saud to meet the cost of transport alone. As the matter is one of Imperial interest, His Majesty's Government might bear half the cost of this concession by supplying the Government of India with 1,000 rifles and five hundred thousand rounds of ammunition from surplus stores in Palestine or elsewhere. In this way no direct charge at all would fall on either Imperial or Indian revenues.

7. If it is eventually decided to make this concession, Mr. Jakins might be authorised, when informing the Hejaz Government of the fact, to convey an oral message (preferably to Ibn Saud himself) to the effect that His Majesty's Government are only too happy to be of assistance to His Majesty for the sake of their long-standing friendship; that they have given signal proof of their goodwill by foregoing a large sum of money; but that, as His Majesty will realize, they can make no guarantee that similar assistance will be forthcoming in the event of his entering into close relations with any other State, or extending to the commerce of any other Power facilities which would react to the disadvantage of British or British Indian traders in the Hejaz.

8. I accordingly suggest that we should write to the India Office on these lines, and send a copy to the Colonial Office and Air Ministry, for their observations.

[signature]
May 23.

الوثيقة السادسة عشرة

موضوعها : نشاط شكيب أرسلان في الحجاز .

تاريخها : ٢٨ مايو ١٩٢٩ .

رقمها : E 2935/2935/91, F.O. 371/13740

مصدرها : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

No. 12[illegible].
(14820/3).

E2935/2935/91.

THE RESIDENCY,
CAIRO,
20th. May, 1929.

Confidential.

Sir,

I am directed by His Excellency the High Commissioner to enquire whether you have any information regarding the activities of Emir Shekib Arslan in the Hejaz.

2. The Emir is a Druse, and started his career by being strongly pro-Turk, pan-Islamic and anti-Arab. After the war he became anti-French and pro-Syrian. He has recently been to Moscow and is almost certainly working under Soviet direction.

3. He recently passed through here with presents for Ibn Saud, and, in conversation with various persons, used language showing considerable intimacy with Bolshevik leaders.

His Majesty's Agent & Consul,
Jeddah.

الوثيقة الثامنة عشرة

موضوعها : أهمية إقناع الملك فؤاد بالاعتراف بالملك عبد العزيز في مقاومة النشاط السوفيتي .

تاريخها : ١٥ يونية ١٩٢٧

رقمها : E 3214/2137/91, F.O. 371/13735

مصدرها : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

in Persia.

5. The Syro-Palestenian Committee, which is opposed to Shekih Arslam, is rather apprehensive lest the Emir may succeed in enticing Ibn Saud into some disastrous adventures in Syria.

6. He will be glad of any information you can furnish regarding the purpose and results of the Emir's visit to the Hejaz.

Sig.

(Maurice Peterson)
First Sec.

الوثيقة السابعة عشرة

موضوعها : لويد والنشاط السوفيتى فى مصر واليمن وفلسطين .

تاريخها : ٥ يونية ١٩٢٩

رقمها : E 3061/381/91, F.O. 371/13731

مصدرها : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

No. 496.
(8000/126)

THE RESIDENCY,

CAIRO,

SECRET.

6th June, 1929.

Sir,

In correspondence ending with my despatch No. 243 (8000/125) of March 22nd. last, I have reported fully on Ibn Saud's advances with a view to co-operation with us against Bolshevik penetration into Arabia. No definite response has, to my knowledge, been made by His Majesty's Government to these advances.

2. In my despatch No. 463 of May 28th. last I have reported on the disquieting mission of the Emir Shokib Arslan to the Hejaz, and the presents, no doubt from Moscow, which he openly declared that he was taking to Ibn Saud.

The Right Honourable
Sir Austen Chamberlain, K.G.,
etc., etc., etc.

3. The despatch of Bolshevik Moslem agents, having undergone a previous training at Moscow, to the tribes in Nejd, has been reported to you from secret sources.

4. In my despatch No. 243 (8000/125) of March 22nd. last, I reported the remarks of Sheikh Hafez Wahba regarding Ibn Saud's financial difficulties. If we meet his advances in a purely negative spirit, it is not difficult to imagine circumstances of internal embarrassment which might lead Ibn Saud, in despair of other succour, to yield to the Bolshevik tempter and accept the Russian gold which would bring him temporary relief at, it is true, the cost of ultimate

disaster ....

disaster for himself.

5. In the Yemen the Soviet Government, after the conclusion of a Treaty with the Imam (see correspondence ending with your despatch No. 262 - E 1245/543/91 - of the 25th. March last), have been displaying considerable activity of which you have been informed from other sources. I would, among more recent reports on this subject, invite special attention to paragraphs 901 and 941 of the Aden Political Intelligence Summaries of February 16th. last and the 11th. ultimo respectively.

6. Recent reports of Egyptian Police officers, based on conversations with officers and sailors of Soviet ships lying in Egyptian ports or in transit through Egyptian waters, indicate a very considerable increase in the number of Russian vessels to ply between Odessa and the Persian Gulf, touching at Western Arabian ports. It will be remembered that before the war the Russian Volunteer Fleet, which handled the service with the Persian Gulf, only sent four vessels a year on the long circular voyage from Odessa to Vladivostock which included the Persian Gulf. It is impossible to believe that the requirements of post-war Russian export and import trade to the Arabian and Persian world are greater than in the days of relative economic prosperity under the old régime. The recent disturbances among the workmen of the Anglo-Persian Oil Company at Abadan provide a significant reminder of the danger of Russian penetration in those parts.

7. The activities of the Bolsheviks in Palestine have been brought to your notice from other sources. The Zionist immigration has inevitably included some undesirable elements

from ......

from Eastern Europe and furnished the Soviets with a heaven-sent jumping-off ground for penetration into Arabia and Egypt. I am glad to say that in Egypt it has been possible to check this penetration for the time being owing to the energetic action taken by the Ministry of the Interior. In Palestine, however, it has apparently been found impossible to take adequate action against what has now become a dangerous centre of Bolshevik infection. In this connection, the Under-Secretary of State for Foreign Affairs, whose friendliness to us is beyond doubt, recently made a significant remark in the course of a conversation with the Oriental Secretary regarding the restrictions placed by the Public Security Department on the entry of Polish subjects into Egypt. Waguih Pasha regarded these restrictions as excessive in view of the fact that the Polish Government was notoriously anti-Bolshevik and could be counted on to co-operate with the Egyptian authorities to ensure that Polish travellers to Egypt should be of an unexceptionable type. His Excellency then went on to remark that this discrimination against Poland was rather absurd in view of the leniency with which Palestine was treated in this respect, although nearly all the Communists who had been troubling Egypt had come from Palestine.

8. No doubt there are, in the Perso-Arabian world, factors of government, religion, tradition and social practice which militate powerfully against Bolshevism. The theocracies of Nejd, the Hejaz and the Yemen, for instance, would be naturally refractory to Bolshevik ideas.

The ....

The danger of course is that these Governments, while trying to use the Bolsheviks for purposes of local nationalism without admitting the Communist part of the programme, may find in the end that their own subjects, especially the tribal elements, have been corrupted and have got out of hand. Needless to say such unruliness would be directed mainly against British interests. Even if such Governments succeed in using Bolshevism without compromising the internal order of the State, it is inevitable that their anti-British nationalist tendencies must be accentuated by this association.

9. It seems to me that these dangers are sufficiently serious to merit earnest attention. If the most powerful of the Arabian rulers offers to co-operate with us against this Bolshevik peril, I think that we should hesitate before rejecting his offer. Obviously some sacrifice on our part is necessary if we are to enlist the co-operation of so powerful an ally. There are, I know, various objections to a renewal of the subsidy to Ibn Saud, and I am not prepared, with the information at present at my disposal, to express a definite opinion as to whether those objections are or are not out-weighed by the advantages of securing his co-operation. I trust, however, that the whole problem will be carefully explored with a view to discovering ways and means of attaching to us as against this Bolshevik penetration

not ......

not only Ibn Saud but also the Imam Yehia.

Sig.

Lord Lloyd

High Commissioner, Cairo

4. Various motives for his visit to the Hejaz have been suggested. By some it is said that his object is to persuade Ibn Saud to conclude with the Soviets a Treaty on the lines of the recent Russo-Yemen Treaty. In this connection he is credited with the intention of organising Bolshevik and anti-British propaganda in Arabia. By others it is said that his main purpose is to persuade Ibn Saud to appoint him Hejaz Agent in Berlin where already much anti-British propaganda is conducted by Oriental extremists, working in connection with Communist elements and, it is asserted, not discouraged by the German authorities. It is also said that he is trying to obtain from Ibn Saud the appointment of one Mound Selim, an Egyptian, as Hejaz Agent

in ....

No. 547.
(90/71).

THE RESIDENCY,

CAIRO,

15th. June, 1929.

Sir,

With reference to Sir Austen Chamberlain's despatch No. 451 (E 2526/2137/91) of the 14th. ultimo and previous correspondence on the subject, I have the honour to suggest that the time has now come for seriously considering whether it would not be advantageous for His Majesty's Government to use pressure to secure the recognition of Ibn Saud by the Egyptian Government.

2. As you are aware, the failure of Egypt to recognise Ibn Saud has, for the last three years, caused a great deal of trouble to all concerned. Ibn Saud has naturally been annoyed by this attitude of Egypt and has finally retaliated by refusing to admit that the Egyptian Consul at Jeddah is competent to perform various functions (among which the most important are of the notarial order) normally exercised by a Consul officially recognised. The Egyptian Government has always ignored Fozan-as-Sabiq, Ibn Saud's representative at Cairo. Hafez Wahba has, on behalf of his master, frequently invoked my assistance to secure Egyptian recognition of Ibn Saud, and he has now taken the matter up in London. E 2326 annexed

3. I have on various occasions spoken to successive Egyptian Prime Ministers and Ministers for Foreign

Affairs ....

The Right Honourable

Arthur Henderson, M.P.,

etc., etc., etc.

Affairs on the subject and generall[illegible] that I was knocking at an open door. [illegible] Mahmal incidents have occasionally influen[illegible] responsible Egyptians against recognition. It may [illegible] said that despite such slight fluctuations of opinion, the Egyptian Government and most responsible Egyptians have generally been in favour of recognising Ibn Saud and putting an end to a strained situation which is felt to be mutually disadvantageous to two neighbouring Moslem States.

4. However, King Fuad, with whom I have also spoken on the subject, has taken up a decided attitude and absolutely opposes recognition of Ibn Saud. His Majesty first based his opposition on the Mahmal incident and subsequently on a general disapproval of Wahhabism. He maintains that the Holy Places should not be in control of sectarians whose attitude is disapproved of by Moslems generally. His own Caliphate ambitions and his desire to play a part in Arabia are not without influence on His Majesty's attitude in this question.

5. King Fuad's recent manoeuvres in connection with the Yemen (see correspondence ending with my despatch No. 497 of June 6th.) are not without bearing on the question now under consideration. It would be most invidious if, owing to King Fuad's initiative, friendly relations were established between Egypt and the Yemen while Ibn Saud remains unrecognised by the Egyptian Government. Obviously it would be no use making any representations to the Egyptian Government. The Ministers have too many difficulties with the King to go out of

their ....

their way to quarrel with him over a matter of no direct significance as regards their own political fortunes. It would be necessary to take the matter up direct with King Fuad, and probably strong representations would be required, for His Majesty is exceedingly obstinate in this matter. He might also make mischief for us by misrepresenting any such action as unjustifiable interference in a purely Moslem concern.

6. Ibn Saud's present attitude towards His Majesty's Government and Iraq is, I understand, on the whole satisfactory. He is evidently anxious to keep on friendly terms with us, but he has frequently complained that in return for his persistent friendliness in the face of great difficulties he has recently got from us little more than expressions of cordiality. It is undesirable that he should be left under this impression, for he might be tempted to turn for assistance to the Bolsheviks, who are displaying considerable activity in Arabia. I would invite in this connection a reference to my despatch No. 496 of June 6th. regarding the mission of Shokib Arslan to Ibn Saud. It would seem, therefore, that anything we can do to help Ibn Saud at the present moment would be politically advantageous, and I think it likely, moreover, that the High Commissioner for Iraq would endorse my view. If Ibn Saud sees that we can be useful as well as formidable, he will perhaps be inclined to attach more importance to the maintenance of a long friendship. There is no doubt

that ....

that this recognition by Egypt will give him much moral satisfaction, and if it were obtained through our good offices, it would react advantageously as regards our influence over him.

7. If it is desired to take any action in this sense, I would suggest that the most convenient opportunity would be when King Fuad is in London. H.M. would probably listen more patiently to representations made to him at a moment when he would be anxious to create a good impression.

Sig.

Lloyd
High Commissioner
Cairo

الوثيقة التاسعة عشرة

موضوعها : نشاط شكيب أرسلان في الحجاز .

تاريخها : ١٨ سبتمبر ١٩٢٩

رقمهـــا : F.O. 371/13740 , E 5146/2935/91

مصدرهـا : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

No.1961/873/18.

E5146/2935/91

BRITISH AGENCY,
JEDDA,
September 18, 1929.

Sir,

With reference to my despatch No.1179/873/12 of June 28th last, regarding the activities of the Amir Shekib Arslan, I have the honour to confirm my telegram No.169 stating that the Amir left Jedda for Europe via Egypt on the 13th instant.

2. A notice published in the semi-official newspaper "Um el Qura" states that during his four months' stay in the Hejaz he met with every token of respect from His Majesty the King, the Viceroy, the Government officials and the notables of the country. He was certainly feted in Jedda on the eve of his departure.

3. During his stay the Emir made numerous speeches of a public and semi-public nature, some of which were reproduced in shortened form in the last number of the "Um el Qura". Their tone was in general one calculated to flatter the efforts of King Ibn Saud to raise the Arab people to an honourable place among the other nations of the world. In one speech delivered at a banquet held in his honour by the Acting Minister for Foreign Affairs, the Emir stated that, just as Mecca is at present the religious capital of the Moslem world, he hoped that in the near future it would become the political capital of the Moslem world also." He added that it was obvious that this would come to pass, now that the Arabs under the leadership of a great Arab chieftain

...esty's High Commissioner for Egypt,
...doney,

[illegible] had awakened from their long sleep to a consciousness of the dangers which surrounded them.

4. In another speech lasting two hours, of which extracts were published in "Um el Qura", the Emir Sheikh Arslan chided the Moslem peoples for not obeying the precepts of the Koran which commanded them to sacrifice everything for the well-being and preservation of their country. It was due to the European nations' readiness to make every sacrifice that these had surpassed the Moslem peoples in the present stage of civilisation. He ridiculed the type of Arab who continues to live under foreign domination and is afraid to throw off his allegiance for fear of the consequences to himself. This type of Arab, he added, is enrolled as a soldier whenever the foreign country ruling him declares war on another nation, and he and his countrymen are killed in thousands for the sake of a foreign country, whereas they might try to get rid of the oppressor at a less cost to themselves. He finally exhorted his hearers not to behave in this way, nor to avoid one form of death only to meet with another.

5. I have sent a copy of this despatch to His Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs, His Majesty's High Commissioner at Jerusalem and the Controller, Public Security Intelligence, Khartoum.

I have the honour to be,

Sir,

Your obedient Servant,

C.L.M.H.

الوثيقة العشـــرون

موضوعها : صفقة البنزين السوفيتية للحجاز .

تاريخها : ٩ سبتمبر ١٩٣١

رقمهـا : E 4911/2064/25, F.O. 371/15299

مصدرهـا : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.

Mr. Hope-Gill to the Marquess of Reading.—(Received September 29.)

(No. 361.)

My Lord, *Jedda, September 9, 1931.*

I TOOK occasion of the recent visit of the Under-Secretary for Foreign Affairs to Jedda to ask him what he could tell me about the benzine contract, which his finance colleague was supposed to have signed with the Soviet Legation. His face fell, his manner lost its habitual assurance, and he retired into 1928 to gain time. He reminded me that in that year Ibn Saud had instructed him to broach with Mr Bird the subject of fostering British trade with the Hejaz as an offset to the Soviet attempts to break into the closed Hejazi market. Yes, I said, a favourable commercial treaty was sought as a *quid pro quo*. No, he said, he had been misunderstood, more than that had been hoped for; but he did not specify what. Instead, he passed on to expatiate on the brave show that the King had put up against Soviet pressure, unaided and alone, until circumstances had at last become too strong for him. (Here I reminded him that the show was made not so much for our bright eyes as for the black looks of the Nejdi brethren and the Hejazi tradesmen at the mere mention of bolshevism and Soviet goods. He gave me right—up to a point.)

2. At last, however, His Majesty had been forced to yield in one particular to the Soviet pressure. Unable to make a satisfactory contract on the one side for State fuel needs, and threatened on the other by the withdrawal of the Soviet Legation from Jedda, his Ministers had made the best of a bad job and contracted to buy £30,000 worth of Russian benzine, and on very favourable terms too. I suggested that they had been both bluffed and led into the way of further concession. He admitted the first as a possibility, but denied hotly that any further concession was possible. When I reminded him that in spite of the total denial of entry to Russian goods, Russian matches were sold openly [illegible] here and Russian cement was not unknown, he made the curious statement that it was quite true that the prohibition was enforced and that at the same time there was a fourfold duty on all Russian goods—a position easily understood in Jedda. He then said frankly that the financial situation was rotten, but he did not think it was hopeless. He himself had received no salary since March.

3. I have since received sidelights on the benzine contract from Herr de Haas, the German trading consul. He has recently returned from leave, having spent a month of it in Moscow haggling with the Soviet authorities for the right to run their contract on a commission basis. Under pressure of his threat to undercut them with still cheaper Roumanian oil, they played him with long negotiations up to the point of agreement, which they then refused; having in the meantime succeeded in securing their contract in Jedda by negotiation with the Hejazi Government through their Minister. So keen were they to have it signed before Herr de Haas could return to Jedda to seduce Sheikh Abdullah Suleiman with his yet cheaper Roumanian oil, that two commercial plenipotentiaries arrived here with the same object. Comrade Jurgieff, representing Wosgostveg (Eastern Trading Society), came up from the south from Hodeida, and shortly afterwards Comrade Hertig (or Gertig), of Sojusneftiexport (Soviet Naphtha Export, a branch of Sojusneftsyndikat), arrived hot-foot from Europe. I understand that the exact terms of the contract are the purchase by the Hejazi Government of 60,000 8-gallon cases of benzine at 6s. 6d. a case c.i.f., and 40,000 8-gallon cases of kerosene at 5s. 3d. a case c.i.f., their total cost of £30,000 to be paid in four equal instalments at two-month intervals, the first quarter to be paid on delivery. This is now expected shortly.

4. I learn that in anticipation of the delivery, Sheikh Abdullah Suleiman has already concluded an advance sale in Mecca of 2,000 cases of benzine at £1 apiece. This is the normal market price in the Hejaz, and shows a clear profit to the Sheikh's treasury of 200 per cent., with the added benefit of cash down against an unmatured debt. It is surprising that the Hejazis have not fallen sooner to such

a lure. Their inherent aversion to bolshevism, their interested stand against Soviet trade, and M. Turakulov's persistent efforts to obtain further concessions have probably been the main factors of delay.

5. In Jedda a humbler method obtains for raising the wind. merchants having now been relieved, on loan, of nearly all their cash, are required The to lend their stock-in-trade to the local treasury official. He thereupon knocks it down at auction for what it will fetch, spot cash. I am assured that this means was resorted to in order to pay for the official dinner with which the Finance Minister was greeted on his recent return from Medina. Little wonder that the local tradesmen feel sore, so sore that even the venerable Governor of Jedda, himself a merchant who has been heavily dunned for loans, hailed the Indian vice-consul in full market the other day and asked him how he could evade further extortion. As the Governor is very deaf, the Munshi was much embarrassed for reply.

6. With regard to expenditure, I hear through a credible channel that Ibn Saud is no whit less extravagant than before, and that observers at Riadh are shocked at his lavish hunting parties. His Minister in London, on the other hand, has recently been telegraphing for funds. The arrangement with Messrs. Gellatly, Hankey and Co. for the supply of credit to cover the needs of missions abroad (Sir A. Ryan's despatch No. 291 of the 16th July) was not concluded after all, but I learn confidentially from the manager of the local Dutch bank that the Finance Minister succeeded during the last week of August in collecting £300, which the bank remitted to Sheikh Hafiz Wahba. Fortunately the season is over.

I have, &c.

C. G. HOPE-GILL.

الوثيقة الحادية والعشرون

موضوعها : حول اتفاق تجاري سعودي - سوفيتي .

تاريخها : ٢٨ فبراير ١٩٣٣

رقمها : E 1488/1225/25, F.O. 371/16875

مصدرها : دار السجلات البريطانية بلندن P.R.O.



الوثيقة الثانية والعشرون

موضوعها : إجراءات بريطانية ضد الدعاية السوفيتية

تاريخها : نوفمبر ١٩٤٧

مصدرها : DS42.4R4

Inrams prinate papers

St. Antony's Collage, Oxford University

COUNTER-MEASURES AGAINST SOVIET PROPAGANDA IN THE MIDDLE EAST.

At present the aim of Soviet policy in the Middle East appears to be to undermine British and American influence in that area, to increase Soviet influence and to foster the development of communism.

2. Since the Governments of the countries of the Middle East are in general ill-disposed towards the U.S.S.R. and communism, the Soviet Government has hitherto relied for the attainment of its ends on propaganda rather than on direct diplomatic action.

3. The principal channels which it uses for the conduct of this propaganda are:—

(a) Communist Parties.

(b) Societies for Cultural Relations with the U.S.S.R.

(c) Left-wing political parties, trade unions or cultural organisations into which Communists have succeeded in penetrating.

(d) Newspapers and periodicals either Communist controlled or inclined to sympathise with the cause.

(e) The Soviet radio and Soviet publications (such as *New Times*) intended for use abroad.

(f) Visits of Soviet citizens, including Armenian repatriation representatives, Moslems and dignitaries of the Orthodox Church.

4. Soviet propaganda against ourselves in the Middle East may be analysed under the following headings :—

(a) Propaganda designed to stir up local Nationalist feeling against us

(i) Allegations that we are still an imperialist Power.

(ii) Allegations that we are exploiting the countries of the Middle East for our own selfish advantage.

(iii) Allegations that it is our intention to keep the Arab world in tutelage.

(iv) Allegations that we habitually disregard the sovereign rights of small nations and interfere in their internal affairs.

(v) Insinuations that the measures we have taken since the end of the war to grant independence to India and Burma are no more than eye-wash, and that we shall try

14448 34602

t[illegible] f[illegible] the countries of the Middle East in manner

(b) *Propaganda designed to exploit local antagonisms to our detriment*

(i) Allegations that we have deliberately fanned the Arab-Jew and Egypt-Sudan disputes in accordance with the policy of "divide and rule."

(ii) Allegations that we are in favour of a "greater Syria."

(iii) Allegations that the Transjordan Treaty is a hindrance to Arab unity.

(c) *Propaganda designed to instil the idea that the British can and must be made to withdraw from the Middle East*

(i) Allegations that all the ills of Palestine are due to the presence of the British and that Arab and Jew will be able to get on together if only the British will withdraw.

(ii) Propaganda about the Soviet championship of the sovereign rights of small States and the value of the Soviet support for the Levant States in the Security Council.

(iii) Propaganda designed to show the post-war weakness of Great Britain as a result of her economic difficulties and her alleged rivalry with the United States in the Middle East.

(d) Propaganda designed to turn "progressive" opinion against us

(i) That for the furtherance of our interests in the Middle East we have deliberately associated ourselves with the most reactionary elements in that area.

(ii) That we have opposed the development of trade unions in southern Persia.

(iii) That we are encouraging the Turks to form an Arab-Turkish *bloc* directed against the Soviet Union.

(iv) More generally, that the British Labour Party is a tool in the hands of the *bourgeoisie;* that it is imperialist, reactionary and anti-democratic and has deceived the expectations of the British working class in the field of foreign policy.

It may be added that some of the charges listed above are also levelled at American

B

activities in the Middle East; but anti-American propaganda deals rather with United States interest in the strategic potentialities of the Middle East as a base for operations against the Soviet Union; the American "economic enslavement" of Turkey; the American drive for the acquisition of oil resources; the threat to peace inherent in the commercial activities in the Middle East of American monopoly capital; and American interference in the internal affairs of the countries of the Middle East. Soviet propaganda takes every opportunity of exploiting Anglo-American rivalry in that area. It also seeks to besmirch the reputation of America in the Middle East by addressing to that area propaganda on such subjects as lynching, the negro problem, unemployment in the United States, the influence of reactionary business circles and so on.

5. As the corollary of this policy of traducing everything British, Soviet propaganda to the Middle East presents Soviet home and foreign policy in the most favourable light. Life in the Soviet Union is pictured as that of a democratic, free, happy, comfortable, enlightened, cultured, well governed and likeable society. In the field of foreign affairs the Soviet Government is said to be the only true and disin-

terested champion of peace, democracy and international co-operation; the only consistent defender of the sovereign rights of small nations; the only implacable opponent of imperialism and reaction; the only reliable friend of independence movements in colonial and dependent countries.

6. As regards the furtherance of communism in the Middle East, the Soviet Government has pursued a cautious policy. Since the dissolution of the Comintern the various Communist Parties in the Middle East have tried to give the impression of fighting their own battles without help from Moscow other than the moral support of the publicity given in Soviet propaganda to their successes and to the repressive measures taken against them by anti-Communist Governments. But although the Soviet Government has been careful not to expose itself to the charge of directing the Communist movement in the Middle East, Soviet propaganda extolls the virtues of communism and of the "new forms of democracy" which have been established in the Soviet orbit; it gives the lead to all Communist propagandists outside the U.S.S.R.; and in turn the local Communist Parties spread Soviet teachings and act as the apologists of Soviet policy.

7. In the field of propaganda the following counter-measures would ideally be required to cope with the problems presented by the above-mentioned Soviet and Communist activities :—

(*a*) The exposure and discrediting of the aims of Soviet policy in the Middle East (see paragraph 1 above).

(*b*) The exposure and discrediting of the agencies through which Soviet propaganda is conducted in the Middle East (see paragraph 3 above).

(*c*) The exposure of the falsehoods and misrepresentations in Soviet propaganda about the policy of His Majesty's Government (see paragraph 4 above). It is essential that this exposure of the falsity of Soviet propaganda should be aggressive in its nature. Weak denials of the charges levelled against us in the Soviet press and radio will do no good. We must take the offensive and actively discredit the whole of the Soviet propaganda machine. Our tactics should be disruptive, not defensive.

(*d*) The exposure of the falsehoods in the picture conveyed by that propaganda of Soviet home and foreign policy.

It is suggested that propaganda designed to counter Soviet and Communist publicity in the Middle East should follow these four main lines, which are analysed in greater detail in the following paragraphs.

8. It is important to set the aims of Soviet policy in the Middle East against the background of Soviet political strategy. The Soviet Government regards the non-Soviet world as hostile. It believes in the possibility of war arising out of difficulties in the non-Soviet world. It will play for time, because at present it is weak and unprepared for war. But while playing for time, it will try to strengthen its own position and weaken that of its potential adversaries. Since the U.S.S.R. is eminently vulnerable on its south-western frontier, the Soviet Government will do its utmost to improve its own position and undermine that of the British and Americans in the Middle East. In doing so it will take into consideration nothing but its own interests. The welfare of the peoples of the Middle East is a factor for which Soviet policy does not care a rap. But those peoples are to be roused by Soviet and local Communist propaganda against the British and Americans and influenced in favour of the Soviet Union. Such propaganda is not intended to promote peace. It is designed to stir up trouble in order to

embarrass, and, if possible, to secure the withdrawal of the Western Powers, and to favour the development of conditions propitious to the spread of communism. In times of peace and prosperity the Communists lack the following necessary to enable them to seize and retain power. It is only in disturbed conditions that their cause prospers, and it is one of the aims of Communist propaganda to create such conditions, irrespective of the poverty an suffering which they involve. It important to stress this disruptive aspe of Communist activities, and to point out that from the trouble which the Communists are fomenting, the peoples of the Middle East have nothing to gain. For them it means violence and the ruin of economic life. Nor does it promise them independence. Nothing is more alien to Communist thought than independence and neutrality. What the Communists want is a zone *controlled by them* covering the south-western frontiers of the U.S.S.R. One has only to consider the fate of the Baltic States or Tunnu Tuva, or to review the history of events in Persian Azerbaijan, or to look at the defensive belt established by the Soviet Government in South-Eastern Europe to see what regard the Soviet Government have for the independence of small peoples in the areas which they regard as of importance to their security.

9. If this is the general picture, it follows that those who spread Communist propaganda in the Middle East cannot in any circumstances be regarded as patriots nor even as progressive spirits. They are the tools of the Soviet Government or of their local Communist leaders; by their propaganda they are making the countries of the Middle East pawns in a world-wide Soviet game of Power politics; they are acting solely in the interests of a foreign and far from friendly Power. If they realise this and persist in their activities, they are fifth columnists and traitors, and should be publicly exposed as such. Their intentions may be good, but their acts will lead to nothing but mischief. A parallel could be drawn with the fate of some of the men and women condemned in the Canadian espionage case, whose original motives in becoming Communists were harmless, but who were finally sentenced to imprisonment as paid spies.

In seeking out and discrediting Soviet agents in the Middle East, we must be careful not to seem to be taking sides between the oppressed and the ruling classes. If

34602

we give the impression that we are actively supporting the groups labelled by the Communists as reactionary, we shall play into their hands. Our line should be that it is not for these agents of a foreign Power to pose as patriots and champions of the oppressed classes.

Since the peoples of the Middle East are impressed by strength, it may be desirable to direct our propaganda against these Communist agents, implying that the Russians are using them because in the Middle East they are not strong enough to resort to more direct methods. This argument, however, should not be pushed so far as to invalidate the contention that Communist activities would constitute a serious threat to the security of the countries of the Middle East if Communist propaganda once succeeded in creating serious unrest.

10. The dupes and the rogues who together disseminate Soviet propaganda are alike purveyors of lies. Soviet propaganda is false and distorted, and in the nature of things cannot be anything else. It is based on a narrow and dogmatic ideology which denounces objectivity and inevitably leads to distortion and untruth. Moreover, it is doubtful whether the propaganda authorities in Moscow have ever had sound and unbiased material on which to base

their output. Soviet officials abroad have every inducement to report to Moscow not what they believe to be true, but what they believe will be accepted and used. Living as they do under a dictatorship, which exacts the most rigid ideological orthodoxy from them, Soviet officials must be under great temptation not to send in reports which they know to be incompatible with the views and policies of their superiors. But even if the warping influence of ideology and the probability of misinformation are discounted, it would still remain true that, in its propaganda to the Middle East, the Soviet Government has every inducement to resort to lies as a means of discrediting the Americans and ourselves. Having every motive for resort to falsehood and slander, it would be remarkable if Soviet propaganda to the Middle East were other than misleading. Experience in the Soviet orbit shows only too clearly that their aim is to abolish truth, mercy and justice for their own advantage.

11. The measures necessary to acquaint the peoples of the Middle East with the policy of His Majesty's Government do not fall within the scope of this paper; but it is desirable that in addition to publishing the truth about our policy at large, we

B 2

should also refute as occasion offers the Soviet calumnies listed in paragraph 4 above. It is, of course, essential that these refutations should not be querulous or apologetic in tone. Unless our denials are vigorous and aggressive, they will merely create the impression that we are in the wrong. As far as possible they should be used as starting points for a counter-offensive against the unscrupulous methods of Soviet and Communist publicity. It might, moreover, be worth while to encourage Middle East newspapers to turn points (*a*), (*b*), (*c*) and (*d*) of paragraph 4 against the Communists by arguing as regards (*a*) that in conditions of turmoil and unrest, the gravest threat to the national movements of the Middle East would come from Communist fifth column activities; as regar (*b*), that the exploitation of antagonis has been a more marked feature of Co munist than of British tactics; as regar (*c*), that agitation for the withdrawal of the British and Americans from the Middle East plays into the hands of both the local Communists and of the Soviet Union; and that as regards (*d*), the behaviour of the international Communist movement between 1939 and 1941 left it with little right to criticise other people for having reactionary friends; that we

have never sought to create in the Middle East a stooge party such as the Tudeh Party created by the Russians in Persia, and that if anyone is dividing the world into hostile camps, it is the Communists with their ideology of conflict.

12. The glowing picture which Soviet propaganda paints of conditions inside the Soviet Union is as false as its caricature of the policy of His Majesty's Government.

13. In the first place the Soviet Union is not a democracy. Like Nazi Germany before its defeat it is a typical one-party totalitarian State. Its Government is a tyranny in the original sense of the word. It was established by force and it has used force to keep itself in office. Indeed, it claims in so many words to be a dictatorship (nominally of the proletariat). Stalin, its head, enjoys despotic power. Its position has never been confirmed by elections which would be regarded in the West as free manifestations of the will of the electorate. All important decisions are taken by the leaders of the Communist Party, whose proposals regarding the admission of new members to their ranks are never questioned. Their decisions of policy are based not on the wishes of the people, but on what they conceive to be the interests of the U.S.S.R. There is no way

by which the inhabitants of the Soviet Union could press for the reversal of any decisions taken by their rulers or by which they could bring about a peaceful change of Government were they to wish to do so. The rulers of the Soviet Union maintain an enormous system of political police with which they originally suppressed every vestige of opposition to the régime, and which is now used to prevent the resurgence of opposition. This political police force has its own courts whose proceedings are secret. The rulers have, moreover, built up a complex system of multiple checks and controls, the only explanation of which is the assumption that they trust no one. The officials in the Soviet hierarchy are controlled both by their superiors in the same hierarchy and by the officials in the party hierarchy. The members of the party are in turn controlled by their own superiors and by the party control commission. Everyone in both the Soviet and party hierarchies is controlled by the Ministry of Internal Affairs, which makes extensive use of secret agents and informers. The rulers insist that everyone shall pay at least lip service to their ideology and shall acclaim their every decree as a manifestation of their goodness and wisdom. Although religion, which the

party once hoped to eradicate by persecution, is now officially tolerated, the party still prohibits its members and the members of the League of Communist Youth from attending any church, and still actively tries to undermine religious belief in children by the teaching given in the Soviet schools. All intellectual activities must conform with party doctrine. There is no freedom of speech, of the press or of assembly when it comes to the discussion of matters against which the rulers have set their face. The press, the libraries, the theatre, the cinema, the demonstration, and the mass meeting—all these are made to serve the interests of the party and those interests alone. Criticism is limited to the manner in which individual officials carry out the decisions of the Government. The decisions themselves may not be criticised. Soviet thought, art and literature are withering under this treatment, and even science, which receives special favours, is bound to suffer from isolation. The trade unions exist not to defend the workers against the Government, which is the chief employer of labour, but to expound the Government's labour and production policies to the workers and to see that they comply with them. The Soviets, which are in theory elected councils representative of

the people, take their directives from the party; and the elections to the higher Soviet are farcical affairs in which there is only one candidate per constituency, approved in advance by the party, which sees that all the able-bodied electors turn up at the polls to vote for him. The discipline enforced in the party, in the armed forces and in the factories is of the utmost rigidity. In short, the Soviet system is not a democracy but a harsh authoritarian régime designed to ensure the unquestioning fulfilment of the decisions of the ruling party oligarchy.

14. In the second place, the inhabitants of the Soviet Union are not free. The very idea of freedom is incompatible with so strict and rigid a dictatorship. Soviet citizens are not free to travel abroad. They are not free to marry foreigners. They are not even free to associate with foreigners save at the risk of being charged with counter-revolutionary activities. They are not free to change their job. They are not free to change their place of abode without notifying the police. They are not free to decide whether they shall or shall not make a contribution to the "voluntary" State loans. They are not free to run independent newspapers. They are not free to speak their minds on political subjects. They are not free to set up

new political parties. They are not free to criticise or oppose or demonstrate against the Government. In short, they are not free men. And few countries can have so high a proportion of their inhabitants doing forced labour in penal camps. Seldom in history has there been so vast and ruthless an exploitation of man by man or by the State.

15. In the third place the inhabitants of the Soviet Union, with the possible exception of the young people, are not happy. The foreigner in the Soviet Union gets the impression that the majority of the middle aged and elderly people he sees outside the party hierarchy are weary, disillusioned and depressed. Soviet policy has involved the sacrifice of everything that might have made for happiness in their lives. Their family life has been ruined by overcrowding. Their relatives have disappeared in the purges. Their children have been killed in the Second World War. They have lived for years in conditions of want and drabness and squalor and hunger and cold. They have never felt themselves secure against the dreaded investigations of the political police. They have been subjected to these hardships and privations, and they have had to pay heavy taxes in order that the Government might build

up, with much muddle and waste and at enormous cost, the essentials of what proved to be a barely adequate war potential. Other countries may have depressions, but Soviet Russia has famines where tens of thousands die (as this year in the Ukraine or previously in 1933). And after thirty years of this their Government is still telling them that it is menaced by the outside world, and that the better times which have for so long been promised to them are still not within reach. They are being called upon to make a further great and prolonged effort without any prospect of a commensurate reward. Nothing is in prospect but more and even worse exploitation. As for the peasants, they lost through the collectivisation the lands which they seized as their personal possession at the time of the revolution; and the troubles that accompanied the collectivisation led to shortages which meant famine and years of misery, not to speak of the deportation of vast numbers of recalcitrants to forced labour camps. They are now little more than agricultural labourers, sharing what is left of the produce of their farms after the State has taken against purely nominal payment the vast quantities of food-stuffs required by the rapidly growing population of the towns. Their past experiences have been violent and bitter. Their present existence is hard and primitive and poor. They have little cause for happiness.

16. In the fourth place, the Soviet Union is not comfortable. Too much of the national income during the Soviet period has been devoted to capital investment and armaments for the inhabitants to have been supplied with the good things of life. For thirty years they have gone without them. And thanks to the Second World War, they will have to go without them for a good many years to come. There is a small privileged minority of high party members, officials, writers, artists, actors, dancers, &c., who live well. But for the ordinary people of the Soviet Union living conditions are grim.

17. In the fifth place the Soviet system is in many respects far from being as enlightened as it claims to be. Leaving out of account the inherited backwardness of the masses, the Government itself is hidebound by its ideology, and the harshness of its discipline restricts the freedom of innovation that alone can keep a society enlightened and progressive in its outlook. Moreover, the fetters the Soviet Government imposes on intellectual life and on the expression of other than authorised opinions are the very antithesis of

enlightenment as understood in the non-Soviet world.

18. In the sixth place the culture of the Soviet Union is confined within the relatively narrow bounds imposed by the doctrines of the party. The pursuit of culture is only encouraged in so far as it serves the political purposes of the Government. Broad sympathies, objectivity of outlook and tolerant understanding are regarded as vices rather than virtues.

19. In the seventh place the Soviet Union is only well and efficiently governed in matters of vital importance to the nation. And even then the degree of its efficiency must be judged from the standpoint of the interests of the State and of the ruling oligarchy rather than from the standpoint of the people at large. The concentration of power in the hands of a small number of leading party members and administrative officials means that non-essential matters receive tardy and scant consideration. To make matters worse, junior officials are either not allowed to take the responsibility of dealing with them, or are afraid to do so. Moreover, the average competence of Soviet officials save those in the highest categories is low, and the handling of business of minor importance is characterised by delays, muddle, heartlessness, stupidity, inefficiency and waste. The lower bureau-

cracy is callous and often corrupt, and it is difficult for the ordinary Soviet citizen to obtain redress against its misdoings. Quite apart from these considerations, the Soviet Government has shown itself unnecessarily harsh in its methods, and has inflicted unnecessary sufferings on the inhabitants of the Soviet Union. It is true that there have been moments in its history when it had to resort to ruthless methods in order to survive. But it was often harsher and more ruthless than it need have been. By carrying the doctrine of class warfare to excess in the early years of its existence, the Soviet Government deprived itself of the services of the majority of the country's experienced technicians and administrators. This led to an unnecessary aggravation of the economic and administrative difficulties resulting from the revolution, the intervention and the civil war. Similarly, during the early years of the régime the Government was unnecessarily brutal in its persecution of religion. Some years later the collectivisation of agriculture was carried through with brutality so excessive that Stalin personally had to order that an end be put to the excesses. In the three years following the murder of Kirov the

Soviet Government allowed the terror exercised by its political police to pass all bounds. Time and again the Soviet Government has shown unpardonable disregard for suffering and loss of life, not least in the conditions prevailing in its forced labour camps, which are almost, if not quite, as bad as Nazi forced labour camps. The hardships inflicted on the people deported eastwards from the occupied areas of Poland in 1939-41 cannot be regarded as necessary or justifiable. They only came to light as a result of the Stalin-Sikorsky agreement of 1941, and what sufferings are to this day being inflicted on deportees from the other areas annexed by the Soviet Union since 1940 may never be known. Lastly, the Soviet Government has shown undue severity in stamping out every vestige of true independence of spirit and culture amongst the non-Russian nationalities of the U.S.S.R. To-day, throughout the length and breadth of the Soviet Union, the differences of language fail to mask to drab uniformity of the underlying ideas. The fate of the Ukrainian Nationalists is a permanent warning to non-Russians not to take at their face value the Soviet Government's statements about the free development of national cultures under the Soviet system.

The same fate is now being meted out to all leaders of any eminence or independence in the countries of the Soviet orbit (Petkov, Sovanovitch, Maniu, Mikolajczyk —who, however, escaped—&c.). The criticisms of Soviet policy in paragraphs 14–19 should, if possible, be linked with a contrasting analysis of the British way of doing things, and of the far more agreeable position of the common man in the United Kingdom. This, however, raises the question of our positive publicity regarding British achievements, and this lies outside the scope of the present paper.

20. To conclude this analysis of Soviet propaganda regarding the internal position of the Soviet Union it is necessary to ask why, if the Soviet system is as pleasant and likeable as its apologists make out, so many displaced persons have refused to accept repatriation to the U.S.S.R., and why the Poles deported to the U.S.S.R. in 1939–40 were so glad to get away in 1941.

The question of the Armenians who have recently returned to the U.S.S.R. is of a different nature. The majority of them left the U.S.S.R. many years ago and have had a hard life abroad. They are attracted by Soviet propaganda, not having had any recent experience of Soviet reality. It is to be expected that a few Armenians will return from the Soviet Union disappointed

with their experience, and if any such Armenians make reasonable statements concerning their experiences, they might with advantage be used for publicity purposes. There is, unfortunately, no publishable information regarding the treatment accorded to those Armenians who have returned to the U.S.S.R.

21. As for the foreign policy at present being pursued by the Soviet Government, it is based on fear, hostility and mistrust. Its general strategy takes account solely of the interests of the U.S.S.R. in what is expected to be a long and tense struggle against the non-Soviet world. It bodes no good either to the inhabitants of the Soviet Union or to the outside world. Since its attitude towards the non-Soviet world is one of antagonism, the Soviet Government is not, and cannot be, a good neighbour. It seeks to absorb or dominate other countries where it can, and where it cannot it seeks to weaken them. It is peace-loving only in the sense that it has always sought to avoid becoming involved in a major war. But its acts of aggression against Finland and the Baltic States in 1939 and 1940 showed that its peaceable attitude was dictated by expediency rather than by principle. It has destroyed the independence, happiness and prosperity of more countries in the last six years than any Power except

Germany. Persia narrowly escaped and deserves much credit for it. The Soviet rejection of the American plan for the control of atomic energy, and its own preparations for war, have cast a cloud over the whole field of international affairs. As for its being a champion of democracy, it is essential to bear in mind that the Soviet Government reserves the term "democracy" for itself and the subservient Governments of the Soviet orbit. What it means is that it favours the extension to other countries of Governments fashioned on the Soviet model and amenable to the wishes of the U.S.S.R. That a Government which preaches the inevitability of hostility between the Soviet and non-Soviet worlds should at the same time represent itself as the champion of international collaboration is a measure of its dishonesty in the field of propaganda. Equally dishonest is its claim to be the champion of the rights of small nations, colonies and dependencies. It only supports the rights of these nations in so far as by doing so it can weaken or embarrass the great Powers of the West. The fact that the Soviet Government has not supported the Sudan's claim for independence *vis-à-vis* Egypt is proof that the Soviet Government is interested not so much in the rights of small nations as in embarrassing the British. Moreover, Stalin has

said in the past that once he has succeeded in breaking the existing connexions between the metropolitan Powers and their colonies or dependencies, he hopes to bring the latter under the influence of the U.S.S.R. His policy aims not at the independence of weak nations, but at the substitution of Soviet for non-Soviet foreign influence. His disregard of their sovereign rights, and of the principle, of non-interference in their internal affairs, is revealed in the fifth column activities of local Communist Parties on behalf of the Soviet Union, and in the efforts made by Soviet propaganda to build up in foreign States pressure groups which can oppose the adoption of policies detrimental to the interests of the U.S.S.R. Far from promoting concord, Soviet propaganda is quick to seize on every conflict of interest which can be exploited to the advantage of Soviet policy. Thus, to weaken the non-Soviet world, Soviet propaganda tries to undermine the confidence of peoples in their Governments, to aggravate class conflicts, to create trouble between metropolitan Powers and their colonies, mandates or dependencies, and to foment discord between the great Powers of the West In all this the welfare of the working classes or of the colonial peoples is treated not as an end in itself, but as

a means to be employed without scruple for the attainment of Soviet ends. This same unscrupulousness makes dupes of those who ally themselves with the Soviet Union for the furtherance of their own interests. Soviet policy is always based exclusively on the pursuit of Soviet interests, and in every alliance into which the Soviet Government or a Communist Party has entered, the aim has not been the common pursuit of a joint interest, but the furtherance of a purely Soviet or Communist interest, and the reduction of the other partner to a rôle subservient to that interest.

22. Such are the general lines on which counter-propaganda against the Soviet Union should be developed in the Middle East. Further papers will be circulated providing material for the more detailed treatment of the suggestions made in paragraphs 8–22 above. In the meantime it is suggested that information officers should draw freely on the following books:—

Paul Winterton: Report on Russia.
John Fisher: The Scared Men in the Kremlin.
de Basili: Russia under Soviet Rule.
Dalin: The Real Soviet Russia.

Foreign Office,
November 1947.

مصادر الدراسة ومراجعها



حول الاشارة إلى الوثائق المستخدمة فى هذه الدراسة:

لعله من المفيد أن أشير هنا إلى المنهج الذى طبقته بدقة عند الاشارة إلى وثائق وزارة الخارجية البريطانية. وهو يسير على نفس النظام المتبع فى دار السجلات البريطانية. فعند الاشارة إلى الوثيقة لدى ذكرها لأول مرة تعطى البيانات كاملة. كما فى النموذج التالى:

Lord Lloyd to Chamberlain, 29 Feb. 1930, E 1077/381/91, F.O. 371/13012.

* وتفسير الاشارة السابقة إلى الوثيقة هو كما يلى:

١- هذه العلامة (،) هى الفاصل بين المقاطع الرئيسية فى الاشارة، وكل مقطع يشكل وحدة كاملة قائمة بذاتها، ولها دلالاتها التى سنوضحها فيما بعد.

٢- هذه العلامة (/) هى الفاصل بين أجزاء المقطع الواحد من المقاطع الرئيسية.

وعلى ذلك فان الاشارة السابقة إلى الوثيقة تتكون من أربعة أقسام أو مقاطع رئيسية.

المقطع الأول: ويضم اسمى المرسل والمرسل إليه.

المقطع الثانى: ويضم تاريخ الوثيقة.

والمقطع الثالث: هو رقم الوثيقة.

والمقطع الرابع: هو رقم المجلد المحفوظ فيه ملف الوثيقة.

* وتفسير الأرقام الموجودة فى المقطع الثالث كما يلى:

الرمز (E) يعنى Eastern ، أى أن الوثيقة شرقية، أو تتصل بالشرق.

والرقم 1077 هو رقم الوثيقة المباشر، وهو رقم خاص بها، ولاتشترك فيه معها وثيقة أخرى.

والرقم 381 هو رقم الملف (File) الذى نوجد به الوثيقـة، والملف يضم مجموعة الوثائق التى تتناول موضوعاً واحداً، وبكلمات أخرى فان رقم الملف هو رقم موضوعى.

والرقم 91 هو رقم البلد الذى تتناوله الوثيقة. وهو هنا يعنى شبه الجزيرة العربية.

* وتفسير الأرقام الموجودة فى المقطع الرابع كما يلى:

الرمز (F.O.) يعنى أن الوثيقة من أوراق وزارة الخارجية.

والرمز 371 يعنى أن موضوعها سياسى.

والرقم 13012 هو رقم المجلد (Vol.) الذى يوجد به الملف الذى يضم الوثيقة.

وعلى ذلك فالوثيقة السابقة يمكن أن تقرأ هكذا:

من لويد إلى تشمبرلين، بتاريخ ٢٩ فبراير ١٩٣٠، وهى شرقية رقمها المباشر هو ١٠٧٧ ورقم الملف الموجودة به ٣٨١، وتتعلق بشبه الجزيرة العربية، وهى من أوراق وزارة الخارجية السياسية المحفوظة فى المجلد رقم ١٣٠١٢.

وهذا الترتيب منطقى جدا، لأنه يسير مع الأشياء سيرتها الطبيعية، فمن هذه الاشارة نعرف مباشرة: من كتب إلى من، ومتى، وحول أى موضوع، وأين هو محفوظ.

ولما كان من المعروف بغير لبس أن جميع وثائق وزارة الخارجية البريطانية محفوظة فى دار السجلات البريطانية. فليس هناك داع إلى الاشارة إلى هذه البديهية عند كل ذكر للوثيقة، كأن نضيف مثلا فى نهاية الاشارة اليها مقطعا آخر جديداً هو Public Record Office أو حتى نكتفى باختصاراته P.R.O .

وقد لحظنا فى بعض الدراسات التى اعتمدت على وثائق وزارة الخارجية البريطانية، أنها تنهج مناهج شتى لاتستقيم أساساً مع نظام الفهرسة والتصنيف المعمول

بهما فى دار السجلات البريطانية ، مما يعوق إمكانية الاستفادة من الأرقام والرموز التى استخدمت فى مثل هذه الدراسات عند طلب الوثائق المشار إليها لاستشارتها. لذا وجب التنوية.

أما الاشارة إلى الأوراق الخاصة فهذه تجب الاشارة إلى مكانها فى كل مرة، لأنها قد تكون موزعة بين أكثر من مكان، وهذا يعنى أنه ليس لها نظام موحد فى الفهرسة، وقد تكون محفوظة بالطريقة التى تركها عليها صاحبها ، وهى فى الغالب لا تكون مصنفه.

ولذا يكتفى بالاشارة إلى رقم الملف إن وجد، أو رقم الصندوق كما فى النموذج التالى:

Papers of Sir George Rendel, St. Anthony's College, University of Oxford,, Box XII.

هذا، وطبقت المنهج السابق فى حواشى هذه الدراسة كما يلى:

عند ذكر الوثيقة للمرة الأولى أشير إليها إشارة كاملة غير منقوصة، هكذا:

Damluji to Bird, 25 May 1930, E3247/1077/91, F.O. 371/13012.

وعند الاشارة ثانية إلى نفس الوثيقة، دون وجود حاشية أخرى فاصلة، أكتفى بهذا الاختصار Ibid الذى يعنى أن الاشارة هى عينها الاشارة السابقة. أما إذا كان هناك فاصل بين الاشارتين الأولى والثانية لنفس الوثيقة فقد اتبعت المنهج التالى: أكتب إسمى مؤلف الوثيقة والمرسل إليه، وتاريخها، ثم أضيف هذا الاختصار loc.cit الدال على أن رقمها ومكان حفظها هما كما وردا فى السابق. فتأتى الاشارة هكذا:

Damluji to Bird, 25 May 1930, 1930, loc.cit.

وطبقا لهذا المنهج فلايوجد فى هذه الدراسة شكل آخر يختلف عن الصور الثلاث التى ذكرتها أعلاه، فى الاشارة إلى الوثائق.

ولما كان الاشارات واضحة بهذا الشكل فى حواشى هذه الدراسة، فلم أجد هناك ضرورة لاعادة ذكر جميع الوثائق بكل تفاصيلها فى القائمة البيليوجرافية، وإنما اكتفيت فقط بالمقطع الأخير الذى يحتوى رقم المجلد، وبالتالى فإن الإشارة فى قائمة المصادر والمراجع ستحوى أرقام المجلدات التى تشترك فيها عشرات الوثائق. وستكون الاشارة هكذا مثلا: F.O. 371/13012 : وذلك إدخارا لمساحة كبيرة كان يمكن أن تستهلك عند إعادة ذكر الوثائق مفصلة.

مصادر الدراسة ومراجعها

صنفت مصادر هذه الدراسة ومراجعها إلى الأقسام الرئيسية التالية:

القسم الأول: ويضم وثائق لم يسبق نشرها. وهذه تحتوى على:

١ - أوراق وزارة الخارجية البريطانية.

٢ - التقارير الشهرية والسنوية الصادرة عن الوكالة البريطانية والمفوضية البريطانية بجدة.

٣ - ثم الأوراق الخاصة ببعض المسئولين البريطانيين.

القسم الثانى: ويضم الوثائق المنشورة.

القسم الثالث: ويضم الدراسات سواء أكانت مقالات أم كتبا.

القسم الرابع: ويضم الدوريات، وأعنى بها الصحف والمجلات.

أولاً: وثائق لم يسبق نشرها:

١ - أوراق وزارة الخارجية البريطانية، محفوظة فى دار السجلات البريطانية بلندن، المجلدات التالية:

- F.O. 371/11431

- F.O. 371/11433.
- F.O. 371/11437.
- F.O. 371/11442.
- F.O. 371/11446.
- F.O. 371/12248.
- F.O. 371/12250.
- F.O. 371/13008
- F.O. 371/13010.
- F.O. 371/13012.
- F.O. 371/13015.
- F.O. 371/13728.
- F.O. 371/13731.
- F.O. 371/13732.
- F.O. 371/13735.
- F.O. 371/13740.
- F.O. 371/14455.
- F.O. 371/14460.
- F.O. 371/14461.
- F.O. 371/14462.
- F.O. 371/15289.

- F.O. 371/15296.
- F.O. 371/15299.
- F.O. 371/16024.
- F.O. 371/16026.
- F.O. 371/16875.
- F.O. 371/19014.
- F.O. 371/19019.
- F.O. 371/16026.
- F.O. 371/16875.
- F.O. 371/19014.
- F.O. 371/19019.
- F.O. 371/20843.
- F.O. 371/21908.

٢- التقارير الشهرية والسنوية للوكالة البريطانية ثم المفوضية البريطانية فى جدة. محفوظة في دار السجلات البريطانية بلندن، المجلدات التالية:

- F.O. 371/11442.
- F.O. 371/12250.
- F.O. 371/13010.
- F.O. 371/13728.
- F.O. 371/14460.
- F.O. 371/16024.

- F.O. 371/16875.

- F.O. 371/19014.

- F.O. 371/20843.

- F.O. 371/21908.

٣- أوراق خاصة بمسئولين بريطانيين، محفوظة فى جامعتى درم واكسفورد:

-Papers of Sir Gilbert Clayton, School of Oriental Studies, University of Durham, Box 472/2.

-Papers of Sir Andrew Ryan; St. Antony's College, University of Oxford, Box VI.

- Papers of St. J.B. Philby, St. Antony's College, University of Oxford, Box XVI.

- Papers of Ingrams, St. Antony's College, University of Oxford, Box VIII / 4.

ثانيا: وثائق منشورة:

-Documents on British Foreign Policy, 1919-1939, Series IA, Vol. I, II, IV, VII & IX ed. by: W.N. Medlicott, D. Dakin and M.E. Lambert, (London 1966-1975).

- British and Foreign State Papers, Vol. 129.

ثالثـا: المؤلفـات:

أ- فـى اللغـة العربيـة:

- أحمد الشرباصى، *شكيب أرسلان، من رواد الوحدة العربية* (القاهرة ١٩٦٣).

- أحمد القشيرى، «المعاملات الدولية فى عالم متغير، مجلة : *السياسة الدولية* (أكتوبر ١٩٦٦).
- أحمد باسل البيانى، «تطور السياسة النفطية السوفيتية تجاه إيران ١٩١٧-١٩٧٩»، *مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية*، العدد ٤١ (يناير ١٩٨٥).
- أكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفيتى - معهد الاستشراق، *تاريخ الاقطار العربية المعاصر. ١٩١٧-١٩٧٠* جزآن: موسكو، دار التقدم، ١٩٧٦.
- بطرس بطرس غالى، «أبعاد الايديولوجية الأفرو آسيوية»، مجلة: *السياسة الدولية* (ابريل ١٩٦٨).
- بيكار، هـ، *آسيا والسيطرة الغربية*، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد.
- بوندا ريفسكى، *سياستان ازاء العالم العربى*، ترجمة: خيرى الضامن، موسكو، دار التقدم، ١٩٧٥.
- جمال محمود حجر، «إنهاء الملك عبد العزيز الامتيازات الأجنبية فى الحجاز، ١٩٢٦-١٩٢٧»، مجلة *الدارة*، العدد الأول، السنة العاشرة (١٩٨٤).
- جمال محمود حجر، «الآثار السلبية للسياسة الغربية فى شمال شبه الجزيرة العربية، قصر الأزرق وحدود نجد الجديدة»، مجلة *الدارة*، العدد الأول، السنة الحادية عشرة (١٩٨٥).
- جمال محمود حجر، السعوديون والأزمة المالية، ١٩٢٩-١٩٣٣، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣.
- سعيد عبد المجيد بكر، *الأقليات المسلمة فى آسيا واستراليا*، سلسلة: دعوة الحق (نوفمبر ١٩٨٣).

– صالح مصطفى، «قصة زيارة فيصل لموسكو»، مجلة *البلاغ* اللبنانية، العدد ١٧٠، السنة الرابعة (١٤ أبريل ١٩٧٥).
– عبد الواحد محمد الطوبقي، «الجذور الأيديولوجية للتقاليد الدبلوماسية السوفيتية»، مجلة: *السياسة الدولية*، العدد ٨١ (يوليو ١٩٨٥).
– عبد الله الأشعل، «العلاقات الدولية فى اطار مجلس التعاون لدول الخليج العربية»، *مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية*، العدد ٣٧، (يناير ١٩٨٤).
– عاصم الدسوقى، «من أرشيف الحركة اليسارية فى مصر ١٩١٩–١٩٢٥»، *المجلة المصرية للدراسات التاريخية*، المجلدان ٢٨، ٢٩ (١٩٨١، ١٩٨٢).
– عبد الله نوار، *٧ أيام مع المسلمين فى الاتحاد السوفيتى*، القاهرة، دار الصحافة المصورة.
– فتحى عثمان، «العلاقات العربية السوفيتية بين المبادىء والمصالح ١٩٤٥–١٩٧٣»، مجلة: *السياسة الدولية*، العدد ٨١ (يوليو ١٩٨٥).
– كلكجى، شانتال لمرسيه وبينيغسن، الكسندر، *المسلمون فى الاتحاد السوفيتى*، تعريب: احسان حقى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٧.
– لينين، *تقرير عن السلام*، موسكو، دار التقدم.
– مصطفى عبد القادر النجار، *دراسات فى تاريخ الخليج العربى المعاصر*، (القاهرة ١٩٧٨).
– محمد حسن العيلة، *أواسط آسيا الاسلامية بين الانقضاض الروسى والحذر البريطانى*، الدوحة، دار الثقافة، ١٩٨٦.
– مجموعة من القادة السوفيت، *الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفيتية*، ترجمة: محمد عبد الحليم أبو غزالة، القاهرة، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر.

–__________، «الاتحاد السوفيتى والعالم الثالث»، مجلة: الطليعة (ديسمبر ١٩٧٢).

–__________، «الاتحاد السوفيتى حليف أساسى لحركة التحرر العربية»، مجلة : *الطليعة* (ديسمبر ١٩٧٢).

–__________، دروس من تجربة الحرب الأهلية وحروب التدخل فى الاتحاد السوفيتى،» مجلة: *الطليعة* (ديسمبر ١٩٧٢).

–__________، «خطوات تأسيس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية»، مجلة: *الطليعة* (ديسمبر ١٩٧٢).

– نورى عبد البخت، «الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربى فى القرن ١٩ وبداية ٢٠»، مجلة الخليج العربى، مركز دراسات الخليج العربى، جامعة البصرة.

– ولتر لاكور، *الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط*.

– وليد الشريف، «الاتحاد السوفيتى ومنطقة الخليج العربى»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. العدد ٥ (يناير ١٩٧٦).

– وحيد رأفت، «الاستراتيجية السوفيتية فى الشرق الأوسط، مجلة: *السياسة الدولية*، يوليو ١٩٧٤.

ب– فى اللغة الانجليزية:

- Bennigsen, A. "Islam in the Soviet Union", Journal of South Asian and Middle Eastern Studies, Vol VIII, No.4. (Summer 1985).

- Darwin, John, Britain, Egypt and the Middle East, Imperial Policy in the aftermath of War 1918-1922 (London 1981).

Hagar, G.M.M.A., Britain, Her Middle East Mandastes and the

Emergence of Saudi Arabia, 1926-1932 (Unpublished Ph.D Thesis University of Keele, England 1981).

-Hoskins, H.L., "Background of The British Position in Arabia", *Middle East Journal*, I (1947).

-Lloyd, George, "British Foreign Policy in Asia and its Relations to India" *Journal of The British Institute of International Affairs*, Vol. IV; No.3, (May 1925).

-Ponomaryov, B. (and others) Editors, *History of Soviet Foreign Ploicy, 1917-1945*.

- *Revue du Monde Musulman*, vol. LXIV (1926).

-Rubinstein, A.Z., "The Soviet Union and The Arabian Peninsula", *The World Today* (Nov. 1979).

- Tcharykaw, N.V., "The Political Outlook of Islam", *Contemporary Review*, vol. CXXXII (1927).

-Toynbee, A.,

- Survey of International Affairs 1925 (London 1927).
- Survey of International Affairs 1928 (London 1929).
- Survey of International Affairs 1930 (London 1931).
- Survey of International Affairs 1934 (London 1935).
- Survey of International Affairs 1936 (London 1937).

- Watt, D.C. "The Foreign Policy of Ibn Saud", *Journal of Central Asian Society* (1963).

ıse, E.F., "Russo-British Relations", *The Contemporary Review* Vol. CXXXV. (May 1929).

رابعــا: الدوريــات:

- *أم القرى* (سعودية) جميع أعدادها الصادرة فى فترة الدراسة، منذ العدد الأول الصادر فى ١٢ ديسمبر ١٩٢٤ وحتى نهاية عام ١٩٣٨.
- *التايمز* (بريطانية) جميع أعدادها الصادرة فى فترة الدراسة، منذ عام ١٩٢٤ وحتى عام ١٩٣٨.

المحتوى

الفصـــل الثالث

السعوديون والبريطانيون والدعاية السوفيتية

(مرحلة الممارسة)

الفصل الرابع

السعوديون والبريطانيون والدعاية السوفيتية

(مرحلة الحوار)

الفصل الخامس

السعوديون والبريطانيون والدعاية السوفيتية

(مرحلة الانحسار)